



الثورة الإسبانية

ترجمة

علي الشهابي

الثورة الاسبانية

* الثورة الاسبانيّة
* تأليف تروتسكي
* ترجمة : علي الشهابي

* الطبعة الأولى 1992
* النّاشر : دار الحوار للنشر والتوزيع
اللاذقيّة ـ ص.ب 1018 ـ هاتف 22339 ـ سوريّة
تيليكس 451086 Booth Sy

العنوان الأصلي للكتاب

THE SPANISH REVOLUTION
1931 - 1939
LEON TROTSKY

ليون تروتسكي

الثورة الإسبانية

علي الشهابي

مقدّمة الطبعة الانكليزية

يشكّل صدور أعمال ليون تروتسكي الكاملة عن الثورة الاسبانيّة 1931 — 1939 إضافة في وقتها وضروريّة للأدب الماركسي الثوري . فالعديد من هذه الرسائل والقرارات والكراريس إما نفذت من الأسواق منذ وقت طويل أو أنّها تظهر هنا باللّغة الانكيزية للمرّة الأولى . وأهمّيتها أبعد ما تكون عن مجرّد تاريخية لأن إسبانيا كانت ، في العديد من المجالات ، محكّ استراتيجيّة وتكتيك الثورة والثورة المضادّة في هذا القرن . ولم تفقد تجارب النضال المرير التي تفصلنا عنها بضعة عقود من أهميتها إلا القليل .

وما هو جدير بالملاحظة أنّنا قد رأينا في السنوات القليلة الماضية إحياء التكتيك المركزي الذي مارسته الأحزاب الشيوعيّة والاشتراكية في الأحداث الإسبانيّة : إئتلاف الجبهة الشعبية بين أحزاب الطبقة العاملة والبورجوازيّة اللّيبراليّة . إن من يميلون إلى تصوير حكومة الوحدة الشعبيّة لسلفادور اللّيندي في تشيلي ونظام سيريمافو SIRIMAVO بندرنايكافي سيلان ـ وكلاهما وصل إلى السلطة عبر الانتخابات عام 1970 ـ كأدوات لبناء مجتمع اشتراكي يفعلون خيراً إن يراجعوا سجلّ الجبهة الشعبيّة في إسبانيا .

لاتنبثق أهميّة الثورة الاسبانية من فرادتها بقدر ما تنبثق من كونيّتها . بما أنّ تطوّر إسبانيا جعلها في منتصف الطريق بين البلدان الرأسمالية المتطوّرة والمتخلّفة ، لذا نراها تجمع العديد من ملامح الصراع الطبقي في كلا المجتمعين . فتاريخ الفلاحين الاسبان فيه الكثير مما يذكّر بأمريكا اللاتينية ، وبنفس الوقت فإن النواة البروليتارية للحركة الثوريّة في إسبانيا تجعل الثورات والحرب الأهليّة الاسبانية تتضمنان العديد من المشاكل الاستراتيجيّة للحركة العمّاليّة في أوروبا الغربية والولايات المتّحدة . فمثلاً إن كثرة المدن في اسبانيا أعطت الحرب الأهليّة للسيطرة على المراكز الصناعيّة طابع الصراع المتطاول

الذي اتّخذ شكل حرب مواقع أكثر منه شكل حرب متحرّكة أو حرب عصابات . لذا لم تكن النتيجة لتتحدّد بالاستيلاء على مدينة كبيرة أو اثنتين كما يمكن أن يكون الحال في بلد أصغر أو أقلّ تطوّراً .

يميل المؤرّخون الغربيّون عموماً إلى معاينة الصراع الإسباني من الزاوية العسكرية أو التقنية المحضة ، إذ نراهم يقارنون كميّة السلاح و «المتطوّعين» ودعم الطيران الذي قدّمه لفرانكو داعموه الألمان والإيطاليّون . لكن هذا لايكفي لتفسير سبب الانتصار النهائي للقوّات الفلانجيّة Falangist لأنّ التعبئة الثوريّة للجماهير ، كما يظهر المثال الفيتنامي ، يمكن أن تهزم التفوّق التقني الكبير أو تبطل مفعوله .

الثورة الاجتماعية ـ بما فيها الحرب الأهليّة ـ ليست مجرّد تصادم أيديولوجيّات أو شخصيّات سياسية بل مواجهة بين الطبقات الاجتماعية حول مسألة أيّة طبقة ستحكم . وفي مرحلة الرأسماليّة الحديثة ثمّة طرفان متصارعان فعلاً : من يحكمون ـ البورجوازيّة الماليّة والصناعيّة والعقاريّة ـ وخصمهم الرئيسي الطبقة العاملة الصناعيه . أمّا الأقسام الأخرى من المجتمع . الطبقات الوسطى المدينيّة ـ والفلاّحون في البلدان المتخلّفة ـ فهي في التحليل النهائي تتبنّى قيادة وبرنامج هذه أو ذاك من الطرفين المذكورين .

مما لا شكّ فيه أنّ دور العناصر التقنيّة هامّ في المعركة الطبقيّة ، لكنّه ليس حاسماً . ولو كان حاسماً لا نتفت إمكانيّة الثورة الاشتراكيّة لأنّ الطبقات الحاكمة القديمة تدخل دوماً في ساحة الصراع الطبقي ضد الطبقة العاملة وتحت امرتها الجيش والبوليس وباقي قوّات القمع المنظّمة داخل المجتمع . ومع ذلك نجحت سلسلة من البلدان في القرن العشرين في تحطيم سلطة الرأسمالية وبناء دول عمّاليّة بدءاً من ثورة أوكتوبر الرّوسيّة عام 1917 وحتى الثورة الكوبيّة في نهاية الخمسينات . إنّ ما يحدّد في النهاية انتصار الطبقة العاملة أو هزيمتها هو برنامج ا لحركة الثورية المكافحة وطرائقها التنظيميّة وتوقّد ذهن قيادتها . وكل هذا يجد تعبيره الأرقى والأكثر وعياً في بناء الحزب السياسي الثوري على الطراز اللّيليني . وتروتسكي كقائد مركزي لثورة أوكتوبر الظافرة في روسيا فهم هذا جيّداً . وكتاباته حول إسبانيا مشبعة بإدراكه للحاجات الماسّة لبناء حزب جماهيري ثوري للطبقة العاملة الإسبانيّة وبرفضه بازدراء لكلّ البدائل الرخيصة

التي كانت تدّعي أنها هذا الحزب . وكانت الحاجة الماسّة للحزب الثوري هي فعلاً القضيّة رقم واحد بين القضايا التي شغلت اهتمام الثوري الروسي المنفي في كتاباته في هذا الكتاب . ففي النصف الأوّل منه ،قبل الحرب الأهليّة ، تجلّى هذا الموضوع في محاولاته للتأثير على تطوُّر الفرع الإسباني من المعاضة اليسارية الأمميّة المؤسّس حديثاً . في حين أنَّ كتاباته اللاحقة ،بعد الحرب الأهلية ، تقوده إلى محاولة تربية كل حركة الأمميّة الرابعة على نبذ الفئويِّين والوسطيِّين من صفوفها : الفئويِّين المعارضين لدعم الجمهوريين في الصراع العسكري ضد فرانكو في الحرب الأهليّة ، والوسطيين الذين كانوا يتذبذبون في مسألة سياسة الجبهة الشعبية .

لتقييم أسباب فشل الثورة الإسبانية من الضروري ليس فقط معاينة العوائق الموضوعية بل أيضاً الخلل النظري والتنظيمي عند الثوريين الذين خاضوا الصراع ، أي العامل الذاتي . وهذا ما يكثر منه تروتسكي ولكن بعدل وتفهُّم كبيرين . وحتى القراءة السريعة لمراسلاته مع قادة المعارضة اليسارية الإسبانية تكفي لتبديد الأسطورة التي يغذّيها أنصار الستالينية من أنه لم «يفهم» المفهوم اللينيني للحزب أو كيفيّة تطبيقه على الأوضاع العيانية .

لقد كانت اسبانيا ساحة لاختيار البرامج والتيّارات الثورية التي لها مثيلاتها في عدّة بلدان من العالم في هذا القرن . وهذا معيار آخر يكون فيه للتجربة الإسبانية تطبيق عام يتجاوز الزمان والمكان المحدّدين اللذين حدثت فيهما . إذ انوجدت على الساحة الإسبانية كل التيارات المعبِّرة عن راديكاليّة الطبقة العاملة من الفوضوية إلى الاشتراكية ـ الديموقراطية الإصلاحية إلى الحزب الشيوعي المؤيِّد لموسكو والملتزم بالستالينية إلى الوسطية ـ المجموعات التي كانت تنوس بين الفعل الثوري والإصلاحية ـ إلى الاشتراكية الثورية .وكل من هذه التيارات أمكن له ، بطريقته الخاصّة ، التأثير في النتيجة طالما أنَّ مسار الثورة قد فسح في المجال لكل منها إظهار قيمة برنامجه وأطروحاته في وضع ثوري حقيقي .

كانت الدعامة الضرورية للنصر مفقودة ، لا لانتصار الاشتراكية فحسب بل أيضاً لمواصلة الحرب بنجاح ضد التمرُّد الفاشي : لم يتم بناء حزب ثوري جماهيري في

الوقت المناسب

إن الوثائق المجموعة في هذا الكتاب ليست تأريخاً للثورة الإسبانية ،وإنّما مراسلات وجدالات ثوري ممارس يسعى للتأثير في الأحداث أكثر مما لتسجيلها . وقد جاءت بمعظمها على شكل انتقادات عيانية واقتراحات تكتيكية يوجّهها تروتسكي لأتباعه في إسبانيا وللقوى التي أعلنت ، لفظيّاً على الأقلّ ،أنها مع الثورة الاشتراكية . وهي تتضمّن ،بشكلٍ أقلّ ، انتقادات لاذعة لبرامج التنظيمات اليسارية غير الثورية .

وبالنسبة للقارىء غير المطّلع على اليسار الإسباني في الثلاثينات لا بأس في أن يتتبّع باختصار أصول الأزمة الثورية التي انفجرت عام 1931 وعلاقات القوى بين التنظيمات العمّالية في تلك المرحلة .

الجذور الاجتماعية للثورة الإسبانية :

دخلت اسبانيا القرن العشرين كواحدة من أكثر بلدان أوربا تخلُّفاً ، وتتربّع على قمّتها طبقة حاكمة متفسّخة وملكية مطلقة تقوم على دعامتين : الكنيسة الكاثوليكية وسلك ضبّاط الجيش الأرستقراطي . ورغم المظهر شبه الإقطاعي لبناء الدولة الفوقي فإن نواة الطبقة الحاكمة كانت رأسمالية وتتألّف من تحالف قلق بين كبار ملاّك الأراضي في إسبانيا الكاستيليّة Castillian (الذين كانوا ينتجون للسوق الرأسمالية العالمية) وصناعيي كاتالونيا والباسك .

كانت تتنازع اسبانيا تاريخيّاً قوّتان دعاة المركزية الكاستيليين المطالبين بحكومة توحيدية قويّة والمضادّين للمركزية من الكاتولينيين والباسكيين المطالبين بالحكم الذاتي أو الاستقلال ،بما يتوافق مع لغتهم المستقلّة وثقافتهم .

وكان الطابع الغالب على اسبانيا ،ولا يزال ، الإنتاج الزراعي . إذ أنّ 70٪ من عدد سكّانها البالغ 24 مليون عام 1936 كانوا يعيشون من الأرض . ولم يكن هؤلاء السكان الريفيون المسحوقون بوحشية ،بكتلتهم الأساسية ،طبقة فلاّحية . إذ يقدر

جيرالد برنان Bernan[1] أن ثلاثة أرباعهم كانوا من العمّال الزراعيين الذين لا أرض لهم ،أي أشباه بروليتاريا ريفية ، ويصوِّر شروط حياتهم كما يلي :

كان أجرهم عام 1930 من 3 — 3,5 بيزيتا ﴿ كانت البيزيتا تساوي 12,5 سنت أمريكي ﴾ مقابل ثماني ساعات عمل يومياً لمدّة أربعة أو خمسة أشهر في السنة . وفي الصيف وتحت لهيب شمس الأندلس الحارقة كان أجرهم يتراوح بين 4 — 6 بيزيتا مقابل اثنتي عشرة ساعة عمل يوميّاً .

وباقي السنة . . طوال ستة أشهر . . كانوا يبقون بلا عمل . وكان طعامهم اليومي ، باستثناء فترة الحصاد التي يأكلون فيها البقول ، فتّة زيت وخلّ وخبز وماء . كانوا يأكلونها ساخنة على الفطور وباردة على الغداء ويعاودون تسخينها على العشاء . . . وأعداد كبيرة من هذه العائلات لم يكن عندها من الأثاث إلاّ الطنجرة ،وكانوا يتناولون وجباتهم على الأرض كالحيوانات .

اغتنى حكّام إسبانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من جرّاء تصدير المنتجات الزراعية للبلدان الأوروبية المتحاربة . والربح الناجم عن هذا التجارة قام بتطوير صناعي سريع وخصوصاً في كاتالونيا ، عاصمة برشلونة ،وفي سانتاندر- Santander وبلباو على شاطىء الباسك الشمالي .

وهذا ما أدى بدوره إلى نمو البروليتاريا الإسبانية في المناطق الانفصالية وإلى توسع نطاق الحركة العمالية الجماهيرية الراديكالية .

ولما تعمقت راديكالية الجماهير من جراء إغلاق الأسواق الخارجية بعد انتهاء الحرب التفتت الطبقة الحاكمة إلى حارسها التقليدي ، الجيش . في عام 1923 أقام الجنرال بريمودي ريفيرا ديكتاتورية عسكرية كان من المقرر لها أن تغطي الفترة الأخيرة من الاستقرار النسبي للطبقة الحاكمة الإسبانية التي كانت ستمتد حتى تحطيم الجمهورية عام 1939 . لكن بريمودي ريفيرا لم يتمكن من البقاء في السلطة إلا ثمان سنوات لأن الأزمة الاقتصادية الكبرى التي انفجرت عام 1929 وضعت حداً لهذه الفترة وأصبح المطلوب من الحكم المطلق أن يسحق كل احتجاج اجتماعي بأقدام القوات المسلحة . لقد أرغم الديكتاتور على الاستقالة عام 1930 ، وبعد ذلك بفترة قصيرة دعا الملك

الفونسو الثالث عشر إلى إجراء انتخابات بلدية جرت في نيسان 1931 وكانت نتيجتها في غير صالح الأحزاب الملكية والدينية . ولما كان الملك غير مهيأ لهذه النتيجة غادر إلى المنفى ، أما الليبرالية الإسبانية الخانعة والخرساء فلعلع صوتها أخيراً .

قامت جمهورية 1931 على ائتلاف من الأحزاب البرجوازية الليبرالية والحزب الاشتراكي الإسباني بزعامة فرانسيسكو لارعو كاباليرو وأنداليشو بريتو Indalecio Prieto (وكلاهماكان عضواً في الحكومة الأولى) هذا التحالف من الأحزاب المنبثقة من طبقتين اجتماعيتين متناقضتين كان سلف حكومه الجبهة الشعبية التي ستقود الجمهورية أثناء الحرب الأهلية بدءاً من انتخابات شباط 1936 .

لقد كانت الأحزاب البرجوازية ، التي كان قائدها الأبرز مانويل آزانا ، ضد الاشتراكية طبعاً ،وقامت شراكتهم مع الحزب الاشتراكي ، والشيوعي فيما بعد ، على أساس الدفاع عن الحريات الديمقراطية والإصلاح الاجتماعي المحدود . ولم تكن عندها الرغبة أو الوسيلة لتحطيم سلطة الأرستقراطية العقارية أو بارونات الصناعة . أما دياغوجيتهم الإصلاحية أيقظت بين جماهير العمال في المدينة والريف آمالاً ليس بمقدور هذه الأحزاب تحقيقها .

كان النهوض الثوري للجماهير الاسبانية النتيجة الرئيسية لارتخاء قيود الحكم المطلق في ظل الجمهورية . وبدءاً من 1931 انطرحت الثورة الاجتماعية ، وهذا ما أفاق الليبراليين الجمهوريين . كان تروتسكي من أوائل من رأوا أن هذا النظام مخلوق ضعيف معني بالحفاظ على علاقات الملكية الرأسمالية لكنه مضطر للتوازن القلق بين الجماهير الساخطة وبين المدافعين المتشددين من الرجعية البورجوازية . وحتى قبل إعلان الجمهورية قال تروتسكي عن البورجوازية الجمهورية في مقالته« الثورة في إسبانيا»إن « خوفهامن الجماهير اشد من عدائها للملكية » ولقب آزانا بـ« كيرنسكي إسبانيا » أي شخص عابر سيقوم قادة الصناعة الحقيقيون بتنحيته جانباً عندما يستعدون لتوجيه الضربة القاضية للحركة الجماهيرية التي تهدد سلطتهم . والمضحك المبكي في الثورة الإسبانية أن آزانا بقي في منصبه لا بفضل البورجوازية التي حاول فعلاً أن يخدمها حتى النهاية بل بفضل أحزاب الطبقة العاملة التي ضحت بإمكانية الثورة الاشتراكية

حفاظاً على الأبهة الفارغة التي كانت ليبرالية آزانا تضفيها على الجمهورية .

منظمات اليسار الإسباني :

الفوضوية :

لأسباب تاريخية محددة كانت الفوضوية ـ والأدق السنديكالية الفوضوية ، أي الفوضوية المعبر عنها لا تنظيم سياسي بل نقابي ـ هي التيار الأوسع انتشاراً بين العمال الإسبان . فممثلو الأممية الأولى ـ رابطة الشغيلة العالمية ـ الذين وصلوا في البداية إلى إسبانيا عام 1868 لم يكونوا أتباع ماركس بل باكونين . ووجدت الفوضوية مرتعاً لها بين العمال الزراعيين الذين لا أرض لهم والمنتشرين على رقعة جغرافية واسعة وغير المتمركزين أو المنظمين في المصانع الكبرى كما هو حال العمال الصناعيين في البلدان الأكثر تطوراً .

وكان مركز الفوضوية الرئيسي الثاني بين العمال المؤيدين للانفصال والمضادين لكل سلطة في مصانع برشلونة في كاتالونيا . وهنا كان المزاج العام الذي تنشره البورجوازية الصغيرة الرايكالية كجزء من نضالها ضد دعاة المركزية في مدريد يتخذ شكل المعارضة لكل سلطة . فالعقيدة الفوضوية تتوافق مع هذه العواطف التحررية Libertarian ولكن ليس فقط بمعارضتها الثورية للظلم البورجوازي بل أيضاً ، وبشكل سلبي ، بمعارضتها لقيام تنظيم منضبط للعمال يقاتلون من خلاله من أجل انعتاقهم . يؤكد الفوضويون على نضال العمال العفوي، ويتجنبون كل عمل سياسي وتنظيمي باعتباره شركاً بورجوازياً ويشجعون الإرهاب الفردي ضد ممثلي الحكومة .

إن أحد الأركان الأساسية للتفكير الفوضوي والذي كان سبباً في تحلل الفوضوية الإسبانية ومن ثم دمارها هو رفضها لكل شكل من أشكال الدولة . وكان هذا الرفض يولد عملاً جماهيرياً ثورياً طالما أنه يتوجه ضد الدولة البورجوازية ، لكن الطبقة العاملة ، إذا ما أرادت الانتصار ،عليها في مجرى النضال الثوري أن تتجاوز أشكال التنظيم المحلية إلى شكل دولة خاص بها على الصعيد القومي .

كان الـ .C.N.T(الاتحاد القومي للعمل) الذي تأسس عام 1911 التنظيم الفوضوي الرئيسي وبلغ عدد أعضائه 1,5 مليون عام 1931 . وكان يهيمن عليه المركز الفوضوي المحظورF.A.I.(الاتحاد الفوضوي الايبيري) الذي يعتقد أن عدد أعضائه عام 1936 كان حوالي ثلاثين ألف عضو[2] .

وقيادة هذين التنظيمين كانت منقسمة إلى جناحين يميني ويساري وكان يقودهما على التوالي خوسيه غارسياGarciaوأوليفر بونافنتوراBuenaventura وبينما كانت الأزمة الثورية تتعمق في الثلاثينات وتبلغ ذروتها في العمليات العسكرية المكشوفة كان هذا الانقسام يلعب دوراً هاماً في تحطيم الفوضوية الإسبانية ، وبتحطيمها كان يتحطم القطاع الأكثر كفاحية من الطبقة العاملة الإسبانية .

وتحت غطاء امتناع الفوضوية التقليدي عن المشاركة في الانتخابات كان غارسيا أوليفر وغالبية القيادة الفوضوية يغذون السير باتجاه النقابية الإصلاحية ليس إلا . هذه القيادة التي لم تشأ أن تدعو العمال إلى الصراع لتشكيل حكومة ثورية تخلت أخيراً عن مبدئها الأساسي المعارض لكل شكل من أشكال الحكومة عندما انضمت إلى البورجوازية الليبرالية في حكومة الجبهة الشعبية . كان هذا الامتحان الرئيسي للفوضوية كنظرية ثورية . إذ أن قادتها قد تخلو عنها كمرشد عمل أثناء الثورة الحقيقية لأنها عديمة النفع . وقد شبه تروتسكي هذه العقيدة بالبرنس المطري المليء بالثقوب : إنه عديم النفع وخصوصاً عندما تمطر .

الحزب الاشتراكي الإسباني :

كان هذا الحزب أحد التنويعات غير العادية للاشتراكية ـالديمقراطية إذ أنه قرر رسمياً عدم الانضمام إلى الأممية الشيوعية فقط عام 1921 وفقط بأغلبية ضئيلة . وهذا أيضاً كان منقسماً إلى جناحين : يميني يقوده بريتوPrietoويساري يقوده لارغو كاباليرو . ومع أنه أصغر من الفوضويين فقد كان يهيمن على اتحاد هام هو الـU.G.T.(الاتحاد العام

للعمال) الذي كان عدد أعضائه عدة مئات من الألاف في بداية 1930 . وكانت أوساطه الرئيسية بين العمال الصناعيين في مدريد بلباو وبين عمال المناجم في آستورياس .

كانت قوى بريتو إصلاحية على المكشوف وشبيهة بالأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية في فرنسا وألمانيا ، في حين أن تناقضات أشد كانت تعتمل في جناح كاباليرو . بالكلام ، وخصوصاً بعد عام 1934 ، كان يدعو إلى تسليح الجماهير وإلى ديكتاتورية البروليتاريا، أما بالأفعال فكان توفيقياً وتوافق مع الليبرالية وشارك في حكومات ائتلاف التعاون الطبقي بين عامي 1931 ـ 1936 . ومن جهة أخرى فحتى بداية 1936 ، عندما اندمجت شبيبته بالشبيبة الستالينية ، كانت شبيبته تتطور سريعاً باتجاه الماركسية الثورية . وما تشكّى منه تروتسكي بمرارة من أولئك المعروفين بأنهم أتباعه في إسبانيا أنهم أخفقوا في رؤية هذا التيار الثوري داخل الشبيبة الاشتراكية ولم يجدوا طريقة من العمل المشترك للوصول إليه .

الحزب الشيوعي[3] :

كان في البداية أصغر الأحزاب الرئيسية للطبقة العاملة ، لكنه ارتقى في مجرى الحرب الأهلية إلى موقع السيطرة الفعلية على الحكومة الجمهورية . وقامت أبرز قادة الحزب دولوريس ايباروري(« La Pasionaria ») في خطاب لها في موسكو عام 1934 بتقدير عدد أعضائه عندما تأسست الجمهورية عام 1931 بثمانمائة عضو[4] . أما هف توماس Hugh فيقول إن عدد أعضائه كان عام 1936 عشرة آلاف[5] .

كان هذا الحزب بلا جذور داخل الطبقة العاملة الإسبانية وذا قيادة يفتقد معظمها للشخصية المستقلة ، وكان بشكل رئيسي أداة لسياسة الكومنترن وتعبيراً عن تعرجات ستالين في عقد الثلاثينات المفعم بالاحداث . لم يترك ستالين أبداً مسألة تطبيق قرارات الكومنترن في إسبانيا فقط لنباهة مؤيديه هناك وإنما قام بدءاً من عام 1933 بإرسال

مجموعة من « الخبراء » الخصوصيين وأكثرهم مقتاً كان الايطاليان فيتورو كودفيلا Vittoro Codovilla وفيتورو فيدالي Vidali وكارلوس كونتيراس Contreras والهنغاري ايرنو غيرو Erno Gero[6]

لم يدعم الحزب الشيوعي الإسباني الحكومة الجمهورية عام 1931 لأن الكومنترن كان لا يزال في مرحلة التطرف اليساري(المرحلة الثالثة) التي دامت من 1928 ـ 1934 . إذ أن كل فروعه كانت طوال هذه الفترة ضد التعاون مع الحكومات البورجوازية، أو المشاركة فيها انسجاماً مع الموقف التقليدي للماركسية . كما أنهم رفضوا ، في ظل وصاية ستالين ، العمل المشترك مع الأحزاب الأخرى للطبقة العاملة . والنتيجة الأكثر مأساوية لهذه السياسة كانت في ألمانيا حيث قام الحزب الشيوعي الألماني بشجب الاشتراكيين الديمقراطيين باعتبارهم« اشتراكيين فاشيين» ورفض السعي لإقامة جبهة موحدة معهم لمواجهة صعود هتلر . فوصول النازيين للسلطة ومن ثم إبادة الحزب الشيوعي الألماني، دفع الكرملين بعد عام 1933 إلى القيام بالانعطاف بعد فوات الأوان . لكن الستالينيين بدل أن يعودوا إلى التكتيك اللينيني المتمثل في الجبهة الموحدة للطبقة العاملة انتقلوا إلى دعم الحكومات الرأسمالية« الديموقراطية» تحت شعار« الجبهة الشعبية المضادة للفاشية»

اتخذ الانعطاف اليميني للكومنترن شكله الرسمي في المؤتمر السابع عام 1935 . وقام الحزب الشيوعي الإسباني في انتخابات شباط 1936 بتأييد ائتلاف الجمهوريين والاشتراكيين(الحزب الاشتراكي) وطلب من مندوبيه إلى الكورتس (البرلمان) التصويت لصالح الحكومة .

وموقف الكومنترن هذا حدد موقف تروتسكي من الحزب الشيوعي الإسباني . فقبل استيلاء هتلر على السلطة كان منظور تروتسكي العمل على إصلاح الأحزاب الواقعة تحت تأثير ستالين ، إذ أنه وأتباعه في المعارضة اليسارية الأممية كانوا يعتبرون أنفسهم مجموعة مطرودة من الكومنترن وليس حزباً مستقلاً تمام الاستقلال . لذا في الوقت الذي كانت فيه المعارضة اليسارية الأممية ـ والملتزمون بها في إسبانيا ـ تبقي على تنظيمها الخاص وصحافتها الخاصة نراها تتوجه بدعواتها وانتقاداتها إلى قواعد

الأحزاب الشيوعية وهذا ما تجلى في كتابات تروتسكي الموجودة في هذا الكتاب حتى مقالةX« مشكلات المعارضة اليسارية الإسبانية» المؤرخة في كانون الأول 1932 . وفي وصفه للموقع السياسي للكومنترن نراه يستخدم مصطلح « الوسطية البيروقراطية » الذي يعني اللاتساوقInconsistencyويترك المجال مفتوحاً أمام عودة الأحزاب الشيوعية إلى السياسة الثورية حقاً .

أما بعد الهزيمة في المانيا فيتخلى تروتسكي وأتباعه عن الأمل بإصلاح الأممية الشيوعية طالما أن الحزب الشيوعي الألماني كان عاجزاً عن القيام بأي مقاومة جدية للفاشية ، فهذا ، من وجهة نظر تروتسكي ، دلالة على مرض عضال . لذا تخلى في هذه المرحلة عن وصف الكومنترن بالوسيطة البيروقراطية ، ولم يعد يعزو سياساته إلى مجرد أخطاء إجرامية بقدر ما أصبح يعزوها إلى نوايا متعمدة ضد الثورة من جانب البيروقراطية الستالينية ، وأنها بسعيها« للتعايش السلمي» مع البلدان الامبريالية استخدمت الحركات العمالية كبيادق شطرنج خدمة لمتطلباتها الدبلوماسية . وهكذا لم يعد تروتسكي يعتبر إمكانية إصلاح البيروقراطية الستالينية مسألة واقعية لذا نراه يطرح بجرأة تشكيل أممية جديدة وأحزاب جديدة . ومنذئذ أصبحت هذه المسألة المهمة الرئيسية المسيطرة على أفكاره بخصوص إسبانيا .

المعارضة اليسارية وحزب العمال للتوحيد الماركسي :

انضوى تحت راية المعارضة اليسارية في إسبانيا عدد من قادة الطبقة العاملة البارزين ومنهم أندريه نن Nin الذي كان سكرتير الاتحاد القومي للعمل C.N.T. وفيما بعد سكرتير الأممية الحمراء للنقابات العمالية التابعة للكومنترن ، وخوان أندريد Juan Andrade الذي كان أحد قادة شبيبة الحزب الاشتراكي وعنصراً فاعلاً في اكتساب قسم كبير من هذه الشبيبة إلى الشيوعية . لقد جذب هذان الثوريان الموهوبان إلى البلاشفة اللينيين ـ اسم المعارضة وقتها ـ بعض أفضل العناصر في الحزب الشيوعي القديم

ولكن مع شديد الأسف لم يكن بمقدور أي من المعارضين الإسبان ، في هذه المرحلة ، أن يرتقي إلى مستوى متطلبات الثورة الوشيكة رغم أفضليتهم بالمقارنة مع الذين سجدوا أمام ستالين .

بدأت المعارضة اليسارية الإسبانية تشق طريقها التنظيمي بعد عام 1931 . وبحلول نهاية 1932 أصبحت أحد أكبر فروع المعارضة اليسارية الأممية وتابعت نموها منذئذ ، لكن هذا النمو كان أحادي الجانب على حساب الوضوح السياسي . وقسم كبير من هذا الكتاب عبارة عن مقترحات ورسائل من تروتسكي تتعلق بتكتيك واستراتيجية المعارضة اليسارية الإسبانية . ورغم اختلاف تروتسكي ونن في العديد من المسائل الثانوية إلا أن جوهر انتقاد تروتسكي لقيادة الثاني أنها توفيقية ، إذ كان ينوي أن يتكيف مع البرامج السياسية للمنظمات غير الثورية لتحقيق مكاسب تكتيكية ثانوية . وهذا يصح بخصوص علاقاته مع الاتحاد الكاتالوني الذي يقوده جواكين مورينJoakin Maurinوبشكل أقل مع الفوضويين . أما الأمر الثاني الناجم عن نفس الرغبة في التكيف وتجنب الصراع مع من على يساره فكان ميله الواضح إلى الامتناع عن القيام بالإجراءات التي تؤدي إلى انخراط التروتسكيين الإسبان في العمل المشترك مع العمال والشبيبة الاشتراكية والفوضوية لتتوفر لهم في خضمه فرصة اكتسابهم إلى جانب السياسة الثورية .

كانت شكوك تروتسكي كبيرة فيما يتعلق بالطرائق التنظيمية لبناء الحزب التي تتبعها القيادة الإسبانية إذ أن مفتاح تدريب الكوادر بالنسبة له هو الأممية ، لا بالمعنى البرنامجي فحسب وإنما التنظيمي أيضاً . فالمعارضة اليسارية كانت لا تزال في طور تعلم كيفية العمل في ظل الظروف الصعبة وكيفية التخلص من العناصر المعارضة والغريبة وكيفية إقامة قيادة جماعية جديرة بالمسؤولية . لقد توقع تروتسكي من القادة الإسبان أن يشاركوا بفعالية في الحياة الداخلية للمعارضة اليسارية الأممية وبمناقشاتها وصراعاتها . وهذا ما أكد عليه باعتباره واجبهم ليس فقط تجاه المعارضة اليسارية الأممية بل ايضاً تجاه المعارضين الإسبان . لكن نن ـ ربما بسبب تجاربه التعيسة مع الكومنترن المتستلن وربما لعدم قدرته على الارتفاع فوق المظاهر السلبية للتقليد الراديكالي الإسباني ـ أظهر عدم

اهتمام إقليمي ـ Provincialإزاء الحياة اليومية للمعارضة اليسارية الأممية إلا عندما كانت مناقشاتها وقراراتها تمس إسبانيا . لقد كان مشغولاً بالمشكلات الإسبانية أكثر من اللزوم حتى يعطي المعارضة اليسارية الأممية من وقته المزيد . كما أنه لم يكن مهتماًبطرح سياسة القيادة الإسبانية على لجنة بعيدة لتقوم بإمعان النظر فيها ونقدها لأن هذه اللجنة ، كما رآها ، عاجزة عن فهم الأحداث الإسبانية، وعن معرفة ما يجب عمله بالشكل الذي يفهمه نن وأندريد وباقي من على الساحة . ولهذا السبب ظل في منأى عن المشاكل الداخلية للمعارضة اليسارية الأممية ، وإن انخرط فيها فبطريقة ذاتية وعلى هواه .

وأسوأ ما في الأمر ، من زاوية نظر تروتسكي ،فشل القيادة الإسبانية بإشراك قواعدها في مناقشات المعارضة اليسارية الأممية . وإلا أنى لهم أن يصبحوا أعضاء ماركسيين واسعي الاطلاع وقادرين على الاعتماد على أنفسهم ؟! وأنّى لهم أن يتعلموا كيفية مقاومة ضغوط الوسط السياسي عليهم ؟!

لقد عرف تروتسكي أن قيام النظام الجمهوري في نيسان 1931 يبشر بأزمة ثورية ستدخل طورها الحاسم في غضون السنوات القليلة القادمة ، لذا حدد المهمة الرئيسية للمعارضين الإسبان على أنها النفاذ إلى العمال الراديكاليين في الاتحاد القومي للعمل لإبعادهم من تحت تأثير مضلليهم الفوضويين . واقترح أن يكون الشكل التنظيمي لإنجاز هذه المهمة هو الجبهة الموحدة بين الأحزاب اليسارية التي يجب أن تقوم على قاعدة حرية الثوريين بانتقاد برامج المشاركين الآخرين ، والأهم على قاعدة تشكيل الأجهزة المستقلة لسلطة العمال السياسية ، أي الجنتات(المجالس) JUNTAS وارتأى أن هاتين الخطوتين لا يمكن الفصل بينهما ، إذ أن اتفاق الجبهة الموحدة بين قيادات الأحزاب بدون إسناده بالمجالس العمالية غير الحزبية من شأنه أن يضغط باتجاه تعزيز الأجهزة البيروقراطية للأحزاب الإصلاحية .

لقد تصور تروتسكي قبل عام 1934 ان طريق العمال الفوضويين يمر عبر الحزب الشيوعي الرسمي ، لذا نراه يحث نن والتروتسكيين الإسبان على استخدام نفوذهم لتوجيه أعضاء الحزب الشيوعي بهذا الاتجاه . أما بعد هذا التاريخ فقد بدأ التجذر المتزايد لعقد الثلاثينات على الصعيد الدولي يتجاوز الأحزاب الشيوعية ووجد منفذاً

جديداً له تجلى بانبثاق أجنحة يسارية قابلة للحياة في الاشتراكية ـ الديموقراطية القديمة . وهذا ما حدا بتروتسكي إلى الاقتراح على فروع المعارضة اليسارية أن تدخل مؤقتاً إلى الأحزاب الاشتراكية كيما تتصل بهذا الجيش الجديد من الطلاب والعمال الثوريين الشباب . وعرفت هذه السياسة باسم« الانعطاف الفرنسي» لأن أول من طبقها التروتسكيون الفرنسيون عندما دخلوا إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي عام 1934 .

لقد وقف نن وآندريد في وجه هذا التوجه باتجاه الحزب الشيوعي في بداية الثلاثينات ، ولأسباب مشابهة رفضا« الانعطاف الفرنسي» إذ كانا معجبين بمنظمتهم أيما إعجاب واعتقدا أنها تكفي نفسها بنفسها وبالغا بأهمية ما كسبته عددياً وكانا في غاية الانزعاج من احتمال اختلاطهم الكبير مع جمهور الأحزاب الأخرى المعادي لهم . لذا لم يستوعبا معنى ما ينجم عن اعتبار المعارضة اليسارية لنفسها فصيلاً من الأممية الشيوعية . لقد فضلا تجاهل الحزب الشيوعي الإسباني الضعيف والقليل العدد والبدء فوراً ببناء حزب جديد . وقد حذرهما تروتسكي من مغبة الانخداع بالمظاهر لأن خلف هذا الحزب عديم الفاعلية تقف قوة الاتحاد السوفياتي الضخمة وإن تجاهله يمكن أن يؤدي إلى كارثة في المرحلة القادمة .

وكان لنن موقف مشابه عام 1934 من الشبيبة الاشتراكية السائرة يساراً . فالاندماج مع شبيبة الحزب الاشتراكي كان سيعرض استقلال المعارضة التنظيمي للخطر . والأدق كان سيعرض الروتين المريح للخطر . لتقييم هذه الفرصة الضائعة من الضروري أن نتذكر أن لارغو كاباليرو قام عام 1934 بمهاجمة الأممية الشيوعية علناً باعتبارها« إصلاحية» وأعلن عن تعاطفه مع فكرة بناء أممية رابعة . وقد قامت صحيفة الشبيبة الاشتراكية في مدريدRenovacionبدعوة التروتسكيين بالاسم إلى الانضمام إلى الحزب الاشتراكي لجعله بلشفياً . لكن نن وآندريد لم يقبلا الدعوة ، وبهذا مهدا الطريق أمام الستالينيين للاندماج بشبيبة الحزب الاشتراكي في بداية 1936 لينال الحزب الشيوعي بذلك أول قاعدة جماهيرية له في إسبانيا .

أما علاقات نن بمجموعة مورين في كاتالونيا فذات مغزى أكبر . لقد كان هذا الأخير ، كنن وآندريد ، قائداً بارزاً في الحزب الشيوعي وطرد في نهاية العشرينات

بسبب معارضته للستالينية . وقد أخذ معه تقريباً كل أعضاء الفرع الكاتالوني من الحزب ، الاتحاد الشيوعي الكاتالوني ـ الباليياريCataln – Balearicوالذي أصبح اسمه عام 1931« حلف العمال والفلاحين » فهذه المجموعة اختلفت مع ستالين حول الخط اليساري المتطرف للمرحلة الثالثة أكثر مما حول أمور سياسية أساسية . وكان مورين منحازاً للجناح اليميني أكثر مما للجناح اليساري من الحزب الشيوعي السوفياتي والكومنترن ، إذ كان متعاطفاً جداًداخل الاتحاد السوفياتي مع التيار البوخاريني .

بتاريخ 12 / 6 / 1931 كتب تروتسكي نقداًلاذعاً« لحلف العمال والفلاحين» في رسالة علنية وقال إن الاسم ذاته يوحي بأن الحزب ليس حزباً بروليتارياً . كما أن البرنامج لا يذكر الشيوعية ولا يدعو لثورة. اشتراكية بل ديموقراطية فالحلف يوبخ الحكومة الجمهورية البورجوازية بسبب« أخطائها» دونما توضيح لقاعدتها الطبقية ، كما أنه يمتنع عن انتقاد السياسة الستالينية داخل الاتحاد السوفياتي . وعلاوة على هذا كان مورين قانعاً بالنجاح داخل منطقة نفوذه ولم يكن لديه أي منظور لتوسيع منظمته الكاتالونية لتصير حزباً ممتداً على مجمل الساحة الإسبانية .

لقد جمعت نن ومورين روابط من الصداقة الشخصية لم تنقطع . وإنه لمن المرعب ، ولو بعد كل هذه السنوات ، قراءة مراسلات نن ـ تروتسكي« الموجودة هنا كملحق »ورؤية مدى أثر هذه الاعتبارات الشخصية على نهج نن السياسي . وهذه سمة قاتلة في السياسي الثوري . ونقيضاً لما ألح عليه تروتسكي ، قام نن بترتيب اندماج بين التروتسكيين الإسبان ومجموعة مورين الذي تم بشكل أساسي على أرضية برنامج مورين لا التروتسكيين . وهذا ما أفضى إلى تشكيل.P.O.U.M(حزب العمال للتوحيد الماركسي) في ايلول 1935 .

يقوم الستالينيون وكثير من المؤرخين بتعريف حزب العمال للتوحيد الماركسي كـ« تروتسكي » إلا أن هذا الحزب لم يعتبر نفسه كذلك ولا تروتسكي أو الأممية الرابعة اعتبراه كذلك . . وتقييم تروتسكي النهائي له أنه يطرح نظرياً حلولاً ثورية للأزمة الإسبانية لكنه بنفس الوقت يتردد في القيام بالأفعال الضرورية الكفيلة بوضع هذه الحلول موضع التنفيذ ، وبهذا كان العقبة الرئيسية أمام تشكيل حزب اشتراكي ثوري

جماهيري في إسبانيا .

من جمهورية 1931 إلى الجبهة الشعبية :

منذ تأسست الحكومة في نيسان 1931 سارت الأمور باضطراد باتجاه الحرب الأهلية الأكيدة . فجماهير العمال الصناعيين والزراعيين توقعوا حدوث تغيرات سريعة في أوضاعهم في ظل النظام الجديد . ولما لم تتحقق هذه التغيرات بدأت الجماهير تتجاهل نصائح الليبرالية وتتحدى الطبقة الحاكمة مباشرة . وردت الحكومة« الشعبية» بطرائق أي نظام رأسمالي ،بعصا البوليس والرصاص . ثم اجتاحت إسبانيا موجة من الإضرابات في تموز وآب . ففي سيفيل(اشبيلية)Sevilleلم يتم سحق الإضراب العام إلا عندما استخدم الجيش المدفعية ضد المناطق العمالية ، وهذا ما خلّف ثلاثين قتيلاً ومائتي جريح . أما في كانون الثاني 1933 فقد قام الحرس المدني البغيض والأسالوتسAssalots« الجمهوري» الذي أنشىء مؤخراً ـ البوليس الخاص الذي اختير أعضائه لولائهم للجمهوريين ـ بإخماد انتفاضة فوضوية في قرية كاساس فيجاسCasas Viejasفي كاديزCadizحيث أعدمت دزينة من المساجين بدون محاكمة .

ورداًعلى ذلك حجبت الجماهير أصواتها عن الأحزاب الجمهورية وسقطت الحكومة لتحل محلها حكومة تعيسة للراديكالي السابق أليجاندرو لاروكسAlejandro Lerrouxهذا الكاهن السابق المحتال الذي عاد رجعياًاتكأ أكثر فأكثر على الدعائم القديمة للمحافظية ـ نسبة إلى المحافظين ـ الإسبانية : الكنيسة والجيش والأحزاب الملكية .

كان الجو مشبعاًبرائحة البارود ، وحتى الإصلاحيين البليدين أدركوا أن هذه الرائحة في القرى الإسبانية تنتظر شرارة الثورة الاجتماعية . وأصبح من الدارج القول ، حتى في الدوائر البورجوازية ، إن مستقبل إسبانيا لن يتحدد داخل الكورتس بل في الاشتباك المسلح بين البروليتاريا والقوى الرجعية . فابن الديكتاتور السابق : خوسيه أنتونيو بريمودي ريفيرا ، شكل في مدريد الحزب السياسي للفاشية الإسبانية فالانج إسبونالاFalange Esponalaوشرع السفاحون المسلحون بالاغتيالات المنظمة لقادة

النقابات وسياسيي اليسار .

تحول كل الاتجاه العام للسياسة الليبرالية والراديكالية في إسبانيا نحو اليسار ـ ولكن فقط في الكلام ـ ففي كانون الثاني 1934 ، وبناء على إصرار القوى الملتفة حول كاباليرو ، أنشأ الحزب الاشتراكي لجنة لشراء السلاح وتوزيعه على أعضائه . وفي الذكرى الثالثة لتاسيس الجمهورية كتبت صحيفة كاباليرو السوشلستEl Socialiste :

هل نريد 14 نيسان جديد ؟ نفضل أن نحقق شيئاً آخر ألا وهو أوكتوبر الإسباني . وإليكم الفرق : نيسان هو الأمل المحبط والوهم الضائع أما أوكتوبر فهو الشوق الراسخ والحل الأكيد . . . نيسان مواطنون بأوراق اقتراع أما أوكتوبر فعمال بالبنادق[7] .

لقد أمكن لكاباليرو أن يتحدث في مواجهة لاروكس ، لكن امتحان هذه الأقوال سيأتي في أيلول 1936 عندما سينضم كاباليرو إلى نظام نيسان الجديد . الذي كان آزانا رئيس وزرائه ، ليسهم بتعليق مشنقة أوكتوبر الإسباني . أما الآن ،عام 1934 ، فيمكن حتى لسياسيي الجناح اليساري من البورجوازية الجمهورية أن يقوموا بشحطات من هذه الثورة اللفظية . لقد صرح آزانا بنفسه ، وهو في المعارضة ، أنه في الوقت الذي يفضل فيه الطريق الانتخابي فإنه« يمكن أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه إلا حمل البنادق »[8]

في أوكتوبر 1934 استقدم لاروكس للمرة الأولى إلى حكومته ممثلي الـC.E.D.Aالحزب الكاثوليكي المغرق في يمينيته ، حزب جيل روبلز Gil Robles وسرعان ما قارنت أحزاب الطبقة العاملة هذه الخطوة بتعيين هندنبرغ مستشاراً في ألمانيا قبل سنة ، ورأت فيها محاولة لفرض حكومة فاشية على إسبانيا . وكانت ردة الفعل سريعة إذ باشر الاشتراكيون والفوضويون إضراباً عاماً حيث استولى عمال المناجم في أوستورياس على أوفيدو ليعلنوا قيام الكومونة . فاستدعت الحكومة الجنرال فرانكو ومرتزقة الجيش الأفريقي وفيالق مراكش الإسبانية لاجتياح المدينة ، وسقطت أوفيدو في 12 أوكتوبر وانتقمت القوات المنتصرة من العمال شر انتقام لأن شجاعتهم وصلت بهم إلى تحدي النظام القائم . وقد أسفرت نتائج المعارك والانتقام عن خمسة آلاف قتيل

وغصت السجون بأكثر من ثلاثين ألف معتقل سياسي . وستكون سياسة الإعدامات الجماعية نقطة مركزية في استراتيجية الإرهاب الفاشي داخل المدن التي ستسقط بيد فرانكو في الحرب الأهلية .

لقد تبين أن الثمن الذي دفعته الرجعية مقابل انتصارها في أوسترياس كان باهظاً . فالعمال انهزموا ولكن لم يرتعبوا . وتعمقت الكراهية للنظام ودخلت الأحزاب في أزمة مزقت التحالف المحافظ الذي كانت تستند إليه الحكومة . وفي شباط 1936 جرت انتخابات جديدة أعادت آزانا إلى السلطة على رأس ائتلاف الجبهة الشعبية المؤلف من اليسار الجمهوري البورجوازي والحزبين الاشتراكي والشيوعي . في حين أن الفوضويين ، وبخطوتهم المشؤومة الأولى نحو التحالف مع البورجوازية الليبرالية ، تنكروا لمبدئهم في الامتناع عن الانتخابات وأهابوا بمؤيديهم التصويت للجبهة الشعبية . وحتى حزب العمال للتوحيد الماركسي ، الذي سبق وأدان مفهوم الجبهة الشعبية في صحافته مرات كثيرة ، قام بتأييد« انتقادي »لقائمة الجبهة الشعبية ووقع بيانها الانتخابي المؤيد للرأسمالية . ثم قام نن وأندريد بتبرير هذا السلوك بذرائع يسارية ، وقالوا أنهم لا يثقون أبداً بآزانا وجماعته لكنهم يسعون فقط إلى هزيمة اليمينيين وضمان إطلاق سراح السجناء السياسيين .

لكن تروتسكي رد قائلاً ان خطوة كهذه ، وبغض النظر عن مبرراتها ، لا يمكن أن تكون إلا وضع الطبقة العاملة الإسبانية تحت قيادة عدوها التاريخي ، البورجوازية ، والتزامها بما يفرضه عليها من انضباط وكتب قائلاً : « إن تصرف أندريد ليس إلا خيانة **للبروليتاريا من أجل التحالف مع البورجوازية**» (التشديد في النص الأصلي) كما رفض بشكل خاص فكرة نن وأندريد القائلة بأن الصراع« المضاد للامبريالية» الذي تخوضه إسبانيا المتخلفة من أجل حق تقرير المصير القومي عبارة عن ظرف« خاص » . لقد ادعوا أن ظرفاً خاصاً كهذا يسمح لهم بتشكيل تحالف سياسي على برنامج مشترك مع أحزاب البورجوازية« اليسارية» وفي مقالته« خيانة حزب العمال للتوحيد الماركسي» التي كتبها في كانون الثاني 1936 يهاجم تروتسكي بلا رحمة فكرة عزم أي قطاع من البورجوازية الإسبانية ، ليبرالية أو غيرها ، على حل مشاكل إسبانيا المتخلفة :

« إن تحالف قادة الطبقة العاملة الإسبانية مع البورجوازية اليسارية لا شيء « قومي»فيه لأنه لا يختلف بتاتاً عن الجبهة الشعبية في فرنسا أو تشيكوسلوفاكيا أو البرازيل أو الصين » .

ومن سوء حظ البروليتاريا الإسبانية أن صحة هذا الحكم تأكدت في مجرى الحرب الأهلية . لقد سعى آزانا ، كرئيس للجمهورية ، إلى مسايرة الرجعية وإلى أن يظهر للجيش وللفالانج Falange أن بإمكان حكومته تأمين الاستقرار وتفادي الثورة البروليتارية . وكما فعل الليندي بعد ثلاثة عقود ونصف ، قام آزانا بمغازلة قيادات الجيش واستخدام السلطة الحكومية لمنع تسليح الجماهير لتدافع عن نفسها ضد اليمين . لقد رفض آزانا تطهير فيلق ضباط الجيش الذي كان يقف كمجموعة متعاضدة . وعلى أهبة الاستعداد ، لضرب الجمهورية والطبقة العاملة من خلالها .

إن تقييم تروتسكي لآزانا ككيرنسكي أصبح رأياً مشتركاً بين جميع الجنرالات والأحزاب اليمينية . فالاستقطاب الطبقي قطع شوطاًبعيداً ولم يعد ممكناً تسويته داخل صفاء جو البرلمان ، بل سيسوى في الأحياء العمالية في برشلونة وفي سهول آراغون . والكلمة الفصل في مسألة من سيحكم إسبانيا لن تتفوه بها الخطابة البرلمانية وإنما فوهات البنادق . ومع شديد الأسف فإن اليمين قد أدرك هذا أفضل من اليسار بكثير .

الحرب الأهلية :

بدأت الانتفاضة الفاشية في 17 / 7 / 1936 وفي الأيام الثلاثة التالية أعلنت تقريباً كل الحاميات العسكرية الخمسين تأييدها للفاشية . كما انضم إلى التمرد الفاشي الغالبية العظمى من الطبقة الحاكمة القديمة بما فيها الرأسماليون الصناعيون .

كان رد الفعل الغريزي لآزانا هو المساومة . لكن الشكل الوحيد لمواجهة الهجوم الفاشي كان يقوم في تسليح التنظيمات العمالية ، إلا أن كاساريز كيروغا Casares Quiroga رئيس وزراء آزانا ، أعلن بدلاً من ذلك أن كل من يعطي السلاح للعمال

سيعدم . وهذا ما ضمن انتصار الفاشيين في عشرات المدن وأدى إلى موت عشرات الآلاف من العمال . يكتب المؤرخ الليبرالي هف توماسHugh Thomasقائلاً :

قام الحكام المدنيون في كل مكان من المدن الكبرى في 18 تموز بالاقتداء بحكومة مدريد ورفضوا كلياً التعاون مع التنظيمات العمالية التي كانت تصرخ مطالبة بالسلاح . وهذا ما أدى في معظم الحالات إلى نجاح الانتفاضة الفاشية وإعدام الحكام المدنيين أنفسهم جنباً إلى جنب مع قادة الطبقة العاملة المحليين . . . ولكن لو وزعت حكومة كاساريز كيروغا الليبرالية السلاح وطلبت إلى الحكام المدنيين أن يحذوا حذوها ، أي لو استخدمت الطبقة العاملة للدفاع عن الجمهورية مباشرة ، لأمكن سحق الانتفاضة[9] .

في الثامن عشر من تموز استقال كاساريز كيروغا وعيّن آزانا ، الذي كان ما يزال يأمل بالتفاهم مع الفاشيين ، المحافظConservativeمارتينيز باريوMartinez Barrioلتشكيل حكومة معتدلة كيما يظهر احترام النظام الجمهوري لفرانكو . وخرج مائة ألف عامل إلى شوارع مدريد يصرخون« خيانة» ويطالبون بالسلاح . وتشكلت حكومة جديدة في التاسع عشر من تموز ووزعت السلاح على الجماهير على مضض . وهذا ما يحدد بداية مرحلة جديدة وحاسمة من الثورة الإسبانية .

أخذت السلطة الفعلية تنتقل في كافة أرجاء إسبانيا الجمهورية إلى أيدي المنظمات العمالية . وعندما رفضت الحكومة الإقليمية للرئيس لويس كومبانيسL.Campanysفي كاتالونيا تسليح الجماهير قام الاتحاد القومي للعمل وحزب العمال للتوحيد الماركسي بأخذ السلاح عنوة . وقد حدثت بعض أشرس المعارك في هذه المرحلة في برشلونة . قام الاشتراكي الإنجليزي جورج أورويلOrwelالذي وصل إلى كاتالونيا في كانون الأول وخدم في ميليشيا حزب العمال للتوحيد الماركسي بتقديم الوصف التالي :

على الأرجح أن هذا الجهد لا يمكن أن يبذله إلا شعب كان يقاتل بعزيمة ثورية ، أي شعب يؤمن أنه يقاتل من أجل وضع أفضل مما هو قائم . يبدو أن عدد الذين سقطوا في الشوارع في يوم واحد في مجمل المناطق التي اندلعت فيها الثورة ثلاثة آلاف . لقد اندفع الرجال والنساء المسلحون فقط بأصابع الديناميت عبر الساحات العامة ونسفوا الأبنية الحجرية التي كان يحتلها الجنود المدربون المسلحون بالرشاشات . كما تم

تدمير مرابض الرشاشات التي أقامها الفاشيون في المواقع الاستراتيجية باقتحامها بسيارات تبلغ سرعتها ستين ميلاً في الساعة[15] .

وشكلت أحزاب الطبقة العاملة والنقابات في كاتالونيا ميليشيات عمالية سحقت الفاشيين على جبهة واسعة في أراغون . وكان أهم هذه الميليشيات الفصيل الفوضوي الذي يقوده دوروتيDurruti

والمهمة العاجلة التي كانت تواجه إسبانيا الجمهوريةLoyalistهي إنشاء قوة عسكرية وتنظيم الإنتاج من أجل الدفاع . ورغم النظرية الستالينية القائلة بأن فرانكو يمثل« الإقطاعية»ـ طرحت هذه النظرية فقط لتبرير التحالف مع البورجوازية الجمهورية ـ فإن اصحاب المصانع في أغلب المناطق هاجروا إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة الفاشية . وقد قام العمال عفوياً بالاستيلاء على المصانع وتشغيلها تحت إشرافهم ، كما نظموا دوريات لتحل محل البوليس واستولى الفلاحون على الأرض . ما كان يجري هو ثورة اجتماعية على نطاق واسع . ويصف جورج أورويل برشلونة كما رآها لدى وصوله في كانون الأول 1936 :

هذه هي المرة الأولى التي أتواجد فيها بمدينة تسيطر عليها الطبقة العاملة . لقد استولى العمال عملياً على كل المباني الكبيرة والصغيرة وزينوها بالرايات الحمراء أو براية الفوضويين الحمراء والسوداء . وعلى كل الجدران رسمت على عجل صورة المطرقة والمنجل وكتبت الأحرف الأولى من أسماء الأحزاب الثورية . . . وعلى كل متجر أو مقهى كتبت عبارة تقول أنه ملكية عامة . . . لم تكن ثمة سيارات خاصة ، فكلها صودرت للأغراض العسكرية . وكل الترامات وسيارات الأجرة والكثير من وسائط النقل طليت بالأحمر والأسود . وكانت الملصقات الثورية تعم أرجاء المكان فتبدو كأنها ألسنة من اللهب المتصاعد من الجدران الحمراء القانية والزرقاء الصافية بحيث تظهر الكتابات التي بداخلها وكأنها لوحات غضارية[16] .

في 21 تموز قامت أحزاب الطبقة العاملة ونقاباتها في كاتالونيا بتنظيم اللجنة المركزية للميليشيا المضادة للفاشية التي أصبحت فوراً القوة الحقيقية الوحيدة على الساحة .

قامت في إسبانيا الجمهورية حكومتان تتنافسان على السلطة باسم الطبقات المتناقضة ـ وهذه الظاهرة اتخذت في روسيا اسم « ازدواجية السلطة » ـ بحيث اصطفت لجان المصانع المشكلة عفوياً ووحدات الميليشيا والمجالس الفلاحية المدعومة من الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي في جانب واصطفت في الجانب الآخر الحكومة الجمهورية الرسمية برئاسة آزانا والمؤلفة من حفنة من السياسيين الرأسماليين الليبرابيين المقطوعين عن قاعدتهم الاجتماعية والمفتقدين لأي أنصار بين الشعب في الجمهورية . وهؤلاء الأخيرون سماهم تروتسكي « خيال البورجوازية » لأن الطبقة التي كانت تستند إليها سلطتهم انحازت إلى جانب فرانكو ولم يبق منها إلا تماثيلها المعتمدين في وجودهم السياسي ذاته على دعم الحزبين الشيوعي والاشتراكي اللذين أصبحا الدعامة الأساسية للنظام .

ولكن هذا لا يعني أن آزانا ووزراءه كانوا مستعدين لتبني برنامج الثورة الاشتراكية حفاظاً على مناصبهم ، بل كانوا ضد كل الإجراءات الاجتماعية الثورية التي قام بها عفوياً عمال الزراعة والصناعة بعدما تحركوا . إذ كانوا يرون من الضروري تقليص الإصلاحات الاجتماعية إلى أبعد الحدود كيلا ينفر رجال الأعمال الليبراليين أو الحكومات الديموقراطية في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة التي كانوا يأملون دعمها .

والحقيقة هي أن رجال الأعمال الليبراليين كانوا يقاتلون إلى جانب فرانكو ، أما المهمة العسيرة المتمثلة في امتناع الديموقراطيات الغربية بالتغاضي عن مصالحها الطبقية والتخلي عن فرانكو فتبين أنها أيضاً من قبيل الوهم . لأن هذه البلدان ، وبذريعة الحياد ، رفضت حتى بيع السلاح لحكومة إسبانيا الشرعية . وبنفس الوقت تجاهلت الدعم العسكري الكبير الذي كان يقدمه لفرانكو هتلر وموسوليني . والمضحك في الأمر أن من فبرك مبدأ « عدم التدخل » هو رئيس وزراء فرنسا الاشتراكي ـ الديموقراطي ليون بلوم، الذي كان يرأس حكومة الجبهة الشعبية التي وصلت إلى السلطة بأصوات الحزب الشيوعي .

كان ميزان القوى في إسبانيا الجمهورية يميل بشكل حاد لصالح منظمات السلطة البروليتارية . وقد أسهم في حفاظ آزانا على السلطة عاملان : الأول تذبذب وتردد قيادة

الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي ، إذ بدل أن يقوموا بتوحيد مجالس العمال في كل إسبانيا ويقيموا حكومة عمالية راحوا ينتظرون حتى استعاد الليبراليون زمام المبادرة لينضموا بعدها إلى حكومة الجبهة الشعبية في أيلول 1936 وليوافقوا من ثم على مضض على التدمير القسري لكل منجزات الثورة . والثاني سياسة الكومنترن . فعلى الصعيد العسكري ، وبالعبارات التقليدية ، كان الفاشيون يمتازون على الجمهورية بكل المزايا : تحت أمرتهم جيش مدرب وتفوق في القوى الجوية ودعم غير محدود بالسلاح والعتاد والرجال من حلفائهم الألمان والإيطاليين . لكن الدفاع الممكن الوحيد ـ كما أظهرت كل ثورة عمالية ناجحة ـ في مواجهة هكذا حلقة متكاملة يكمن في التعبئة الجماهيرية للعمال والفلاحين . وهذا تحديداً ما رفضه الحزب الشيوعي بإصراره على الحفاظ على علاقات الملكية البورجوازية وعلى الجيش النظامي . لقد كان شغل ستالين الشاغل تأمين تحالف عسكري مع الامبرياليات الديموقراطية ضد ألمانيا النازية ، وكان هدفه في إسبانيا أن يثبت لحلفائه المحتملين أنه ليس معنياً بتشجيع انتشار الثورة وأنه يرغب بممارسة نفوذه لاحتواء الحركة العمالية في إطار الديموقراطية البورجوازية(وهذا أيضاً تبين أنه وهم . إذ رغم رغبة ستالين بالتصرف كجلاد للثورة الإسبانية فإن هذا لم يؤثر بالامبرياليين« الديموقراطيين» ورفضوا التعاون الذي كان ينشده . وأخيراً التفت ستالين إلى هتلر ، كما أن مناورات الكرملين الهادفة إلى الإبقاء على معاهدة ستالين ـ هتلر لعبت دوراً لا بأس به في تخلي موسكو النهائي عن الجمهورية).

من الخطأ الفادح ،بالطبع ، أن نعزو نفس الأهمية إلى هذين العاملينْ اللذين تسببا بتحطيم الحركة العمالية على يد النظام وبالتالي تمهيد الطريق لانتصار الفاشية . فتردد وإذعان الأشخاص الذين يتصورون أنفسهم ثوريين أمر مدان ، لكنه لا يدخل في نفس باب السياسة المضادة للثورة عمداً التي سار عليها الحزب الشيوعي . إذ أن ستالين وممثليه لم يخفوا برنامجهم الاجتماعي ، وهاهو جيسيس فرناندزJesus Fernandezأحد قياديي الحزب الشيوعي ومحرر صحيفة إيلموندو أوبريروElmudo ، Obreroيقول :

من الخطأ الكامل الاعتقاد أن الحركة العمالية الحالية تهدف إلى إقامة ديكتاتورية

البروليتاريا بعد الحرب . ولا يمكن أن يقال إن وراء مشاركتنا في الحرب أي دافع اجتماعي . إننا ، نحن الشيوعيين ، أول من ينكر هكذا افتراض . إن ما يدفعنا حصراًهو رغبتنا في الدفاع عن الجمهورية الديموقراطية[12] .

وبعد سبعة أشهر تنكر ستاليني آخر للجان المصانع صراحة واتخذ موقفاً صريحاً ضد احتلال المصانع . إنه خوسيه ديازDiazالذي أعلن في خطابه أمام الجلسة الكاملة للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقدة بتاريخ 5 / 3 /1937 :

إذا كانت كل محاولات« التشريك »و« التجميع» غير الناضجة التي قامت في البداية ـ وهي نتاج فهم غير واضح لطبيعة الصراع الحالي ـ يمكن تبريرها بكون كبار ملاك الأراضي والصناعيين قد هاجروا أراضيهم ومصانعهم وأنه كان من الضروري مواصلة الإنتاج مهما يكن الثمن ، فهذه الأعمال لا يمكن تبريرها الآن إطلاقاً . في الوقت الراهن ، حيث توجد حكومة الجبهة الشعبية الممثلة لكل القوى المناضلة ضد الفاشية فهذه الأعمال ليس فقط غير مرغوب بها بل هي محظورة حظراً تاماً[13] .

وستالين نفسه أسدى إلى الحكومة الجمهورية نفس النصيحة حيث قال في رسالة بعث بها إلى لارغو كاباليرو في 21 / 12 / 1936 أن عليه أن« يجذب البورجوازية الوسطى والدنيا عبر حمايتها من مصادرة أملاكها» وأن يعد الأحزاب الجمهورية بإبقاء آزانا رئيساً وأن يحترم« حقوق» الملكية والمصالح « المشروعة» للأجانب« مواطني الأمم التي لا تدعم المتمردين» أي فرنسا وبريطانيا[14] .

بينما كان الفوضويونوحزب العمال للتوحيد الماركسي يتذبذبون بدأت الحكومة في مدريد تمارس مسؤولياتها . ففي الأسابيع الأولى أعيد العمل بفرض الرقابة على الصحافة العمالية وبدأ العمل لمشروع حل الميليشيا ودمجها في« الجيش الشعبي» المشكل حديثاً بدعوى مركزة الأعمال الحربية . وكان هذا تلفيقاً ما بعده تلفيق . إذ أن الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي كانوا أيضاً مع مركزة العمليات العسكرية ولكن المشكلة هي من سيكون المسؤول عن القوات العسكرية .لقد كانت خطوة كاباليرو ترمي إلى منع الطبقة العاملة من التأثير السياسي على القوات المسلحة . ونقطة الانعطاف الأخيرة في مسار ازدواجية السلطة تمثلت بدخول الفوضويين وحزب العمال

للتوحيد الماركسي إلى الحكومة الإقليمية في كاتالونيا ، الجنراليتاتGeneralitatفي أيلول 1936 . الأمر الذي أدى أخيراً إلى قيام تروتسكي بقطع كل ما تبقى له من صلات مع حزب العمال للتوحيد الماركسي وإلى تخليه عن فكرة إمكانية قيام هذا الحزب بدور ثوري تحت ضغط الأحداث . وفي التاسع من أوكتوبر قامت الجنراليتات بحل اللجنة المركزية للميليشيا المضادة للفاشية ، وبالتالي طرد حزب العمال للتوحيد الماركسي من الحكومة .

وبينما كانت قوة لجان العمال تتضاءل كانت الحكومة الجمهورية تنحو نحو اليمين أكثر فأكثر . وهذا ما تجلى بموقفها من المستعمرات الإسبانية . فمراكش كانت القاعدة الرئيسية لعمليات فرانكو ، ولم تستطع إسبانيا إخضاعها لسيطرتها إلا بعد عدة سنوات من حرب الصحراء المريرة . وكان يمكن للجمهورية أن تعلن استقلال هذا الشعب المستعمر المضطهد حتى من زاوية نظر الديمقراطيّة البورجوازية .وكانت إستراتيجيّة القتال ضدّفرانكو تتطلّب القيام بذلك لكسب الشعب المغربي كحليف ضد الفاشية . لكنَّ ستالين وآزانا كانت يخشيان تخويف حكومتي بريطانيا وفرنسا ذوات الامبراطوريات الاستعمارية الواسعة في إفريقيا . وهكذا دافعت الجمهورية عن مطالبة الامبراطورية الأسبانية بحكم المغرب .

لقد ناشد عبد الكريم- أبرزقائد عسكري للشعب المغربي في حربه مع الإسبان- لارغو كاباليرو أن يستخدم نفوذه للسماح له بالعودة من منفاه إلى المغرب وتعهّد بالقيام بانتفاضة مسلّحة ضد فرانكو هناك . لكن كاباليرو الذي كان يلقّبه الستالينيون « لينين إسبانيا » رفض ذلك .

أحداث أيار في برشلونة وقمع حزب العمال للتوحيد الماركسي :

كانت برشلونة دوماً أكبر مشكلة للحزب الشيوعي لأن نفوذه فيها كان دوماً بالحدود الدنيا . ولكن ما إن وصلت الأسلحة الروسية والمتطوِّعين الأجانب حتى جمع بين يديه قوّة كبيرة تمنى أن يسحق بها الأحزاب المنافسة له داخل الطبقة العاملة .

بدأ الستالينيون هجومهم على ميليشيا الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي

بتكتيك هادىء ، إذ استغلُّوا سيطرتهم على تدفُّق الأسلحة الروسية ليحجبوها عن قطَّاعات الجبهة التي تدافع عنها الأحزاب التي لا تتفق معهم سياسياً . وهذا ما أدَّى إلى تسليم المزيد من الأراضي للفاشيين وإلى ذبح الآلاف من ثوريي الطبقة العاملة ، وخصوصاً على جبهة أراغون . وقد قام بتوثيق هذه السياسة الأنانية مراقبون كثر ومنهم جيرالد بيرنان الذي يعتبر كتابه «المتاهة الإسبانية Spanish Labyrinth» أحد أشهر الكتب اليسارية عن إسبانيا في هذه المرحلة وفيه يقول :

كان كسب الحرب بالنسبة [للشيوعيين] ، يعني كسبها للحزب الشيوعي وكانوا دوماً مستعدين للتضحية بالمكاسب العسكرية لمنع حزب منافس ـ يقاتل إلى جانبهم ـ من تعزيز مواقعه[15] .

وجورج أورويل الذي كان يقاتل على جبهة أراغون وجرح جرحاً بليغاً وصف النقص الكبير بالسلاح قائلاً :

كان رجال المدفعية أسوأ تسليحاً من فيلق تدريب الضبّاط في مدرسة عامّة إنجليزية ، إذ كانوا مسلَّحين ببنادق ماوزر مهترئة يعلِّق مغلاقها عموماً عمرها بعد إطلاق رصاصات خمس . وكان ثمَّة رشّاش لكل خمسين تقريباً ومسدَّس لكل ثلاثين . وهذه الأسلحة الضرورية جدّاً لحرب الخنادق لم تكن مرخَّصة من الحكومة ولا يمكن شراؤها إلا بشكل غير قانوني وبصعوبة كبيرة .

من الواضح أن الحكومة التي تسلِّح أولاداً عمرهم خمسة عشر عاماً ببنادق عمرها أربعين عاماً وترسلهم إلى الجبهة ، وبنفس الوقت تبقي رجالها وأحدث أسلحتها في المؤخّرة ،من الواضح أنها تخاف الثورة أكثر مما تخاف الفاشية «[16]» . في أيار 1937 شعر الحزب الشيوعي وخبراؤه الروس أن قوَّتهم تكفي للتحرُّك ضد ميسرة القوات الجمهورية . وكانت قيادة الفوضويين قد انضمَّت إلى الحكومة المركزية في تشرين الثاني 1936 ، وهذا يعني تخلِّيهم عن النضال من أجل حكومة عمالية . أما حزب العمال للتوحيد الماركسي الذي ظلَّ خارج الحكومة فاقتصر دوره على نصح الجبهة الشعبية والفوضويين بالدعوة إلى مؤتمر للمنظمات العمالية في عموم إسبانيا ،وهذا بالطبع ما لم تكن عند الحكومة إيّة نوايا بشأنه . في هذه الأثناء كانت الجماهير المؤيِّدة لكل من حزب العمال للتوحيد الماركسي والفوضويين تتململ وهي ترى « حلفاءها » في الجبهة الشعبية

يسلبونها مكاسب ثورة تموز .

قرّر الحزب الشيوعي القيام باستفزاز عندما طلب إلى عملائه في بوليس برشلونة الاستيلاء على مبنى السنترال الذي كان يديره الفوضويون منذ تموز 1936 حين استولوا عليه من الفاشيين مقابل العديد من الضحايا . ولما رفض عمال الهاتف الفوضويون تسليم المبنى إندلع قتال عنيف بين العمال والأسالوتس Asalots ، وانتصبت المتاريس في كلّ الشوارع تماماً مثلما انتصبت في «ثورة 19 تموز » . واندفع آلاف العمال إلى الشوارع ليدافعوا عن منظّماتهم ضد هجوم البوليس الذي لا مبرٍّر له . وعادت مسألة السلطة لتنطرح ثانية بفعل هذا الحادث .

كان أيّار 1937 في برشلونة الفرصة الأخيرة التي سنحت للعمال لإقامة حكومة عمالية واستعادة ما سبق وخسروه لصالح التحالف الرأسمالي ـ الستاليني . وبدلاً من إستغلال هذه الفرصة قام قادة حزب العمال للتوحيد الماركسي بقبول الهدنة مع الجبهة الشعبية ودعوا العمال إلى العودة إلى بيوتهم بناء على تعهدها بعدم القيام بأعمال انتقامية .

وبعد انتهاء القتال أرسلت وحدات عسكرية لاحتلال المدينة من فالنيسيا Valencia التي أصبحت مقرّ الحكومة في تشرين الثاني 1936 . وكل من كان يُرى من الفوضويين أو أعضاء حزب العمال للتوحيد الماركسي أو الميليشيا كان يقتل فوراً . وكذا الحال بالنسبة للبلاشفة اللينيين ، أولئك الأوفياء لبرنامج تروتسكي والذين ظلّوا يحاولون وضعه موضع التنفيذ رغم العقبات الهائلة .

قدّم الحزب الشيوعي للحكومة المركزية مشروع قانون يطلب فيه حظر حزب العمال للتوحيد الماركسي ، وتمّت المصادقة عليه أخيراً في 15 — 1937/7/16 . واستحثّ الستالينيون هذا القمع لليسار بحملة إفتراء خسيسة تتّهم قادة الحزب المذكور بكونهم عملاء مأجورين لفرانكو . وهذا ما التقطته الصحافة الستالينية لتطبِّل به وتزمِّر في كلّ أرجاء العالم . نشرت صحيفة الحزب الشيوعي الأمريكي الديلي ويركر في عددها ا لصادر بتاريخ 1937/6/21 مانشيتا ناريا يقول «التروتسكيون الإسبان يتآمرون مع فرانكو » .

وحتى لارغو كاباليرو احتجَّ على حرب الحزب الشيوعي العصبوية . إذ قالت

صحيفة مؤيديه اديلانته Adelante في افتتاحيتها بتاريخ 11 / 5 : « إذا كانت حكومة كاباليرو ستطبّق إجراءات القمع التي يحثّ عليها الفرع الإسباني من الكومنترن فإنها . . . ستدمّر وحدة الطبقة العاملة ، وتعرّضها لخطر خسارة الحرب ، وتحطيم الثورة »[17] .

ولكن بحلول هذه المرحلة كانت قبضة الستالينيين أقوى من أن تتخلخل من الداخل . وأبعد كاباليرو أخيراً عن السلطة ليحلّ محلّه من هو أكثر طواعية ، خوان نغرين Joan Nerin وفي حزيران بدأ الحزب الشيوعي هجومه النهائي على حزب العمال للتوحيد الماركسي . ويقدم هف توماس عن القمع صورة حية :

في برشلونة . . . وبناء على أوامر الجنرال القنصل العام الروسي Russian Consul General أنطونوف أوفسينكو Antonov Ovseenko أغلق مقرّ حزب العمال للتوحيد الماركسي في فندق فالكون Falcon ليتحوّل فوراً إلى سجن لا بأس به . واعتبر الحزب المذكور حزباً محظوراً واعتقل أربعون عضواً من لجنته المركزية . واقتيد أندريه نن وحده ، أما زملاؤه فوجدوا أنفسهم في أحد أقبية سجون مدريد . وتخفّى كل أعضاء الحزب العمالي وأصدقائه خوفاً من الاعتقال لأن عادة الستالينيين بإلقاء كل ما ينسبون للقيادة من جرائم على الأتباع أيضاً باتت معروفة جيّداً . وكالت لهم الصحف الشيوعية الاتّهامات يومياً بطريقة هستيرية ولكن بدون أن تتطرّق للمحاكمة . . . وسرت شائعة أن أندريه نن قد قتل في السجن . . . ولكن في الحقيقة أنه كان في سجن أورلوف Orlov في المدينة الخربة لكاتدرائية ألكالا دي هنيارس Alcala de Henares حيث كان تحت الأرض يقاسي من التحقيق السوفييتي المألوف مع من يُشك به كمنحرف»[18] .

ولما اقتنع المحقّقون السوفييت أنهم لن يستطيعوا الاستفادة من نن في تشويه صورة حزب العمال للتوحيد الماركسي في محاكمة إستعراضية قرّروا التخلّص منه . ويصف هف توماس الاستغلال المخجل للألوية الأممية في تنفيذ العملية :

وأخيراً اقترح فيتوريو فيدالي Vittorio Vidali كارلوس كونتيراس Cntreras ضرورة تمثيل هجوم « نازي » لتحرير نن . وهكذا جاء عشرة أعضاء من اللواء الأممي في إحدى الليالي المظلمة وهاجموا المنزل الذي كان يُعتقل فيه نن في ألكالا . وأثناء « الهجوم » تحدّثوا بالألمانية قصداً وخلّفوا ورائهم بعض بطاقات القطار الألمانية ، واقتادوا نن في

عربة مغلقة وقتلوه»[19] .

نهاية الجمهورية :

بدأ مصير الجمهورية يتراجع بثبات بدءاً من هذه المرحلة . ومع أن حرب الإستنزاف دامت واحداًوعشرين شهراً لكن الثورة سبق لها أن ماتت ،وبومتها تلاشى كل أمل بإيقاف زحف فرانكو .

إن سجل إنتهاء الحرب لتاريخ مرير من الإحباط والهزيمة والخيانة التي قام بها الضباط « الجمهوريين » إنقاذاً لجلدهم . فالفاشيّون اندفعوا إلى الساحل في فيناروزVinarozفي نيسان 1938 ، وبذلك قسّموا إسبانيا قسمين . وستالين الذي كان يسعى للتحالف مع هتلر ـ وهذا ما تحقّق في السنة التالية عبر معاهدة عدم الاعتداء الألمانية ـ السوفييتية ـ أصبح الآن حريصاً على تخليص نفسه من إسبانيا ليتجنب حرج المواجهة مع الوحدات الألمانية في الصراع الإسباني . وتسلسل أحداث ما جرى لاحقاً واضح بما فيه الكفاية لكلٍ من يريد القراءة : في 22 أيلول خاضت الألوية الأممية آخر معاركها في حملة إبرو Ebro ، وفي التاسع والعشرين من نفس الشهر وقع شامبرلين ودالادير معاهدة ميونخ مع هتلر لسدّ الطريق على إمكانية تحالف مع الاتحاد السوفييتي ضد ألمانية ،هذا التحالف الذي ضحى ستالين بالثورة الإسبانية على مذبحه . وفي الخامس عشر من تشرين الثاني كانت الألوية الأممية تغادر إسبانيا ، وبذلك حرّرت ستالين في مفاوضاته مع برلين .

ليست مأساة البروليتاريا الإسبانية فقط في أنها انهزمت في صراع مكشوف مع عدوّها اللدود ،الفاشية ، بل أيضاً في خيانة من ادّعوا أنهم قادتها . فعندما استولى الفاشيون على برشلونة في 1939/2/26 لم تصدر عنها أية رصاصة . لقد هرب مئات آلاف اللاجئين عبر الحدود إلى فرنسا ومنها إلى المنفى .وفي آذار 1936 إستسلمت مدريد وفالينسيا . السياسيون الليبراليون ومسؤولو الحزب الشيوعي جهّزوا أمور سفرهم قبل وقت طويل ،أما الطبقة العاملة الإسبانية فلم تستطع الهرب .

كل شروط النجاح توفَّرت لانتصار ثورة إشتراكية في إسبانيا إلا شرطاً واحداً : وجود حزب ثوري جماهيري يهدف إلى إقامة حكومة عمالية . وهذا الشرط تبين بالملموس أنه لاغنى عنه .

لقد تصرَّف ستالين في إسبانيا مفترضاً إمكانية الحفاظ على الديمقراطية البورجوازية ـ في الوقت الذي تخلّت فيه البورجوازية عنها ـ بمساعدة الحزب الشيوعي . لقد خافت موسكو من الثورة الاشتراكية بقدر ما خافت منها البورجوازية . وباسم « الديمقراطية » تصرَّفت كوكيل مقرف للرأسمالية في صراعها مع الحركة العمالية .

كتب تروتسكي في كراسه « دروس إسبانيا ـ الإنذار الأخير » الذي يتجلَّى فيه أفضل عرض لأرائه حول الثورة الإسبانية « إن ستالين وضع تكتيك البلشفية بخدمة الملكية البورجوازية . وبقلّة عقله البيروقراطية تخيل أن « المفوضين » بحد ذاتهم يمكنهم أن يضمنوا النصر ، ولكن تبين أن مفوضي الملكية الخاصة يمكنهم فقط أن يضمنوا الهزيمة » .

يحدونا الأمل في أن تسهم هذه المجموعة من كتابات تروتسكي بتسليح الجيل الحالي من الشبيبة الثورية كيلا تتكرَّر مرارة التجربة الإسبانية .

1972/5/11

LES Evans

ملاحظات المقدمة

1 – Gerald Bernard, "The spanish Labyrith" Newyork: Cambridge University P.P 120 – 121.

2 – Hugh Thomas, "The Spanish Civil War"(Newyork:Haroer & Brother,1961) P.40.

3 ـ إذا توخينا الدقة يجب أن نناقش التروتسكيين الإسبان وحزب العمال للتوحيد الماركسي POUMقبل الحديث عن الحزب الشيوعي طالما أن هاتين القوتين بالأصل أكبر من الستالينية الإسبانية منذ 1933 وحتى سنوات الحرب الأهلية (كانالـ POUMيعد أربعين عضو) . ولكن بسبب المكانة الخاصة التي تشغلها المعارضة اليسارية الإسبانية والـ POUM في جهودتروتسكي لإنشاء حزب ثوري في إسبانيا فقد أفردنا لمعالجتها فصلاً خاصاً .

4 – Stangey G.Payer, "The spanish Rruolutinon " (Newuork, W.W.Norton & Company,1970)P.144.

5 – Thomas,OP.cit P.99:

6 ـ تورط فيدالي فيما بعد في محاولة الاعتداء على حياة تروتسكي في المكسيك في أيار 1940 . أما غيرو فتصرّف كوكيل لستالين في قمع الثورة الهنغارية 1956 .

7 – EL Socialista; April:129,1934.Cited by Richard A.H.Robinson in " The Origion of Franco's Spain"(Pittsburg:University of Pittsburg Press,1970)P.182.

8 ـ في مقابلة مع لورنس فيرنسورث في صيف 1934 .

Fernsworth,"Spain's Strugle for Freee–dom" (Poston:Beacon Press 1957)P.P/ 156–61.

9 – Thomas,OP.cit.P.135.

10– George Orwel,"Homage To Catalonia"(Poston:Beacon Press,1952)PP.49–50

11 – Ibid,PP.4–5.

12 – Elmundo Obrero,August;1936.Cited by Felix Morrow in "Revolution And Counter–revolution In Spain"(Newyork:Pioneer publishers,1938)P34.

13 – Communist International,May,1937:

نيويورك تايمز 1939/6/4 ص 43 . نشرت التايمز نص الرسالة الكامل مترجماً عن الفرنسية مع صور فوتوساتية للصفحتين الأولى والأخيرة من الرسالة الأصلية البالغة أربع صفحات ، كما نشرت معها مقابلة مع لويس أركستان Arquistain الصديق الحميم للارغو كاباليرو وسفيره في فرنسا تشهد بصحّة الرسالة

15 – Bernan,op.cit.p.326.

16 – Controversy,August.1937.

17 – Cited by Morrow.op.cit.P.115

18 – Thomas.op.cit.P.P.453–54.

19 – Ibid,P.P.454–55.

* الثورة الاسبانيّة
* تأليف تروتسكي
* ترجمة : علي الشهابي

* الطبعة الأولى 1992
* النّاشر : دار الحوار للنشر والتوزيع

اللاذقيّة ـ ص.بـ 1018 ـ هاتف 22339 ـ سوريّة

تيليكس 451086 Booth Sy

القسم الأول

من الملكيّة إلى الجمهوريّة

تمهيد

تحت تأثير الأزمة الاقتصادية الكبرى لعام 1929 قام الجنرال بريمودي ريفيرا في كانون الثاني 1930 باستفتاء حاميات اسبانيا لمنحه الثقة ، لكن زملاءه الضباط صوّتوا ضده . وكان سقوط الديكتاتور إيذاناً بقيام نظام شبه عسكري ضعيف سيفضي مباشرة إلى الجمهورية .

كلف الملك ألفونسو الثالث عشر الجنرال داماسو بيرنغوير فوست Damaso Fusteبرئاسة حكومة انتقالية كان يؤمل منها أن تمهّد الطريق لقيام ملكية دستورية . لكن نجاح هذه المغامرة كان يتوقّف على القوة التنظيمية للأحزاب الملكية والدينية وعلى قاعدتها الجماهيرية وبما أن كل الأحزاب كانت محظورة في عهد بريمودي ريفيرا فإن الأجهزة الحزبية ليمين البورجوازية ووسطها كانت في حالة من التشوش ، لذا كان المؤهّل الوحيد للاستفادة من هذه الإمكانيات الجديدة للنشاط السياسي هو أحزاب الطبقة العاملة لأنّها كانت تناضل بشكل سرّي في ظلّ الديكتاتورية .

وانسجاماً مع تقاليدهم ، كان الفوضويون مستعدّين لمقاطعة أية انتخابات مقبلة ، أما الاشتراكيون فقاموا في خريف 1930 بتوقيع تحالف في سان سيباستيان مع ممثلي أحزاب البورجوازية الجمهورية تعاهدوا فيه على العمل الانتخابي المشترك .

في كانون الأول قام الضباط الجمهوريون المتمركزون في حامية جاكاJacal بتمرّد عسكري ضد الملكية ، لكنه أخمد وأعدم منظموه . لكن السخط الشعبي الذي تلاه دفع الملك إلى تشكيل حكومة جديدة والدعوة إلى انتخابات جديدة ، فاستقال بير نغوير وحلّت محلّه حكومة مدنية في شباط 1931 .

ولأن الملك كان مقتنعاً بعدم مقدرة الأحزاب اليمينية على كسب الأغلبية في

انتخابات الكورتس (البرلمان) فقد دعا إلى إنتخابات بلدية في 12 نيسان كل المدن الكبيرة صوّتت بالكامل لصالح الأحزاب الجمهورية والاشتراكية ، لكن الملكيين حافظوا على الأغلبية عبر أسلوبهم المخادع في السيطرة على المناطق الريفية ،عبر المخاتيرCaciques وعندما بدأت الحشود الكبيرة تتجمّع في شوارع مدريد معلنة عداءها للملكية قرّر الملك التنازل عن العرش قائلاً « لقد أظهرت انتخابات يوم الأحد أنني لم أعد أحظى بمحبّة شعبي » .

وأعلنت الجمهورية في الرابع عشر من نيسان وتسلمت مقاليد الأمور حكومة جديدة تسيطر عليها أحزاب الجمهورية . كان أول رئيس للوزراء الدون نيسيتو ألكالا زامورا Niceto Alcala Zamora المحامي الأندلسي وأحد وزراء الفونسو قبل انقلاب بريمودي ريفيرا . ونال حقيبة الداخلية مدافع بارز عن الكنيسة الكاثوليكية ميغيل مورا Miguel Maura وحظي الحزب الراديكالي المحافظ بحقيبتين إحداهما لأبيجندور لاروكس والثانية لدييغو مارتينيز باريو Deigo Martines Barrio وهكذا تكاد هذه الحكومة ألا تتميز عن حكومة أقصى اليمين في حين أن اليسار الجمهوري الليبرالي كان ممثلاً بوزير الدفاع مانويل آزانا وكاساريز كيروغا وألفارودي ألبورونز ونيكولاي دي أولور وفرناندو دي لوس ريوس . وهذا الأخير كان شكلياً عضواً في الحزب الاشتراكي لكنه لا يلتزم بالانضباط الحزبي . أما الممثلان الحقيقيان للحزب الاشتراكي فكانا لارغو كاباليرو وأنداليشو بريتو ، اللذين شكلا أقلية في حكومة أغلبيتها الساحقة بورجوازية .

في الخامس من نيسان أصدرت الحكومة الإنتقالية الجديدة « مجموعة قوانين قضائية » ضمّنتها برنامجها . كما اقترحت دعوة الكورتس التأسيسي لتبني دستور جديد وليقوم دورياً بانتخاب حكومة بشكل رسمي . وتعهدت القوانين بحرية الدين وضمان الملكية الخاصة ووعدت بتحقيق الإصلاح الزراعي .

ملاحظة بخصوص منفى تروتسكي : من المفيد للقارىء أن يتذكر أين كان تروتسكي عندما كتب مختلف الوثائق المجموعة في هذا الكتاب . لقد نفاه نظام ستالين هو وعائلته بالقوة من الاتحاد السوفييتي في شباط 1929 وعاش في تركيا حتى 1933 . وتم تنظيم المعارضة اليسارية الأممية (البلاشفة اللينينين) في نيسان 1930 تحت إشرافه .

ومشكلات نموها وتطورها شغلت بعضاً من وقته عندما كان مشغولاً 1930 ـ 1931 أيضاً بكتابة« تاريخ الثورة الروسية»

كل المقالات الموجودة في القسم الأول كتبت في تركيا . إما في جزيرة برنكيبو أو في كاديكوي Kadikoy إحدى ضواحي استانبول . وقد كانت كلها ـ عدا كراس«الثورة في إسبانيا » ـ عبارة عن رسائل موجهة إلى قادة الفرع الإسباني من المعارضة اليسارية الأممية حديث التأسيس ، وقد قام تروتسكي باختيار قسم منها للنشر . وما لا يجب أن يغيب عن البال أن استراتيجية تروتسكي والمعارضة اليسارية كانت في فترة كتابة هذه المقالات تتمثل في إصلاح الأممية الشيوعية والفروع المنتسبة إليها .

مهمات الشيوعيين الإسبان :*

25 / 5 / 1930

أيها الرفاق الأعزاء :

أحيي بحرارة صدور العدد الأول من صحيفتكم . تنزل المعارضة اليسارية إلى الميدان في لحظة ملائمة جداً وحاسمة . فالانتظام الكبير الذي تنتشر به الأزمة الإسبانية الآن يفسح المجال أمام الطليعة البروليتارية لكي تجهز نفسها ، علماً بأني أشك بدوام هذه الفترة طويلاً .

لقد سقطت ديكتاتورية بريمودي ريفيرا بدون ثورة ، من جراء تفسخها الداخلي . وبكلام آخر ، إن ما حسم أمر الديكتاتورية بادىء ذي بدء ليس القوى الثورية للمجتمع الجديد بل ضعف المجتمع القديم . وهذا لم يحدث عبثاً : فمن جهة لم تعد الحاجة الماسة لسحق الجماهير الثورية مبرراً لوجود النظام الديكتاتوري من وجهة نظر الطبقات البورجوازية ، ومن جهة أخرى أصبح هذا النظام يتعارض وحاجات البورجوازية الاقتصادية والمالية والسياسية والثقافية . لكن البورجوازية ظلت حتى اللحظة الأخيرة تتجنب النزول بكل ثقلها ضد الديكتاتورية . لقد تركتها تتعفن وتسقط كما الثمرة الناضجة .

---

* رسالة إلى محرري Contra La Corriernte أول صحيفة بلشفية لينينية أصدرها مهاجرون إسبان في المنفى في بلجيكا .

وبعدئذ اضطرت الطبقات المختلفة ، عبر تمثيلاتها السياسية ، للإفصاح عن مواقفها علناً أمام الجماهير . وهنا نرى مفارقة : إن نفس الأحزاب التي رفضت بسبب محافظيتها أن تخوض أي نضال جدي ضد الديكتاتورية العسكرية أخذت الآن تعلن أنها جمهورية وتحمّل الملكية مسؤولية الديكتاتورية . كما لو أن الديكتاتورية كانت طوال هذه الفترة معلقة بخيط من شرفة القصر الملكي ، وكما لو أنها لم تتم المحافظة عليها بالدعم السلبي حيناً والنشط حيناً لأكثر شرائح البورجوازية نفوذاً ، هذه الشرائح التي قامت بكل قوتها بشل فاعلية البورجوازية الصغيرة وسحق عمال المدن والريف .

وما هي النتيجة ؟ لا تزال الملكية قائمة وتقوم بوظائفها في الوقت الذي يكون فيه ليس فقط العمال والفلاحون والبورجوازية الصغيرة المدينية والمثقفون الشباب جمهوريين ، بل أيضاً كل البورجوازية الكبيرة تقريباً إما جمهورية أو تدعي أنها كذلك . إذا كان بريمودي ريفيرا يتعلق فقط بخيط من الملكية فبأي خيط كانت الملكية تتعلق في هذا البلد « الجمهوري » ؟! يبدو هذا اللغز محيراً للوهلة الأولى ، لكن حله ليس معقداً . إن نفس البورجوازية التي كانت « تتحمل » بريمودي ريفيرا كانت في الواقع تدعمه ، تماماً مثلما تدعم الملكية اليوم ، بالوسيلة الوحيدة المتوفرة بين يديها ، أي بتسمية نفسها جمهورية . وهكذا نراها تتكيف مع نفسية البورجوازية الصغيرة ، وهذه أفضل وسيلة لخداعها وشلّها .

إن المشهد التالي ، رغم شدة دراميته ، ليس بلا جانب كوميدي بالنسبة للمتفرج : تجلس الملكية على ظهر البورجوازية التي لا تستعجل إسقاطها. وتنسل خلسة بين الجماهير الهائجة وترد على احتجاجات الجمهور ومظالمه ولعناته بصوت المهرج الخشن : انظروا إلى هذا المخلوق الذي على ظهري ، إنه عدوي اللدود ، سأعدد لكم جرائمه ، انتبهوا . . . الخ . . . الخ . وعندما يبدأ الجمهور الذي يسليه المشهد بالضحك تغتنم البورجوازية هذه الفرصة لتسير بحملها أبعد قليلاً . إذا كان هذا هو النضال ضد الملكية فكيف هو النضال لدعمها إذن ؟!

إن مظاهرات الطلاب الجريئة ليست إلا محاولة يقوم بها الجيل الأصغر من البورجوازية ، وخصوصاً البورجوازية الصغيرة ، لإيجاد مخرج لعدم الاستقرار الذي ألمّ

بالبلد بعد تحررها المفترض من ديكتاتورية بريمودي ريفيرا التي لا تزال تحتفظ بكل عناصرها الأساسية . عندما ترفض البورجوازية بعناد أن تحل المشلات الناجمة عن أزمة مجتمعها أو عندما تكون البروليتاريا غير مستعدة للاضطلاع بهذه المهمة ، فغالباً ما يتنطح الطلاب لحلها . وهذه الظاهرة لاحظناها أكثر من مرة في مسار الثورة الروسية الأولى 1905 وكنا دائماًنقيّم عالياًمغزاها الدلالي لأن نشاطاً طلابياً ثورياً كهذا ، أو نصف ثوري ، يعني أن المجتمع البورجوازي يجتاز أزمة عميقة . إن البورجوازية الصغيرة التي تشعر بالقوة المدمرة تعتمل في صدر الجماهير تحاول بطريقتها الخاصة ، أن تجد مخرجاً من المأزق الذي وصل إليه المجتمع وتدفع الأمور السياسية إلى الأمام .

تنظر البورجوازية إلى حركة الطلاب بعين نصف راضية نصف حذرة . لا بأس أن يوجه الشباب« الأولاد » عدة ضربات للبيروقراطية الملكية طالما أنهم لا يتجاوزون حدودهم ويستثيرون الجماهير الكادحة .

لقد أظهر العمال الإسبان غريزة ثورية كلية السلامة عندما ساندوا الحركة الطلابية ، ولكن عليهم طبعاً أن يعملوا تحت رايتهم الخاصة وتحت قيادة تنظيمهم البروليتاري الخاص . وهذا ما يجب أن يتكفل به الشيوعيون الإسبان ، وكيما يتحقق لا بد من سياسة صحيحة . ولهذا السبب يتوافق صدور مجلتكم ، كما سبق وقلت ، مع مرحلة في منتهى الأهمية والحرج في مجمل تطور الأزمة ، والأدق إنه يتوافق واللحظة التي تتحول فيها الأزمة الثورية إلى ثورة .

ففي سياق سخط جماهير البورجوازية الصغيرة الحاد وفي سياق الأزمة الحادة ككل تتخذ حركة العمال الإضرابية ـ نضالهم ضد إعادة التنظيم الصناعي ضد البطالة ـ أهمية مختلفة كلياً وأكثر عمقاً بما لا يقاس . يجب أن يرتبط نضال العمال وثيق الارتباط بمجمل المشاكل الناجمة عن أزمة البلد . وكون العمال قد تظاهروا مع الطلاب يشكل الخطوة الأولى على طريق النضال البروليتاري الطليعي نحو الهيمنة الثورية ولو أن هذه الخطوة لا تزال غير كافية وغير واثقة . إن السير على طريق الهيمنة الثورية يتطلب قيام الشيوعيين بالنضال الحازم والشجاع والفعال من أجل المطالب الديمقراطية وعدم فهم هذا الأمر سيعني ارتكاب أكبر خطيئة عصبوية . في هذه المرحلة لا تميز البروليتاريا

نفسها على صعيد الشعارات السياسية عن باقي التجمعات السياسية « اليسارية » البورجوازية الصغيرة برفضها للديمقراطية (كما يفعل الفوضويون الساندكاليون) وإنما بالنضال الحازم والصريح من أجلها ، وبنفس الوقت تقوم بإدانة تذبذب البورجوازية الصغيرة بلا رحمة .

إن طرح البروليتاريا للشعارات الديمقراطية لا يعني أبداً أنها ترى إسبانيا تسير باتجاه ثورة بورجوازية . فطرح كهذا لا يقوم به إلا المتحذلقون ذوي الجمل الجاهزة والمكرورة لأن إسبانيا خلّفت مرحلة الثورة البورجوازية بعيداً وراءها .

إذا تحولت الأزمة الثورية إلى ثورة لا بد لها أن تتجاوز النطاق البورجوازي ،وفي حال النصر ستسقط السلطة بيد البروليتاريا . يمكن للبروليتاريا في هذه المرحلة أن تقود الثورة ـ أي أن تلف حولها الشرائح الواسعة من العمال وكل المضطهدين بشرط واحد : أن تطرح الآن المطالب الديمقراطية بالترابط مع مصالحها الطبقية .

وهذه المطالب ستكون ذات أهمية حاسمة بالنسبة للفلاحين في المقام الأول . وهم لن يمحضوا البروليتاريا ثقتهم عبر الاستنتاج المنطقي ، أي بالموافقة على شعار ديكتاتورية البروليتاريا كتعهد لفظي . ففي مرحلة معينة لا بد أن يرى الفلاحون ، كطبقة مضطهدة كبيرة ،في الشعار الديموقراطي أداة بيد المضطَهدين للإطاحة بالمضطِهدين . وسيربطون حتماً شعار الديموقراطية السياسية بشعار إعادة التوزيع الجذري للأرض ، وستؤيد البروليتاريا كلا المطلبين بشكل صريح . وسيوضح الشيوعيون لطليعة البروليتاريا في الوقت المناسب كيفية تحقيق هذه المطالب ، وبهذا يبذرون بذور النظام السوفييتي المقبل .

كما تدافع البروليتاريا عن كل الشعارات الديموقراطية حتى على صعيد المسائل القومية وذلك بإعلان استعدادها لدعم حق تقرير المصير ، بما فيه حق الانفصال ، لمختلف الجماعات القومية بالوسائل الثورية . ولكن هل تقوم الطليعة البروليتارية بنفسها بطرح شعار انفصال كاتالونيا ؟ إذا كان هذا الشعار يعبر عن رغبة الأغلبية فنعم . ولكن كيف تعبر هذه الرغبة عن ذاتها ؟ من البديهي أنها تفصح عن ذاتها عبر استفتاء شعبي حر أو عبر اجتماع ممثلي كاتالونيا أو عبر الأحزاب التي تدعمها فعلاً

الجماهير الكاتالونية ، أو حتى عبر ثورة مسلحة تقوم بها القومية الكاتالونية . ومرة أخرى نرى ، والكلام على الهامش ، مدى رجعية تنكر البروليتاريا للشعارت الديموقراطية . وإلى أن يتم ذلك ، وطالما لم تعبّر أية أقلية قومية عن رغبتها ، فلن تتبنى البروليتاريا شعار الانفصال ، وإنما تعلن سلفاً ، وعلى الملأ ، دعمها الكامل والصادق لهذا الشعار في حال تعبيره عن رغبة كاتالونيا .

لا جدوى من القول أن ليس للعمال الكاتالونيين الكلمة الفصل في هذه المسألة . فإذا توصلوا إلى نتيجة مفادها أن من الخطأ تجزئة قواهم في الأزمة الحالية التي تفتح أمام البروليتاريا الإسبانية إمكانيات هائلة ، عليهم أن يوجهوا دعاوتهم نحو إبقاء كاتالونيا جزءاً من إسبانيا استناداً إلى هذه الأرضية أو غيرها . من جهتي أرى أن المحاكمة السياسية للأمور تستدعي مثل هذا الحل ، وفي هذه المرحلة سيكون مقبولاً حتى لغلاة الانفصال طالما أنه من الواضح تماماً أن حق تقرير المصير في كاتالونيا وغيرها من المناطق سيكون بعد انتصار الثورة أسهل بكثير مما هو عليه الآن .

عندما تدعم الطليعة الشيوعية كل الحركات الديموقراطية فعلاً للجماهير فإنها ستخوض نضالاً لا هوادة فيه ضد ما يسمى البورجوازية الجمهورية لتكشف القناع عن خداعها وخيانتها وطبيعتها الرجعية وعن كل محاولاتها لإبقاء الجماهير الكادحة تحت تأثيرها .

لن يتخلى الشيوعيون أبداً عن حريتهم أثناء العمل السياسي . ويجب أن لا ننسى أن الإغراءات من هذا النوع كثيرة جداً أثناء الثورة . والتاريخ الماساوي للثورة الصينية[1] يشهد على ذلك بما لا يقبل الدحض ولكن في الوقت الذي يصون فيه الشيوعيون استقلالهم التنظيمي التام واستقلال دعاوتهم الكامل فإنهم يقومون على أوسع نطاق بممارسة سياسة الجبهة الموحدة[2] التي تفسح الثورة أمامها مجالاً واسعاً .

ستبدأ المعارضة اليسارية بتطبيق هذه الجبهة مع الحزب الشيوعي الرسمي . ويجب أن لا تسمح للبيروقراطيين بخلق الانطباع بأن المعارضة اليسارية تعادي العمال الذي يسيرون تحت راية الحزب الشيوعي الرسمي . على العكس .فالمعارضة مستعدة للمشاركة في كل نشاط البروليتاريا الثوري وللنضال إلى جانب هؤلاء العمال . أما إذا

رفض البيروقراطيون العمل المشترك مع المعارضة فعليهم تحمل المسؤولية الكاملة لهذا الرفض أمام العمال .

إن استمرار الأزمة الإسبانية يعني الاستيقاظ الثوري لملايين الكادحين . وليس هناك ما يشير إلى أنهم سينجذبون سريعاً إلى راية الشيوعية ، لا بل على الأرجح أنهم في البداية سيدعمون البورجوازية الصغيرة الراديكالية ، أي بشكل رئيسي الحزب الاشتراكي وجناحه اليساري بشكل خاص . فهذا بالضبط ما حدث مع المستقلين[3] الألمان أثناء ثورة 1918 ـ 1919 . هكذا سيتجلى التجذر الحقيقي الواسع للجماهير وليس في نمو« الاشتراكية الفاشية »[4] يمكن للفاشية أن تنتصر من جديد ـ وهذه المرة « اجتماعياً»أكثر مما« عسكرياً »و أي كـ« اشتراكية فاشية » موسوليني ـ فقط كنتيجة لهزيمة الثورة وتبدد أوهام الجماهير التي آمنت بها . ولكن على ضوء التطور المضطرد للأحداث الحالية لا يمكن أن تحدث الهزيمة إلا كنتيجة للأخطاء الهائلة من جانب القيادة الشيوعية .

لقد أظهرت تجربة الثوريين الألمان والإيطاليين بشديد الوضوح أن ما يمكن أن يعزز مواقع الاشتراكية ـ الديموقراطية[5] ، العدو الأخطر على البروليتاريا ، هو الراديكالية اللفظية والعصبوية وارتباطها بالتقييم الانتهازي للقوى الطبقية ولسياسة التعرجZig – Zagوالقيادة البيروقراطية ، أي باختصار كل ما يشكل جوهر الستالينية .

يجب أن تتشرشح الاشتراكية ـ الديموقراطية أمام الجماهير ، وهذا ما لا يتم بالشتائم لأن الجماهير لا تثق إلا بتجربتها الجماعية . أثناء الفترة التمهيدية من الثورة يجب إعطاء الفرصة للجماهير حتى تقارن عملياً بين الممارسة السياسية للشيوعيين والممارسة السياسية للاشتراكيين الديموقراطيين . من البديهي أن النضال لكسب الجماهير سيخلق الشروط لهذه المقارنة في حال إصرار الشيوعيين أمام الجماهير على الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين الديموقراطيين . لقد اتفق ليبكنخت[6] في العديد من المجالات مع المستقلين ، وخصوصاً مع جناحهم اليساري ، وأقام البلاشفة تحالفاً علنياً مع الاشتراكيين الثوريين[7]اليساريين . وإلى أن وصلنا إلى مرحلة الانتفاضة المسلحة سبق أن عقدنا سلسلة اتفاقات محددة مع المناشفة الأمميين[8] ، كما تقدمنا بعشرات الاقتراحات

لتشكيل الجبهة الموحدة . لم نخسر شيئاً من جراء هذه السياسية . ولكن بالطبع لم يكن المقصود منها جبهة موحدة على غرار اللجنة الأنغلو ـ روسية[9] التي كان معناها تحالف الستالينيين في مرحلة الإضراب العام الثوري مع كاسري الإضراب . كما لم يكن المقصود منها جبهة موحدة بروح الكومينتانغ[10] : حيث تم ضمان قيام ديكاتورية بورجوازية على العمال والفلاحين باسم شعار كاذب لوحدة العمال والفلاحين .

بهذا الشكل تتبدى لي المهمات والمنظورات عن بعد ،علماً بأني أدرك جيداً مدى افتقاد هذه الملاحظات للتعيين . من الممكن ، لا بل على الأرجح ، أني قد تركت بعض الأمور الهامة ، لكنكم ستتدبرون أموركم بأنفسكم . إنكم ستجدون طريقكم طالما أنكم مسلحون بالنظرية الماركسية وبالأسلوب اللنيني الثوري وستعرفون كيف تتفهمون أفكار الطبقة العاملة وعواطفها وكيف تعطونها الشكل السياسي الصحيح . إن الهدف من رسالتي إن هو إلا تلخيص عام لمبادىءالسياسة الثورية التي أثبتت صحتها تجربة ثورات روسية ثلاث .

مع تحياتي الحارة وأفضل التمنيات بالنجاح .

المخلص لكم

ليون تروتسكي .

2 ـ الفاشية الإسبانية .

1930 / 11 / 12

في مقالتي (مهمات الشيوعيون الإسبان) عبرت بحذر شديد عن فكرة مفادها أنه بعد عدة سنوات من الديكتاتورية وبعد حركة المعارضة البورجوازية وبعد كل الصخب الجماهيري للجمهوريين وبعد مظاهرات الطلاب لا بد أن نتوقع تحرك العمال . كما قلت أن هذه الأحداث يمكن أن تفاجىء الحزب الثوري . وما لم أكن مخطئاً فإن العديد من الرفاق الإسبان ظنوا أني أبالغ بالأهمية الدلالية لمظاهرات الطلاب ، وبمنظورات الحركة الثورية للعمال . ومنذئذ اتخذت حركة إضرابات العمال في إسبانيا أبعاداً هائلة .

ويستحيل كلياً معرفة من يقود هذه الإضرابات فعلاً .

ألا تعتقدون أن إسبانيا تمر بنفس الدائرة التي مرت بها إيطاليا 1918 ـ 1919 : اختمار ، إضرابات ، إضراب عام ، استيلاء على المصانع ، عدم وجود قيادة ، تراجع الحركة ، نمو الفاشية ، قيام ديكتاتورية مضادة للثورة ؟ لم يكن نظام بريمودي ريفيرا فاشياً لأنه لم يرتكز على ردة فعل الجماهير البورجوازية الصغيرة . ألا تعتقدون معي أنه يمكن أن تتوفر شروط قيام فاشية إسبانية حقيقية كنتيجة لهذا النهوض الثوري الأكيد إذا بقيت الطليعة البروليتارية ، كما كانت ، سلبية ومتقلقلة ؟! إن أخطر ما في هذا الوضع هو تضييع الوقت .

3 ـ إنشاء السوفييتات .

21 / 12 / 1930

ما هي المنظورات إذن ؟ . . . على ما أفهم من رسالتكم فإن كل التنظيمات والمجموعات تنجرف مع التيار ، أي إنها تشارك في الأحداث بقدر ما تجرفهم . كما أنه لا يوجد لدى أي تنظيم برنامج ثوري للعمل ، أو حتى منظور مدروس جيداً .

يبدو لي أن مجمل الوضع يتطلب طرح شعار السوفييتات ، هذا إذا قصدنا بكلمة السوفييتات مجالس العمال التي انبثقت في روسيا لأنها كانت في البداية لجان إضراب قوية ، لم يتخيل أي من المشاريكن الأوائل بالسوفييتات أنها ستكون أجهزة السلطة في المستقبل . بديهي أنه لا يمكن إنشاء السوفييتات اصطناعياً ، ولكن من الضروري تشجيع قيامها أثناء كل إضراب محلي تتواجد فيه غالبية التيارات ويتخذ طبيعة سياسية . في ظل هذه الشروط ، هذا هو الشكل التنظيمي الوحيد القادر على تولي قيادة الحركة وفرض الانضباط الثوري عليها في العمل .

أقول لكم بصراحة إنني خائف جداً من أن يضطر مؤرخو المستقبل إلى اتهام الثوريين الإسبان بعدم معرفة كيفية الاستفادة من وضع ثوري استثنائي .

4 ـ من أجل السوفييتات الإسبانية .

8 / 1 / 1931

من الواضح أن الأوضاع في إسبانيا تختلف عما هي عليه في كل البلدان الأخرى لأنها تمر الآن في مرحلة من النهوض الثوري الجلي والواضح . فحرارة الجو السياسي ينبغي أن تسهل كثيراً عمل البلاشفة اللنينيين باعتبارهم الجناح الثوري الأكثر إقداماً وثباتاً في المبادىء . لقد شتت الأممية الشيوعية الشيوعيين الإسبان واضعفت الحزب الشيوعي الرسمي وأحالته حزباً عاجزاً . وقيادة الكومنترن فعلت في إسبانيا ما فعلته في العديد من الحالات الهامة : لقد فوتت وضعاً ثورياً وتركت العمال الإسبان لمصيرهم بلا قيادة في اشد اللخظات حرجاً . وهاهم يخوضون نضال الإضراب الثوري على أوسع نطاق بلا قيادة تقريباً .

في ظل هذه الأوضاع يطرح البلاشفة اللنينيون شعار السوفييتات . يتبين وفقاً لنظرية الستالينيين وتجربة انتفاضة كانون[11] أن السوفييتات يجب أن لا تقام إلا عشية الانتفاضة المسلحة . وهذه نظرية مدمرة وتجربة مدمرة لأن السوفييتات يجب إنشاؤها عندما تُظهر الحركة الفعلية للجماهير حاجتها لها . فهي تتشكل في البداية كلجان إضراب واسعة ، وهذا هو واقع الحال في إسبانيا . ومما لا شك فيه أن مبادرة البلاشفة اللينيين في ظل هذه الظروف ستجد لها صدى بين الطليعة البروليتارية ، وهذا ما سيفتح أمام المعارضة الإسبانية أفقاً واسعاً في المستقبل القريب . نتمنى لأصدقائنا الإسبان النجاح .

5 ـ السوفييتات والكورتس التأسيسي .

12 / 1 / 1931

هل ستجري الانتخابات فعلاً في الأول من آذار[12] ؟

يبدو أننا نستطيع في الوقت الراهن أن نبطل انتخابات بيرنغوير بالتطبيق الفعال لتكتيك المقاطعة . فبهذا الشكل أبطلنا عام 1905 انتخابات الدوما التشريعية التي كانت مجرد استشارية . ما هي سياسة الشيوعيين بهذا الخصوص ؟ هل سيوزعون الكراريس والتصريحات والبيانات ؟

ولكن نقاطع الكورتس باسم ماذا ؟ هل باسم السوفييتات ؟ أعتقد أن من الخطأ طرح المسألة بهذه الطريقة لأن جماهير المدينة والريف يمكن أن تتوحد في الوقت الحاضر فقط تحت راية الشعارات الديموقراطية ، وهذه الشعارات تتضمن انتخاب الكورتس التأسيسي على قاعدة الاقتراع العام المتساوي السري المباشر لا أعتقد أن بإمكانكم الآن أن تتجنبوا هذا الشعار . فالسوفييتات لم تتوجد بعد ، والعمال الإسبان ـ هذا إذا تغاضينا عن الفلاحين ـ لا يعرفون ما هي السوفييتات كما أنها ليست بنت تجربتهم . إن الصراع حول الكورتس ، في المرحلة القادمة ، سيستغرق كل حياة البلد السياسية ، لذا من الخطأ مواجهة شعار الكورتس بشعار السوفييتات ، هذا من جهة ، أما من الجهة الأخرى فإن إنشاء السوفييتات في المستقبل القريب غير ممكن إلا على قاعدة تعبئة الجماهير بالشعارات الديموقراطية . وهذا يعني منع الملكية من تشكيل كورتس مزيف ومخادع ومحافظ ، وضمان تشكيل كورتس تأسيسي ديموقراطي يستطيع أن يعطي الأرض للفلاحين وأن يقوم بالعديد من الأشياء الأخرى . وتشكيل سوفييتات العمال والفلاحين والجنود يجب أن يأتي تعزيزاً لمواقع الجماهير الكادحة .

6 ـ الثورة في إسبانيا .

1931 1 / 24

1 ـ إسبانيا القديمة :

السلسلة الامبريالية مهددة بالانقطاع مرة أخرى في حلقتها الأضعف ، في إسبانيا . فالحركة الثورية تتطور فيها بفاعلية كبيرة حتى أن الرجعية العالمية محرومة سلفاً من الأمل بالعودة السريعة للنظام فيها .

مما لا شك فيه أن إسبانيا واحد من أكثر بلدان أوروبا تخلفاً ، لكنه تخلف ذو طبيعة استثنائية يغلفه ماضيها العريق . فبينما كانت روسيا القيصرية متخلفة دوماً عن جاراتها الغربيات وتتقدم ببطء تحت تأثيرهم ،عرفت إسبانيا عصور ازدهار كبير تفوقت فيها على كل أوروبا وسيطرت على جنوب أمريكا . فالتطور الهائل للتجارة المحلية والعالمية تغلب شيئاً فشيئاً على التشتت الإقطاعي للأقاليم الإسبانية وعلى الخصوصية القومية فيها . وكان تنامي قوة وأهمية الملكية الإسبانية في هذه القرون مرتبطاً وثيق الارتباط بالدور المركز لرأس المال التجاري وبالتكوين التدريجي « للأمة الإسبانية »

لكن اكتشاف أمريكا الذي اغتنت إسبانيا بفضله وقويت اصبح فيما بعد وبالاً عليها ،عندما تحولت عنها طرق التجارة الكبرى . لقد تجاوزت هولندا إسبانيا بعدما اغتنت ، وبعد هولندا تفوقت بريطانيا على كل أوروبا أيما تفوق وحافظت عليه لزمن طويل . ومع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر بدأت إسبانيا انحدارهاالذي اتخذ طابعاً رسمياً . لنقل ، منذ دمار أرمادا العظمىGreat Armadaعام 1588 . هذه الحالة التي استقرت عليها إسبانيا الإقطاعية ـ البورجوازية هي التي سماها ماركس « التفسخ البطيء والمشين » .

حاولت الطبقات المالكة القديمة والجديدة ـ نبلاء الأرض ورجال الدين الكاثوليك بملكيتهم والطبقات البورجوازية بمثقفيها ـ أن تتشبث بخيلائها القديم ولكن واحسرتاه من غير مواردها القديمة . ففي عام 1820 أفلتت منها مستعمرات أمريكا الجنوبية ، وبفقدانها لكوبا 1898 تجردت إسبانيا تقريباً من كل ممتلكاتها الاستعمارية . أما مغامراتها في المغرب فلم تؤد إلا إلى تدميرها وصب الزيت على نار الاستياء الشعبي العميق[13] .

إن إعاقة تطور إسبانيا الاقتصادي قادت بالضرورة إلى إضعاف الميل إلى التمركز الكامن في الرأسمالية . فتراجع الحياة التجارية والصناعية في المدن ، وتدني الروابط الاقتصادية فيما بينها أديا إلى قلة اعتماد الأقاليم على بعضها البعض . وهنا حجر الزاوية في عدم نجاح إسبانيا البورجوازية إلى الآن في التخلص من الميول المضادة للمركزية في أقاليمها . إذ أن شح الموارد القومية والشعور بعدم الاستقرار لا يمكن أن يساعدا البلاد

على الخلاص من التيارات الانفصالية وإنما يغذيانها . تتجلى الإقليمية في إسبانيا بقوة غير عادية ، وخصوصاً لدى مقارنتها بجارتها فرنسا حيث أقامت الثورة العظمى أخيراً أمة واحدة لا تنفصم ، على أنقاض الأقاليم الاقطاعية .

صحيح أن الركود الاقتصادي لم يسمح بتشكيل مجتمع بورجوازي جديد ، لكنه سمح بتفسخ الطبقات الحاكمة القديمة ، إذ غالباً ما كان النبلاء يغلفون غرورهم بالأسمال . فالكنيسة كانت تنهب الفلاحين ، ولكن بين الفينة والأخرى كانت الملكية تنهبها ، هذه الملكية التي سبق لماركس أن قال عنها أنها تتقاطع مع الاستبداد الآسيوي أكثر مما مع الحكم المطلق الأوروبي .كيف ؟

إن مقارنة القيصرية الروسية بالاستبداد الشرقي التي حدثت أكثر من مرة تبدو طبيعية جداً بحكم التاريخ والجغرافيا . وتحتفظ هذه المقارنة أيضاً بكل قوتها فيما يتعلق بإسبانيا لأن الفرق يقوم فقط في أن القيصرية الروسية تشكلت على أرضيةالتطور البطيء جداً للنبلاء بينما تشكلت الملكية الإسبانية في ظل شروط انحدار البلد وتفسخ طبقاته الحاكمة . وإذا كان سبب قيام الحكم المطلق الأوروبي يعود فقط إلى صراع المدن القوية ضد الأقاليم الإقطاعية ذات الامتيازات فإن الملكية الإسبانية ، مثلها مثل القيصرية الروسية ، قد استمدت قوتها النسبية من عجز الأقاليم الإقطاعية والمدن على حد سواء . وهذا سبب تشابهها الواضح مع الاستبداد الآسيوي .

لقد هيمنت التيارات المضادة للمركزية على التيارات الدافعة باتجاهها في كل من الاقتصاد والسياسة . وهذا ما زعزع أسس البرلمانية في إسبانيا . فضغط الحكومة على الناخبين كان حاسماً : طوال القرن الماضي كانت الحكومة تنال الأغلبية عبر الانتخابات لأن الكورتس كان يجد نفسه معتمداً على الوزارات المتعاقبة التي كانت بدورها تجد نفسها تعتمد على الملكية . كانت مدريد تتحكم بالانتخابات لكن الملك كان يتحكم بالسلطة .

كانت الملكية ضرورة مزدوجة للطبقات الحاكمة المجزأة وغير المتمركزة لأنها كانت أعجز من أن تحكم البلد بالأصالة عن نفسها . وهذه الملكية التي كانت تعكس ضعف الدولة ككل كانت على ما يكفي من القوة لفرض إرادتها على البلد بين انتفاضتين .

وهكذا يمكننا تسمية نظام الدولة باختصار« حكم مطلق متفسخ ومقتصر على انقلابات عسكرية دورية » وتعبر شخصية ألفونسو الثالث عشر عن هذا النظام أيما تعبير من زاوية تفسخه وميوله المطلقة وخوفه من الانقلابات العسكرية . فمناورات الملك وتآمره وخياناته وتغلبه على التحالفات المؤقتة المعادية له ، كل هذا لا يكمن في شخص ألفونسو الثالث عشر بقدر ما يمكن في مجمل طبيعة النظام الحكومي . وفي ظل الأوضاع الجديدة فإن ألفونسو الثالث عشر لا يقوم إلا بتكرار التاريخ المشين لجده العظيم فرديناند السابع .

يمثل رجال الدين إلى جانب الملكية ، وبالتحالف معها قوة ممركزة أخرى . فلا تزال الكاثوليكية حتى يومنا هذا دين الدولة ، ويلعب رجال الدين دوراً بارزاً في حياة البلد باعتبارهم محور الرجعية الأكثر ثباتاً . وتنفق الدولة سنوياً عشرات ملايين البيزتات دعماً للكنيسة[14] .

الجماعات الدينية متعددة جداً وثروتها كبيرة ونفوذها أكبر . إذ أن عدد الرهبان والراهبات يقارب السبعين ألفاً ، وهذا ما يساوي عدد طلاب المدارس العليا وأكثر من ضعف عدد طلاب الجامعة . لذا ليس غريباً في ظل هذه الأوضاع أن يكون 45 ٪ من السكان أميين ، وأغلبهم ريفيون طبعاً .

إذا كان الفلاحون قد فازوا ببعض المكاسب من جراء قوة الامبراطورية الإسبانية في ظل شارل الخامس (كارلوس الأول) فقد عانوا من الأمرين نتيجة انحطاطها[15] . لقد عاشوا حياة فقر لعدة قرون ، وفي بعض الأقاليم حياة إملاق . وحتى يومنا هذا ما انفكوا يشكلون 70٪ من السكان ويقع على عاتقهم القسط الرئيسي من عبء بنيان الدولة . فصورة القرية الإسبانية كما يلي : إمكانية الحصول على الأرض والمياه محدودة وريوع وضرائب مرتفعة وأدوات بالية وتكنيك زراعي بدائي وطلبات الكنيسة وارتفاع اسعار المنتجات الصناعية وفيض سكاني وعدد كبير من المشردين والمملقين والرهبان . تلكم الأوضاع قادت الفلاحين إلى المشاركة في العديد من الانتفاضات منذ زمن بعيد ، لكن هذه الانفجارات الدموية لم تكن لتعم كل إسبانيا بل بقيت ظواهر محلية متلونة بأكثر الألوان تعدداً ، وغالباً باشد الألوان رجعية . ولما كانت كل الثورات الإسبانية

مجرد ثورات صغيرة فإن الانتفاضات الفلاحية كانت عبارة عن حروب صغيرة ، لذا فإن إسبانيا بلد ممتاز لحرب العصابات .

2 ـ الجيش الإسباني في السياسة :

نشأت في إسبانيا بعد حربها مع نابليون[16] قوة سياسية جديدة : إنها ضباط الجيش . هذا الجيل الشاب من الطبقات الحاكمة وريث بقايا الامبراطورية التي كانت عظيمة في يوم من الأيام والذي تدنت مرتبته الاجتماعية كثيراً .

في بلد الإقليمية والانفصالية هذا لا بد أن يكون للجيش أهمية كبيرة كقوة ممركزة . وهو لم يصبح مجرد دعامة للملكية بل أيضاً وسيلة للتعبير عن عدم رضى كل شرائح الطبقات الحاكمة . فتجنيد ضباطه يتم ، كما في البيروقراطية ، من تلك العناصر الكثيرة جداً في إسبانيا التي تريد من الدولة ، قبل أي شيء آخر ، تأمين وسائل عيشها . ولما كان عدد الطامحين من المجتمع «المثقف» يتجاوز كثيراً مناصب الدولة والبرلمان وباقي المناصب . فإن عدم رضى الذي لم يصلوا إلى مبتغاهم كان يغذي المعسكر الجمهوري غير المستقر . شأنه في ذلك باقي التجمعات في إسبانيا . وبما أن عدم الاستقرار هذا كان يخفي سخطاً اجتماعياً حاداً وأصيلاً فإن الحركة الجمهورية كانت تقدم بين الفينة والأخرى مجموعات ثورية شجاعة وصلبة ترى في الجمهورية شعاراً سحرياً للخلاص .

يبلغ العدد الكلي للجيش الإسباني حوالي 170 ألف منهم 13 ألف ضابط ، وإلى ذلك سنضيف قوات البحرية البالغ تعدادها 15 ألف . هذا هو سلاح الطبقات الحاكمة . وبما أن الهيئات القيادية تشرك قواعد الجيش في مؤامراتها فهذا يخلق الشروط لحركة مستقلة للجنود . فيما مضى انخرط ضباط الصف في السياسة بدون الضباط ، وحتى ضدهم . فضباط صف حامية مدريد أجبروا الملكة على تقديم دستور عام 1836 . وفي عام 1866 قام رقباء المدفعية الساخطون على أنظمة الجيش الأرستوقراطية بتمرد مسلح . ورغم ذلك بقيت القيادة بأيدي الضباط وظل الجنود

العاجزون سياسياً يسيرون خلف قادتهم الساخطين ، علماً بأن سخط الجنود كانت تغذيه قوى اجتماعية اشد عمقاً .

تتوافق التناقضات داخل الجيش عموماً مع فرع الخدمة . فكلما كان السلاح أكثر تطوراً ، أي كلما كان يتطلب من الجنود والضباط ذكاء أكبر ، كلما كانوا ـ والكلام بشكل عام ـ أكثر استجابة للأفكار الثورية . ففي الوقت الذي تميل فيه الخيالة عموماً للملكية نرى المدفعية تشكل نسبة كبيرة من الجمهوريين. ولا غرابة في أن القوى الجوية الجديدة ، الفرع الأحدث ، وقفت إلى جانب الثورة وجلبت معها بعضاً من المغامرة الفردية التي استقتها من مهنتها . ويبقى القول الفصل للمشاة .

إن تاريخ إسبانيا تاريخ الاضطرابات العسكرية المستمرّة ، إذ أن الانقلابات العسكرية وثورات القصر كانت تجري في أعقاب بعضها البعض . وطوال القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين ظلّت الأنظمة السياسية تتغيّر ، ومع كل تغير كانت تتبدّل حكومات لا حصر لها Kaleidoscopically فالملكية الإسبانية التي لم تقدم لها أي من الطبقات السائدة ما يكفي من الدعم الوطيد ـ مع أنهم جميعاً كانوا يحتاجونها غالباً ما كانت تجد نفسها تعتمد على جيشها فقط . وتشتت الأقاليم كان يسم المؤامرات العسكرية بميسمه . فالتنافس بين المجموعات الحاكمة لم يكن إلّا تعبيراً خارجيّاً عن افتقار الثورة الإسبانية لطبقة حاكمة . ولهذا السبب تحديداً كانت الملكية تنتصر على كلّ ثورة جديدة . وبعد كل انتصار جديد كانت الأزمة المستعصية تنفجر من جديد . فالأنظمة التي كانت تقتلع بعضها بعضاً لم يتمكن أي منها من ترسيخ جذوره ، إذ سرعان ما كانت ترهق نفسها وهي تصارع المشاكل الناجمة عن ضآلة الدخل القومي العاجز عن إشباع شهوات الطبقة الحاكمة وطموحاتها . لقد رأينا على وجه التحديد الشكل المخجل الذي أنهت به الديكتاتورية العسكرية الأخيرة أيامها : لقد سقط بريمودي ريفيرا المتجهّم حتى بدون انقلاب عسكري جديد ، لقد هبط ببساطة هبوط دولاب يمر على مسمار .

كل الثورات الإسبانية كانت عبارة عن تحرُّكات أقليّة ضد أقليَّة أخرى : فالطبقات الحاكمة أو شبه الحاكمة كانت تتخاطف فطيرة الدولة من أيدي بعضها

البعض بصبر نافذ .

إذا كنا نفهم من عبارة « الثورة الدائمة » تعاقب الثورات الاجتماعية الذي ينقل السلطة إلى الطبقة الأكثر ثورية بحيث تستخدمها لإلغاء الطبقات ، وبالتالي لإلغاء إمكانية كل ثورة جديدة فنحن نقول : رغُم « عدم انقطاع » الثورات الإسبانية فليس فيها ما يشبه الثورة الدائمة . إنها أقرب إلى الاضطرابات المزمنة المعبرة عن مرض عضال لأمة تخلّفت كثيراً .

مما لا شك فيه أن الجناح اليساري من البورجوازية ،المثقفين الشباب تحديداً ،أخذ على عاتقه منذ زمن طويل مهمة تحويل أسبانية إلى جمهورية . وجرت العادة أن يقوم الطلاب الإسبان المستقطبون من بين صفوف الشبيبة الساخطة لنفس الأسباب العامة لإستقطاب الضباط ،جرت العادة أن يقوموا بممارسة نفوذ يفوق كثيراً نسبتهم العددية . في حين أن سيطرة الرجعية الكاثوليكية أوقدت لهيب المعارضة داخل الجامعات وأعطته طابعاً مضاداً للدين . ولكن على أيّة حال فإن الطلاب لا يخلقون نظاماً ،تتميّز الأنساق العليا من الجمهوريين الإسبان ببرنامج اجتماعي محافظ إلى أبعد الحدود ، وهي ترى مثالها في فرنسا الرجعية الحالية ،وتعتقد أنها ستمتلك الثروة بامتلاكها للجمهورية . فهذه الأنساق لا تميل إلى ، وحتى غير قادرة على ، إختطاط طريق اليعاقبة[17] الفرنسيين وخوفها من الجماهير أشدّ من عاداتها للملكية .

إذا كانت شقوق قمة المجتمع ا لبورجوازي في إسبانيا تملؤها العناصر المنحدرة من الطبقات العليا ، أي الساعين الكثر وراء الدخل والمناصب ،فإن من يملأ الشقوق الدنيا ، شقوق الأساس . هي العناصر المنحدرة من البروليتاريا ، أي حثالة البروليتاريا كثيرة العدد . عاطلون عن العمل بحلل مبهرجة وعاطلون عن العمل بالأسمال . هذه البروليتاريا هي الأخطر على الثورة إلا إذا وجدت قاعدة دعمها الحقيقية وقيادتها السياسية .

ست سنوات من ديكتاتورية بريموري ريفيرا قمعت وسحقت كل سخط وتمرّد ، لكنها حملت في أحشائها علة الملكية التي لا براء لها : كانت قوية في مواجهة كل طبقة على حدة ولكنها عاجزة عن مواكبة ركب المتطلّبات التاريخية للبلد . وهذا العجز أدّى

إلى تحطم الديكتاتورية على صخرة الصعوبات المالية وباقي المشكلات قبل أن تتمكن الموجة الثورية الأولى من الوصول إليها . لقد أوقظ سقوط دي ريفيرا كل أشكال السخط والأمل وبهذا أصبح الجنرال بيرنغوير بمثابة بواب للثورة .

3 ـ البروليتاريا الإسبانية والثورة الجديدة :

من النظرة الأولى نرى في هذه الثورة نفس العناصر التي رأيناها في سلسلة الثورات السابقة : الملكية الغادرة والزمر المجزأة من المحافظين والليبراليين الذين يحتقرون الملك ويزحفون على بطونهم أمامه والجناح اليميني من الجمهوريين دائم الإستعداد للخيانة والجناح اليساري للجمهوريين الجاهز دوماً للمغامرة والضباط المتآمرين الذين يريد بعضهم الجمهورية والبعض الآخر الترقية والطلاب الهائجين الذين ينظر إليهم آباؤهم بعين الحذر وأخيراً العمال المضربين المبعثرين بين عدّة تنظيمات والفلاحين الذين وصلوا إلى حمل المذاري وحتى البنادق .

ولكن من الخطأ الفادح الافتراض بأن الأزمة الحالية تنتشر على منوال الأزمات السابقة أو على شاكلتها لأن العقود الأخيرة ، وخصوصاً سنوات الحرب العالمية ، أسفرت عن تغييرات هامة على صعيد اقتصاد البلد وتركيبها الاجتماعي . صحيح أن إسبانيا لا تزال في مؤخرة أوربا : لكنها خبرت تطورها الصناعي الخاص سواء في مجال الصناعة الثقيلة أو الخفيفة . فأثناء الحرب تطورت كثيراً الصناعات المنجمية والنسيجية وبناء المحطات الهيدروكهربائية . . . الخ ونشأت المراكز والمناطق الصناعية في طول البلاد وعرضها ، وهذا ما أوجد علاقة جديدة للقوى وفسح في المجال أمام منظورات جديدة .

إن نجاح التصنيع لم يخفف التناقضات الداخلية وإنما أججها لأن الظرف الذي إزدهرت به صناعة إسبانيا ، البلد المحايد في ظلّ مزراب الذهب المتدفّق عليها من جرّاء الحرب ، هذا التصنيع تحوّل إلى مصدر جديد للمصاعب بعد إنتهاء الحرب عندما تلاشى الطلب الأجنبي المتزايد على البضائع الإسبانية . لم تختف الأسواق الخارجية

فحسب ـحصة إسبانيا الآن من التجارة العالمية أقلّ مما كانت عليه قبل الحرب (كانت 2 , 1٪ أما الآن فهي 1 , 1٪) ـ بل كانت الديكتاتورية مضطرة أيضاً للدفاع عن سوقها الداخلي في وجه تدفّق السلع الأجنبية ،وساعدها على ذلك ارتفاع تعرفة الحواجز الجمركية في أوروبا . فإرتفاع التعرفة الجمركية أدّى إلى ارتفاع الأسعار الذي أدّى بدوره إلى إنقاص القدرة الشرائية للشعب والتي هي قليلة أصلاً . ولهذا السبب لم تنهض الصناعة بعد الحرب من رقادها . وهذا ما يتجلّى بالبطالة المزمنة من جهة وبالانفجارات الحادّة للصارع الطبقي من جهة أخرى .

إن مقدرة البورجوازية الإسبانية الآن على القيام بالدور التاريخي الذي قامت به فيما مضى البورجوازيتان البريطانية والفرنسية أقلّ مما كانت عليه حتى في القرن التاسع عشر . فالبورجوازية الصناعية الكبيرة التي ظهرت متأخّرة جداً في إسبانيا والمعتمدة على رأس المال الأجنبي والملتصقة كعلقة على جسد الشعب ليست قادرة على البروز كقائدة « للأمّة» ضد الملكيات الإقطاعية ولولفترة قصيرة لأنها معادية للشعب وتشكّل حلفاً رجعيّاً مع أصحاب البنوك وكبار ملاّكي الأراضي ومع الملكية وجنرالاتها وموظفيها ،وكلهم يلتهمون بعضهم بعضاً في صراع داخلي . ويكفي أن نذكر أن صناعيي كاتالونيا كانوا أهم داعمي ديكتاتورية بريمودي ريفيرا .

لقد قوّى التطوُّر الصناعي البروليتاريا وأوقفها على أقدامها . فمن بين الـ 23 مليون من السكان ـ كان يمكن أن يكونوا أكثر لولا الهجرة ـ ثمّة حوالي 1,5 مليون عامل في الصناعة والتجارة والنقل . وإليهم يمكن أن نضيف حوالي نفس الرقم من عمال الزراعة . كانت الحياة الاجتماعية في إسبانيا محكومة بالدوران في حلقة مفرغة ما لم توجد طبقة قادرة على تولّيّ حل المسألة الثورية . إلا أن ظهور البروليتاريا على ساحة الصراع التاريخي يغير الوضع جذرياً ويفسح المجال أمام احتمالات جديدة . وحتى نفهم هذا كما ينبغي يجب أن نفهم في البداية أن السيطرة الاقتصادية للبورجوازية وتنامي الأهمية السياسية للبروليتاريا يمنع البورجوازية الصغيرة تحديداً من احتلال موقع قيادي في حياة البلد السياسية . إن السؤال حول إمكانية الاضطرابات الثورية الحالية على توليد ثورة حقيقية قادرة على إعادة تنظيم أساس الحياة على المستوى القومي ، هذا السؤال يتحوّل مباشرة

إلى : هل يمكن للبروليتاريا أن تتولَّى قيادة الحياة على المستوى القومي أم لا ؟ ليس هناك غيرها من يطالب بهذا الدور في الأمّة الإسبانية . وعلاوة على ذلك فإن التجربة التاريخية في روسيا أوضحت بما فيه الكفاية مدى الثقل النوعي الذي تتمتع به البروليتاريا التي وحَّدتها الصناعة الكبيرة داخل بلد زراعي متخلِّف وواقع ضمن شبكة علاقات نصف إقطاعية .

صحيح أن العمال الإسبان قاموا بدور كفاحي في القرن التاسع عشر ولكن دوماً بقيادة البورجوازية ، ودوماً في الصف الثاني كقوَّة ثانوية . لقد تعزَّز دورهم الثوري المستقل في الربع الأول من القرن العشرين . فإنتفاضة برشلونة 1909[18] أظهرت مدى الطاقة الثورية الكامنة في بروليتاريا كاتالونيا الشابّة . كما أن العديد من الإضطرابات تحوَّلت إلى إنتفاضات علنية في مناطق أخرى من البلاد ، إذ أضرب عمال السكك الحديدية عام 1912 وصارت المناطق الصناعية ساحات لكفاح البروليتاريا الباسلة . لقد أظهر العمال الإسبان تحرُّرهم الكامل من الروتين ومقدرتهم على التجاوب السريع مع الأحداث وعلى رصّ صفوفهم بشجاعة أثناء الهجوم .

كانت السنوات الأولى لما بعد الحرب 1917 ـ 1920 . والأدقّ السنوات الأولى لما بعد الثورة الروسية ، سنوات المعارك الكبيرة للبروليتاريا الإسبانية . فقد شهد عام 1917 إضراباً ثورياً عاماً مهَّدت هزيمته ، وهزيمة بعض التحركات اللاحقة ، الطريق أمام ديكتاتورية بريمودي ريفيرا . وعندما طرح انهيار هذه الديكتاتورية مرَّة أخرى بكلِّ ثقله مسألة المصير اللاحق للشعب الإسباني ، وعندما تبين أن الخلاص لا يمكن توقعه من مسعى الزمر القديمة الجبان ولا من العويل العقيم لراديكاليي البورجوازية الصغيرة ، صرخ العمال بالشعب عبر سلسلة إضرابات ناجحة : **نحن هنا** .

يحلو للصحفيين البورجوازيين الأوروبيين « اليساريين » والإشتراكيين الديموقراطيين السائرين في ركابهم أن يتفلسفوا بخصوص الثورة الإسبانية ليقولوا إنها ستكون مجرَّد نسخة أخرى عن الثورة الفرنسية العظمى بعد تأخر مائة وخمسين عاماً . إن شرح مسألة الثورة لهؤلاء كمناقشة الأعمى في مسألة الألوان لأن إسبانيا بكلِّ تخلُّفها تجاوزت كثيراً فرنسا القرن الثامن عشر . فالمشاريع الصناعية الكبرى وعشرة آلاف ميل

من السكك الحديدية وثلاثين ألف ميل من التلغراف أهم بكثير ، بالنسبة للثورة ، من المخلّفات التاريخية .

أما المجلّة الإنجليزية الشهيرة الايكونومست فتحاول أن تتقدّم خطوة إلى الأمام عندما تقول عن الأحداث الإسبانية « نجد هنا رياح باريس 1848 و 1871 أكثر مما نجد رياح موسكو 1917 » . لكن باريس 1871 هي خطوة من 1848 باتّجاه 1917 ، ومعارضة هذه بتلك محاولة عقيمة . والنتيجة التي توصل إليها تاركين Tarquin[19] في السنة الماضية في مجلّة «صراع الطبقات» La Lutte Classes أكثر جديّة وعمقاً « إن البروليتاريا (الإسبانية) المدعومة من الجماهير الفلاحية هي القوة الوحيدة القادرة على الاستيلاء على السلطة » بالمنظور التالي « لا بدّ لهذه الثورة أن تقيم ديكتاتورية البروليتاريا التي ستنفذ الثورة البورجوازية وتفتح الطريق بشجاعة أمام البناء الاشتراكي » . وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تطرح تطرح بها المسألة الآن .

4 ـ برنامج الثورة :

الجمهورية الآن هي الشعار الرسمي للنضال ، لكن تطور الثورة سيدفع إلى راية الملكية ليس فقط المحافظين والليبراليين بل أيضاً الأقسام الجمهورية من الطبقات الحاكمة . فأثناء ثورة 1854 كتب كانوفاس ديل كاستيلو Canovas del Castillo « نحن نناضل حفاظاً على العرش ولكن من غير بطانة تكون وصمة عار في جبينه » . والآن يقوم السنيوررومانونز Romanones[20] وآخرون بتطوير هذه الفكرة العظيمة كما لو أن الملكية ، وخصوصاً في إسبانيا ، ممكنة بدون بطانة .

من المؤكد أنه يمكن قيام جملة ظروف تضطر فيها الطبقات المالكة للتضحية بالملكية إنقاذاً لجلدها (ألمانيا على سبيل المثال) ولكن على الأرجح أن ملكية مدريد نفسها ستبقى حتى يحين موعد إنتصار ديكتاتورية البروليتاريا . مما لا شكّ فيه أن شعار الجمهورية هو أيضاً شعار العمال : لكن قيامها لا يعني بالنسبة لهم إستبدال الملك

برئيس وإنما تطهير كل المجتمع من بقايا الإقطاع . وبهذا تكون الأهمية الأولى للمسألة الزراعية .

تمثّل العلاقات في الريف الإسباني صورة للإستغلال شبه الإقطاعي . فإفقار الفلاحين ، خاصة في الأندلس وكاستيلي ، وإضطهاد ملاّك الأراضي والسلطات والمخاتيركثيراً ما دفع العمال الزراعيين والفلاحين على طريق التمرُّد العلني . فهل يعني هذا أنه يمكن تطهير العلاقات الرأسمالية من العلاقات الإقطاعية حتى أثناء الثورة ؟ أبداً . إنه يعني أنه في ظلّ الأوضاع القائمة في إسبانيا لا بدَّ للرأسمالية من إستخدام الوسائل الإقطاعية لإستغلال الفلاّحين . لذا فتوجيه سلاح الثورة ضد بقايا العصور الوسطى في إسبانيا سيعني توجيهه ضد جذور النظام البورجوازي نفسها .

تحتاج البروليتاريا لبرنامج ديمقراطي ثوري واضح لكي تبعد الفلاّحين عن ضيق الأفق المحلي وعن التأثيرات الرجعية . إن توقهم للأرض وعبوديتهم الناجمة عن الريع المرتفع يفرضان طرح مصادرة الأراضي الخاصة لصالح الفلاّحين الفقراء . وعبء الموارد المالية للدولة والدين الحكومي الذي لا يحتمل والنّهب البيروقراطي والمغامرات الأفريقية ، كل هذه الأمور تستدعي ضرورة قيام حكومة قليلة المصاريف ، وهي ما لا يمكن أن يقيمها كبار ملاّكي الأراضي ولا أصحاب البنوك والصناعيون ولا النبلاء الليبراليون . حكومة كهذه لا يمكن أن يقيمها إلاّ الكادحون أنفسهم .

أما سيطرة رجال الدين وملكية الكنيسة فتطرح المسألة الديمقراطية المتمثّلة في فصل الكنيسة عن الدولة وتجريدها من ملكيّتها وتحويلها لصالح الشعب . وهذه الخطوة الحاسمة ستؤيّدها حتى القطاعات الفلاّحية المؤمنة بالخرافة أشدّ الأيمان عندما تقتنع أن مبالغ الميزانية المخصّصة للكنيسة ، وثروة الكنيسة نفسها ، لن تذهب من جرّاء هذا الفصل إلى جيوب الليبراليين الملحدين ، كما هو واقع الحال الآن ، بل لرعاية الأراضي الفلاّحية المنهكة .

والإتّجاهات الإنفصالية تزوّد الثورة بالمهمة الديمقراطية المتمثّلة في حقّ تقرير المصير ،وقد برزت هذه الإتّجاهات في شتّى مظاهر الحياة في عهد الديكتاتورية . ولكن

في الوقت الذي تكون فيه « إنفصالية » البورجوازية الكاتالونية مجرد بيدق شطرنج في لعبتها مع حكومة مدريد فإن إنفصالية العمال والفلاّحين إن هي إلا غلاف لتمردهم الاجتماعي . لذا يجب التمييز بدقّة بين هذين ا لشكلين من الإنفصالية . ورسم الخط الفاصل بين العمال والفلاحين والمضطهدين قومياً وبين بورجوازيّتهم يتطلّب من طليعة البروليتاريا إتّخاذ الموقف الأكثر جرأة وإخلاصاً في تناول مسألة حقّ تقرير المصير سيدافع العمال مطلق الدّفاع عن حقّ الكاتالونيين والباسكيين في تنظيم شؤون حياتهم بشكلٍ مستقلّ عندما تعبر أغلبية هاتين القوميتين عن رغبتها في الإنفصال الكامل . لكن هذا بالطبع لا يعني قيام العمال الطليعيين بدفع الكاتالونيين والباسكيين على طريق الإنفصال . على العكس فالوحدة الإقتصادية للبلد في ظلّ **حكم ذاتي واسع للمناطق القومية** سيحقّق للعمال والفلاحين فوائد جمّة من الناحيتين الاقتصادية والثقافية .

من غير المستبعد أن تحاول الملكية قطع الطريق على التطور اللاحق للثورة عبر ديكتاتورية عسكرية جديدة ، لكن المستبعد هو النجاح الفعلي لهذه المحاولة على المدى الطويل . إن درس بريموري ريفيرا لا يزال ماثلاً للعيان وقيود الديكتاتورية الجديدة ستوضع على القروح التي لم تبرأ من قيود الديكتاتورية القديمة . فالملك يرغب بالمحاولة ، حسب أقوال الصحف ، وها هو يفتّش قلقاً بحثاً عن مرشّح كفء لكنه لا يجد متطوِّعين . يقيناً إن تحطّم ديكتاتورية عسكرية جديدة سيكون باهظ الثمن بالنسبة للملكية وممثّلها الأبرز أما الثورة فستكسب زخماً قويّاً . ويستطيع العمال أن يقولوا للطبقات المالكة : فلنتراهن أيها السادة .

هل يمكننا أن نتوقّع من الثورة الإسبانية أن تتجاوز المرحلة البرلمانية ؟ هذا غير مستبعد نظرياً ، إذ من المفهوم أنه يمكن للحركة الثورية في غضون فترة قصيرة نسبياً أن تمتلك قوّة كبيرة بحيث لا تترك للطبقات الحاكمة لا الزمان ولا المكان من أجل البرلمانية . لكن هذا المنظور غير وارد عملياً لأن البروليتاريا الإسبانية ، ورغم كفاحيتها ، لا تعرف حزبها الثوري ولا خبرة لها بتنظيم السوفييتات بالإضافة إلى غياب الوحدة بين صفوف الشيوعيين المشتّتة وغياب برنامج عمل واضح يقبل به الجميع ، كل هذا قائم في الوقت الذي تنطرح فيه مسألة الكورتس على جدول الأعمال . في ظلّ هذه

الأوضاع لا بدَّ لنا أن نفترض أن الثورة ستمرّ عبر المرحلة البرلمانية .

وهذا لا يستثني إطلاقاً اللجوء إلى تكتيك مقاطعة الكورتس المزيف لبير نغوير تماماً كمقاطعة العمال الروس الناجحة لدوما بوليغينBulyginالتي أدت إلى انهيارها[21] . فتحديد تكتيك المقاطعة ينبغي أن يتقرر استناداً إلى علاقة القوى في مرحلة معينة .

وحتى في الوقت الذي تجري فيه مقاطعة كورتس بير نغوير ينبغي على العمال الطليعيين أن يطرحوا في مواجهته شعار **الكورتس التأسيسي الثوري** . يجب أن لا نألوا جهداً في كشف خداع الكورتس **التأسيسي** الذي تتشدق به البورجوازية« اليسارية» التي تريد في الحقيقة كورتس مساومة يلقى الحظوة عند الملك وبير نغوير ويهدف إلى المساومة مع الشلل الحاكمة القديمة ذات الامتيازات . لا يمكن لجمعية تأسيسية حقيقية أن تنعقد إلا في ظل حكومة ثورية . وهذه الحكومة لن تكون إلا نتاج انتفاضة مسلحة ناجحة يقوم بها العمال والجنود والفلاحون .

يمكننا ، بل يجب علينا ، أو نواجه كورتس المساومة بالكورتس الثوري . ولكن علينا ألا ننسى أنه من غير الصحيح في هذه المرحلة أن نتخلى عن الكورتس الثوري . إن طرح شعار ديكتاتورية البروليتاريا في مواجهة مشكلات وشعارات الديموقراطية الثورية (الجمهورية ـ الثورة الزراعية ـ فصل الكنيسة عن الدولة ـ مصادرة ممتلكات الكنيسة ـ حق تقرير المصير ـ الجمعية التأسيسية الثورية)لن يكون إلا مذهبية في غاية البؤس والعقم . فقبل أن تستولي الجماهير على السلطة يجب أن تلتف حول الحزب البروليتاري القائد . كما أن النضال من أجل التمثيل الديموقراطي في الكورتس ، في هذه أو تلك من مراحل الثورة ، يمكن أن يسهل هذه المسألة إلى حد بعيد .

إن شعار **تسليح العمال والفلاحين** (إنشاء ميليشيا العمال والفلاحين) يجب أن يكون ذا أهمية قصوى في النضال . ولكن يجب في هذه المرحلة أن يرتبط وثيق الارتباط بقضايا الدفاع عن منظمات العمال والفلاحين والثورة الزراعية وضمان الانتخاب الحر وحماية الشعب من الانقلابات العسكرية الرجعية .

على الحزب البروليتاري أن ينقش على رايته برنامجاً ثورياً **للتشريع الاجتماعي** ، وخصوصاً التأمين ضد البطالة وإلقاء عبء الضرائب على كاهل الطبقات الغنية والثقافة

الشعبية الحرة ، أي كل هذه الإجراءات وغيرها التي لا تتجاوز في ذاتها إطار المجتمع البورجوازي .

وإلى جانب هذه المطالب علينا أن نقدم من الآن مطالب ذات أهمية انتقالية : تأميم سكك الحديد ـ كلها ملكية خاصة ـ وتأميم المناجم والبنوك وسيطرة العمال على الصناعة وأخيراً تنظيم الدولة للاقتصاد . كل هذه المطالب مرتبطة بالانتقال من النظام البورجوازي إلى الاشتراكي لأنها تعد العدة له . وهكذا بعد تأميم البنوك والصناعة يمكن لهذه الإجراءات أن تصبح جزءاً من منظومة خطوات تفضي إلى اقتصاد يمهد الطريق إلى المجتمع الاشتراكي .

من يرى تناقضاً بين الشعارات الديموقراطية والشعارات الانتقالية أو الاشتراكية المحضة هم المتحذلقون فقط لأن هكذا برنامج مشترك ،باعتباره يعكس التركيب المتناقض لصيرورة المجتمع تاريخياً ، إنما ينبثق حتماً من تنوع المشاكل الموروثة عن الماضي . إن اختزال كل هذه المتناقضات والمهام إلى ديكتاتورية البروليتاريا باعتبارها القاسم المشترك أمر لا بد منه ولكن غير كاف بتاتاً . وحتى إذا استطردنا وافترضنا أن طليعة البروليتاريا قد استوعبت فكرة أن ديكتاتورية البروليتاريا فقط هي القادرة على إنقاذ إسبانيا من استمرار تفسخها فتبقى مشكلة التحضير ماثلة بكل قوتها : كيفية توحيد القطاعات غير المتجانسة وشغيلة القرى المتنافرين حول الطليعة . عندما نفصل ديكتاتورية البروليتاريا الصرفة عن المهام المحددة تاريخياً والتي تدفع الجماهير الآن على طريق التمرد فهذا يعني أن نستبدل بالمفهوم الماركسي للثورة الاجتماعية مفهوم باكونين[22] ، وهذا أضمن طريق لدمار الثورة .

من البديهي أن الشعارات الديموقراطية لا تهدف إلى تقريب البروليتاريا من البورجوازية الجمهورية ،لا بل إنها ترسي الأساس لصراع ظافر ضد البورجوازية اليسارية وتمكن من كشف طبيعتها المضادة للديموقراطية في كل خطوة تخطوها كلما كانت الطليعة البروليتارية أكثر شجاعة وتصميماً وصلابة في النضال من أجل الشعارات الديموقراطية كلما استقطبت الجماهير أسرع وكلما كان تقويضها لأسس دعم الجمهوريين البورجوازيين والاشتراكيين الإصلاحيين أسرع . وكلما سارعت خيرة عناصر الجماهير

بالانضمام إلينا كلما تسارع التطابق في أذهان الجماهير بين الجمهورية الديموقراطية والجمهورية العمالية .

حتى تتحول الصيغة النظرية الصحيحة إلى حقيقة تاريخية ملموسة يجب أن تنفذ إلى وعي الجماهير استناداً إلى تجربتها وحاجاتها . ولتحقيق ذلك علينا أن نتجنب الغوص في وحل التفاصيل كيلا نربك وعي الجماهير . يجب أن يتم التعبير عن برنامج الثورة بعدة شعارات واضحة وبسيطة تختلف حسب دينامية الصراع . وهذا تحديداً ما تتألف منه السياسة الثورية .

5 ـ الشيوعية والفوضوية السنديكالية والاشتراكية الديموقراطية :

لقد بدأت قيادة الكومنترن ، كالمعتاد ، بالتغاضي عن الأحداث الإسبانية[23] . ومؤخراً أعلن مانويلسكي ، « قائد » البلدان اللاتينية ، أن الأحداث الإسبانية لا تستحق الاهتمام . تفضلوا ! لقد سبق لهؤلاء الناس أن أعلنوا عام 1928 أن فرنسا على حافة الثورة . إذن بعدما قاموا طويلاً بتشييع الجنازات على أنغام موسيقى الأعراس لم يبق أمامهم إلا أن يستقبلوا الزفاف على أنغام موسيقى الجنازات ، وإذا تصرفوا خلاف ذلك فهذا يعني أنهم يخونون أنفسهم . ومع ذلك عندما تبين لهم أن الأحداث ، التي لم يتم التنبؤ بها في تقويم المرحلة الثالثة[24] ، تابعت تطورها بقي قادة الكومنترن صامتين . وهذا ينم عن وقار شديد . لكن أحداث كانون الأول جعلت استمرار الصمت ضرباً من المستحيل[25] . ومرة أخرى ، وبالانسجام التام مع التقاليد ، انعطف قائد البلدان اللاتينية بمقدار°180: لا زلنا نذكر مقالته في البرافدا 17 كانون الأول .

تسمي هذه المقالة ديكتاتورية بير نغوير ، كديكتاتورية بريمودي ريفيرا ، « ديكتاتورية فاشية »موسوليني ، ماتيوني ، بريمودي ريفيرا ، ماكدونالد ، تشان كان تشيك ، بير نغوير ، دان ، كل هؤلاء أشكال مختلفة من الفاشية[26] . عندما يكون لديك وصف جاهز فلماذا تزعج نفسك بالتفكير ؟! وحتى تكونوا شاملين لم يبق لكم إلا

إضافة نظام النجاشي الحبشي « الفاشي » إلى الكاتالوك . تخبرنا البرافدا أن البروليتاريا الإسبانية لا تتبنى « برنامج الحزب الشيوعي وشعاراته » باضطراد فحسب ، بل أيضاً « أصبحت واعية لدورها المسيطر في الثورة » و وبنفس الوقت تتحدث الرسائل الصحفية عن تشكيل سوفييتات فلاحية في إسبانيا . . لقد بات معروفاً في ظل القيادة الستالينية أن أول من يتبنى نظام السوفييتات ويقيمها هم الفلاحون (مثال الصين) . إذا كانت البروليتاريا قد « أصبحت واعية لدورها المسيطر » وأن الفلاحين باشروا بتشكيل السوفييتات تحت قيادة الحزب الشيوعي فهذا يعني أنه يجب اعتبار انتصار الثورة الإسبانية أمراً مضموناً ـ على كل حال إنه مضمون حتى يحين الوقت الذي يقوم فيه ستالين ومانويلسكي باتهام ممثليهم الإسبان بعدم تطبيق الخط العام بشكل صحيح . هذا الخط الذي يتكشف أمامنا على صفحات البرافدا جهلاً عاماً وسخفاً عاما . لم يعد بمقدور هؤلاء القادة أن يتعلموا أي شيء بعدما أفسدتهم سياستهم حتى النخاع .

في الحقيقة إن العناصر الذاتية للثورة ـ الحزب والمنظمات الجماهيرية والشعارات ـ ورغم زخم النضال ، لا تزال متخلفة جداً عن المهمات التي تتطلبها الحركة . وهذا هو الخطر الرئيسي في الوقت الحاضر .

هذه المرحلة من الثورة ـ انتشار الإضرابات نصف العفوية التي أدت إلى هزائم أو ضحايا أو انتهت بدون مكاسب ـ لا يمكن تجنبها إطلاقاً . إنها مرحلة استيقاظ الجماهير وتعبئتهم وانخراطهم في النضال . لم تشارك في هذا النضال فقط نخبة العمال بل كل الجماهير ، ليس فقط عمال المصانع بل أيضاً الحرفيون والسائقون والخبازون وعمال البناء والري وأخيراً عمال الزراعة : ذوو الخبرة يوسعون نطاق عملهم والمنخرطون الجدد يتعلمون . فعبر هذه الإضرابات تبدأ الطبقة تشعر بذاتها كطبقة .

يمكن للعفوية التي تشكل في هذه المرحلة مصدر قوة للحركة، أن تصير في المستقبل مصدر ضعفها . وإذا افترضنا استمرار الحركة من تلقاء ذاتها ، بلا برنامج واضح وبلا قيادة ، فهذا يعني أننا نفترض منظوراً يائساً لأن المطروح ليس أقل من الاستيلاء على السلطة . وحتى أشد الإضرابات عصفاً لا تحل المشكلة ، فما بالك بالإضرابات المكسورة ؟! . ما لم تشعر البروليتاريا أثناء النضال في الشهور القادمة أن مهماتها

وأساليب عملها قد أصبحت أكثر وضوحاً وأن صفوفها قد قويت وتعززت فسيبدأ التخلخل يفعل فعله في صفوفها. إذ أن الشرائح الواسعة التي استثارتها هذه الحركة للمرة الأولى ستعاود سلبيتها ، وداخل الطليعة البروليتارية وبقدر ما تشعر بالأرض تميد من تحت أقدامها ، سيبدأ النفس الميال للأفعال الحرفية والمغامرة عموماً بالانتعاش .

بنهاية كهذه لن يجد الفلاحون وفقراء المدينة عموماً قيادة يعتمدون عليها ، وسرعان ما يتحول استيقاظ الآمال إلى خيبة أمل وإنهاك . بنهاية كهذه سيولد وضع في إسبانيا يكرر إلى حد ما الوضع الذي نشأ في إيطاليا بعد خريف 1920[27] . لم تكن ديكتاتورية بريمودي ريفيرا فاشية بل ديكتاتورية عسكرية نموذجية لزمرة عسكرية تستند على أقسام معينة من الطبقات المالكة . ولكن بالوضع المشار إليه آنفاً ـ سلبية الحزب البروليتاري وتردده وعفوية الجماهير ـ ستجد الفاشية الحقيقية قاعدة لها في إسبانيا . فالبورجوازية الكبيرة ستهزم جماهير البورجوازية الصغيرة اليائسة والمحبطة وغير المتوازنة وبالتالي ستجعلها توجه حقدها ضد البروليتاريا . صحيح أننا لا زلنا بعيدين عن هذه المرحلة ولكن يجب أن لا نضيع الوقت .

حتى في حال افتراضنا للحظة أن الجناح اليساري من الورجوازية ـ الضباط والطلاب والجمهوريين ـ سيقود الحركة الثورية إلى النصر ، فعقم هذا النصر سيتكشف ، في التحليل النهائي ، أنه والهزيمة سيّان . تقوم قاعدة دعم الجمهوريين ، كما سبق وقلنا ، على علاقات الملكية الحالية . ونحن لا نتوقع منهم تجريد كبار ملاك الأراضي من ممتلكاتهم ولا إلغاء امتيازات الكنيسة وتطهير الاسطبلات القذرة للبيروقراطية المدنية والعسكرية . فالبطانة الملكية ستحل محلها بطانة جمهورية ، وسنجد أنفسنا إما نسخة جديدة من جمهورية 1873 ـ 1874 العقيمة التي لم تدم طويلاً[28] .

إن كون الاشتراكيين الديموقراطيين يجرجرون أنفسهم في أذيال القادة الجمهوريين لمن طبيعة الأمور . بالأمس كانت الاشتراكية الديموقراطية تمسك بيدها اليمنى بديكتاتورية بريمودي ريفيرا ، وهاهي اليوم تمسك بالجمهوريين بيدها اليسرى . فالهدف الرئيسي للاشتراكيين الذين لا يريدون ، ولا يستطيعون انتهاج سياسة مستقلة هو المشاركة في حكومة بورجوازية متماسكة ، ولتحقيق ذلك لن يرفضوا التصالح حتى مع

الملكية .

الجناح اليميني من الفوضيين السنديكاليين ليس محصناً أبداً ضد مصير كهذا ، وأحداث كانون الأول درس كبير وتحذير قاس في هذا المجال . لا مجال للاختلاف في حقيقة أن الاتحاد القومي للعملCNTيضم العناصر الأكثر كفاحية من البروليتاريا طالما أن انتقاءه لعناصره قد تم على مدى سنوات عديدة . لذا فإن تقوية هذا الاتحاد وتحويله إلى منظمة حقيقية للجماهير مهمة كل عامل طليعي ومهمة الشيوعيين قبل الجميع . يمكن أن يساعد في هذا الاتجاه العمل داخل النقابات الإصلاحية وفضح خيانة قادتها بلا كلل.ودعوة العمال إلى الاتحاد في اتحاد نقابي واحد . وظروف الثورة ستساعد كثيراً على إنجاز هذا العمل .

وبنفس الوقت ما من أوهام لدينا ، مهما تكن ، بخصوص الفوضوية السنديكالية كمذهب وأسلوب نضال . فالفوضوية السنديكالية التي تفتقد البرنامج الثوري ولا تفهم دور الحزب إنما تجرد العمال من سلاحهم . « يشجب » الفوضويون السياسة حتى تضغط على أنفاسهم ليقوموا من ثم بالتمهيد لسياسة العدو الطبقي . وهذا ما حصل في كانون الأول . إذا اكتسب الحزب الاشتراكي موقع القيادة أثناء الثورة فسيقوم بشيء واحد : صب السلطة التي كسبتها الثورة في المنخل الجمهوري لتنتقل عبره مباشرة إلى مالكيها الحاليين ، وبهذا يكون الإجهاض مصير الجنين .

يمكن للفوضويين السنديكاليين أن يقودوا الثورة فقط إذا تخلوا عن آرائهم الفوضوية ، وواجبنا مساعدتهم في ذلك . من المفترض أن يذهب قسم من قادة الفوضويين السنديكاليين إلى الاشتراكيين أو أن تلقي بهم الثورة على قارعة الطريق ، أما الثوريون الحقيقيون فسيكونون معنا وستنضم جماهيرهم إلى الشيوعية وكذلك ستفعل غالبية العمال الاشتراكيين .

تكمن ميزة الوضع الثوري في أن الجماهير تتعلم فيه بسرعة . وتطور الجماهير سيقود حتماً إلى اختلافات وانشقاقات ليس فقط داخل الاشتراكيين بل أيضاً داخل السنديكاليين . وفي سياق الثورة ستقوم لا محالة اتفاقات مع السنديكاليين الثوريين وسننجز هذه الاتفاقات بإخلاص ، ومن الخطأ الفادح تضمين هذه الاتفاقات بعضاً من

الازدواجية والتكتم والخداع . حتى في تلك الأيام والساعات التي يتوجب فيها على الشيوعيين أن يقاتلوا جنباً إلى جنب مع العمال السنديكاليين يجب أن لا يخفوا الفروقات وأن لا يسكتوا عن انتقاد الموقف الخاطىء مبدئياً للحليف . وإذا ما تحقق هذا الشرط ستتطور الثورة باضطراد .

6- الجنتا الثورية والحزب Junta:

لقد أظهرت أحداث الخامس عشر من كانون الأول التي هب بها العمال في كل المدن الكبيرة والقرى البعيدة مدى كفاحية العمال من أجل وحدتهم في العمل . وإذا كانوا قد استخدموا راية الجمهوريين فلأنهم لم يجدوا من يرفع رايتهم عالياً بما فيه الكفاية . وهزيمة حركتهم لم تلق عليهم ولو ظلاً من الرعب إذ اعتبروها خبرة ومدرسة وتحضيراً . وهذه إحدى الصفات البارزة للنهوض الثوري .

وحتى تدخل البروليتاريا طريق النضال الواسع فهي تحتاج من الآن إلى منظمة تسمو فوق الانقسامات السياسية والقومية والإقليمية والنقابية القائمة حالياً في صفوفها وتستجيب للموجة الثورية الحالية . وهذه المنظمة التي ينتخبها ديموقراطياً عمال المصانع والمطاحن والمشاريع التجارية وسكك الحديد والنقل البحري ، هذه المنظمة التي ينتخبها ديموقراطياً بروليتاريو المدن والريف لا يمكن أن تكون إلا السوفييات . لقد أضر المنحرفون[29] كثيراً بالحركة الثورية في كل أنحاء العالم عندما أدخلوا في كثير من الأذهان انحرافاً مفاده أن السوفييتات لا تخلقها إلا الحاجة إلى الانتفاضة المسلحة وفقط عشيتها . لكن الحقيقة أن السوفييتات تقوم عندما تشعر حركة الجماهير الثورية ـ ولو أنها لا تزال بعيدة عن الانتفاضة ـ بالحاجة إلى منظمة مسؤولة تضم عمال المشاريع والمهن المختلفة وقادرة بنفس الوقت على قيادة نضالاتها السياسية والاقتصادية . ويمكن للسوفييتات أن تضطلع بدور قيادي في مرحلة النضال المباشر من أجل السلطة إذا ترسخت داخل الطبقة العاملة أثناء الفترة التمهيدية من الثورة . صحيح أن كلمة « السوفييت » قد اتخذت بعد ثلاثة عشر عاماً من وجود النظام السوفييتي معنى مختلفاً نوعاً

ما عن المعنى الذي كان لها عام 1905 أو في بداية عام 1917 حيث لم تظهر كأجهزة للسلطة بل كمنظمة كفاحية للطبقة العاملة . إن كلمة جنتا المرتبطة مباشرة بكل تاريخ إسبانيا الثوري تعبر عن هذه الفكرة أفضل من أي شيء آخر : لذا ينطرح نشوء جنتات العمال على جدول أعمال اليوم في إسبانيا .

على ضوء الحالة الراهنة للبروليتاريا ، يفترض تشكيل الجنتات مشاركة الشيوعيين والفوضويين السنديكاليين والاشتراكيين الديموقراطيين وقادة الإضرابات اللاحزبيين . لا يمكننا التنبؤ عن بعد بمدى المراهنة على مشاركة الفوضويين السنديكاليين والاشتراكيين في السوفييتات . ولكن ما لا شك فيه أن الاندفاعة القوية للحركة سترغم العديد من السنديكاليين ، وربما بعض الاشتراكيين ، على السير مع الثورة أكثر مما يرغبون ، شريطة أن يقوم الشيوعيون من جانبهم بالعمل الضروري لتشكيل جنتات العمال . فتحت ضغط الجماهير يمكن أن تصبح ، ويجب أن تصبح القضايا العملية لتشكيل السوفييات ، كنسبة التمثيل وزمان الانتخابات وشكلها وما شابه ، موضع اتفاق ليس فقط بين كل فصائل الشيوعيين بل أيضاً مع السنديكاليين والاشتراكيين الذين يوافقون على تشكيلها . وطبعاً سيبرز الشيوعيون في كل مراحل النضال ورايتهم مشرّعة .

ورغم آخر منتجات النظرية الستالينية من غير المرجح أن تظهر الجنتات الفلاحية كأجهزة منتخبة بأعداد كبيرة قبل استيلاء البروليتاريا على السلطة ، بل ستظهر في الفترة التمهيدية أشكال جديدة من التنظيم لا تقوم على الانتخابات وإنما على الاختيار الفردي : اتحادات فلاحية ولجان الفلاحين الفقراء ونوى شيوعية واتحاد عمال الزراعة وما شابه . واستناداً إلى برنامج زراعي ثوري علينا أن نقوم من الآن بوضع الدعاية لشعار الجنتات الفلاحية على جدول أعمال اليوم .

الطرح الصحيح لمسألة « جنتات الجنود » هام جداً بسبب طبيعة التنظيم العسكري نفسه . ويمكن أن تظهر هذه الجنتات فقط في المرحلة النهائية من الأزمة الثورية عندما تفقد الدولة سيطرتها على الجيش . أما في المرحلة التمهيدية فستكون المسألة مسألة تنظيمات ذات طابع شخصي بين مجموعات من الجنود الثوريين أو بين النوى الحزبية . وفي كثير من الأحيان ستكون مسألة صلات شخصية بين العمال وأفراد من الجنود .

مما لا شك فيه أن الانتفاضة الجمهورية لكانون الأول 1930 ستدخل التاريخ كفترة انتقالية بين مرحلتين من النضال الثوري . صحيح أن الجناح اليساري من الجمهوريين اتصل بقادة المنظمات العمالية ليقوموا معاً بعمل واحد ، ولكن كان يتعين على العمال العزّل أن يقوموا بدور المصفق للجمهوريين باعتبارهم المنفذين الرئيسيين . يبين هذا الحادث بشكل نهائي عدم الانسجام بين مؤامرة الضباط والإضراب الثوري . فالحكومة وجدت داخل الجيش نفسه قوات كافية لمواجهة المؤامرة العسكرية، باعتبارها تضع أحد فروع الخدمة في مواجهة الآخر . وما إن انسحقت الانتفاضة حتى استحال الإضراب العام عدماً لأنه كان بلا هدف مستقل أو قيادة خاصة .

إن الدور الثوري للجيش كقسم مسلح من الشعب ، لا كأداة لتجارب الضباط ، سيقرره في التحليل النهائي دور الجماهير العمالية والفلاحية أثناء النضال . وحتى ينتصر الإضراب الثوري يجب أن يؤدي إلى اصطدام العمال بالجيش . فالهام في الموضوع ليس الجانب العسكري الصرف لهذا الصدام وإنما جانبه السياسي . يمكننا أن نكسب جماهير الجنود فقط عندما نشرح لهم بوضوح المهام الاجتماعية للثورة ، وهذه المهمات تحديداً هي ما يخيف الضباط . من الطبيعي أنه يتعين على ثوريي البروليتاريا من الآن إيلاء اهتمامهم للجنود وذلك بإنشاء نوى من الثوريين الواعين الشجعان داخل أفواجهم ، علماً بأن عملهم السياسي داخل الجيش الخاضع لعملهم بين العمال والفلاحين لا يمكن أن يتطور إلا على أساس برنامج واضح . وعندما تحين اللحظة المناسبة يجب على العمال بتفوقهم العددي وقوة هجومهم أن يدفعوا القسم الأعظم من الجيش إلى جانب الشعب أو على الأقل إلى الحياد . وطرح المسألة بهذا الشكل العام لا يستبعد قيام الطليعيين والضباط المتعاطفين مع الثورة« بمؤامرة عسكرية » مباشرة قبل الإضراب العام والانتفاضة المسلحة . ولكن هذه« المؤامرة » لا علاقة لها بالانقلابات العسكرية : إنها ذات طبيعة ثانوية وتقوم مهمتها في ضمان انتصار الانتفاضة البروليتارية .

والحل الناجح لكل هذه المهام يتطلب ثلاثة شروط : أولاً الحزب وثانياً الحزب وثالثاً الحزب .

كيف ستكون العلاقة بين التنظيمات والمجموعات الشيوعية وماذا سيكون مصيرها في المستقبل؟ تصعب الإجابة عن بعد ، لكن التجربة ستبين ذلك . فالأحداث العظيمة تمتحن مصداقية الأفكار والتنظيمات والناس . إذا تبين أن قيادة الكومنترن عاجزة عن تقديم أي شيء للثورة الإسبانية إلا السياسة الخاطئة وأوامر الأجهزة والانشقاقات فسينشأ الحزب الشيوعي الحقيقي لإسبانيا ويتفولذ خارج الإطار الرسمي للأممية الشيوعية . لا بد من خلق حزب مركزي موحد بشكل أو بآخر .

لا يمكن للبروليتاريا أبداً أن تبني تنظيمها السياسي على قاعدة من الفيدرالية لأن المطلوب ليس حزباً شيوعياً على شاكلة نظام الدولة المستقبلي في إسبانيا بل حزباً يكون رافعة فولاذية لإزالة النظام القائم . وهذا الحزب لايمكن أن يتأسس إلا على مبدأ المركزية الديموقراطية .

وستكون جنتا العمال بمثابة الساحة العريضة التي سيتم عليها فحص وتدقيق كل حزب وكل مجموعة أمام أعين الجماهير . سيطرح الشيوعيون الجبهة الموحدة للعمال في مواجهة التحالف القائم عملياً بين الاشتراكيين وبعض السنديكاليين والبورجوازية . إن الجبهة الموحدة الثورية هي فقط ما يمكّن البروليتاريا من نفخ روح الثقة في الجماهير المضطهدة في الريف والمدينة ، ولا يمكن تحقيقها إلا تحت راية الشيوعية . والجنتا تتطلب حزباً قائداً ، وبدون قيادة حازمة ستبقى شكلاً تنظيمياً فارغاً وستؤول حتماً إلى الارتكاز على البورجوازية .

تنتصب أمام أعين الشيوعيين الإسبان مهمات تاريخية جسام ، وسيتابع عمال العالم التقدميون سيرورة الدراما الثورية العظيمة باهتمام كبير ، وعاجلاً أم آجلاً ستتطلب هذه الثورة ليس فقط تعاطفهم بل ايضاً تعاونهم . ونحن جاهزون .

7 ـ من اجل وحدة الشيوعيين .

31 / 1 / 1931

يجب أن يتوحد الشيوعيين الإسبان . هذا الشعار سيكون جذاباً جداً بلا شك في

المرحلة القادمة وسيزداد شعبية مع ازدياد نفوذ الشيوعيين ، لهذا السبب يبدو لي أنه يجب إكمال شعار الجبهة الموحدة مع العمال السنديكاليين والاشتراكيين بشعار وحدة الشيوعيين (على برنامج محدد) .

8 ـ تكتيك المقاطعة .

1931 / 2 / 5

أعتقد أنكم لن تتمكنوا من التخلي عن شعار الكورتس التأسيسي الثوري لأن تعداد الفلاحين في إسبانيا يبلغ أكثر من 70٪ . فكيف سيفهم هؤلاء شعار « الجمهورية العمالية » ؟ سيقول لهم الاشتراكيون والجمهوريون من جهة والقساوسة من الجهة الأخرى إن العمال يريدون أن يجعلوا من الفلاحين دمىً يحركونها كما يحلو لهم . فكيف ستردون على هذا ؟ طالما أن الأمور كذلك فليس ثمة إلا جواب واحد : نريد أن يقوم العمال والفلاحون بطرد الموظفين المعينين من فوق والمستغلين وشركاءهم عموماً ، كما أننا نريدهم أن يعبّروا عن إرادتهم الحرة بالاقتراع العام والشامل . يمكن أن ينساق الفلاحون إلى الجمهورية العمالية ، أي إلى ديكتاتورية البروليتاريا ، في مجرى الصراع الذي سيحدث على الأرض . . . الخ . ولكن يستحيل أن تطلبوا من الفلاحين الموافقة على ديكتاتورية البروليتاريا كصيغة يتوصلون إليها عبر الاستنتاج المنطقي .

من البديهي أن الشيوعيين قد أخطأوا بعدم توليهم زمام المبادرة في تكتيك المقاطعة لأنهم ، باعتبارهم قادة العمال الثوريين ، الوحيدون القادرون على طبع حملة المعارضة بالطابع الكفاحي الصلب . ومع ذلك من الواضح أن الرغبة بالمقاطعة واسعة الانتشار بين الأحزاب المعارضة ، وهذا انعكاس لسخط الجماهير الشعبية ودلالة عليه . يبدو أن آخر الأخبار تؤكد أن الاشتركيين والجمهوريين قد صوّتوا لصالح المقاطعة . ولكن لو نشط الشيوعيون ووضعوا خطّة للمقاطعة أمام الاشتراكيين والجمهوريين في الوقت المناسب لوجدوا صعوبة أكبر في رفضها . لقد ربط بير نغوير وحكومته أنفسهم بشّدة بإنتخابات الأول من آذار . فلو أن المقاطعة تجبره على القيام بتراجع ما فستكون

نتائجها هائلة على صعيد رفع الوعي الثوري للجماهير ، وخصوصاً إذا كان الشيوعيون قادة تكتيك المقاطعة .

9 - الجمهورية العمالية والكورتس التأسيسي .

13 / 10 / 1931

لسنا مضطرّين أبداً للتخلّي عن شعار « الجمهورية العمالية » . لكنه في المرحلة ا لراهنة ذو طابع دعائي أكثر منه تحريضي . ينبغي أن نوضح للعمال الطليعيين أننا نسير بإتجاه الجمهورية العمالية ولكن ما يجب أن يتحقّق أولاً هو حشد الفلاّحين حولها . ولكن من غير الممكن جعل الفلاحين يدعمون الجمهورية العمالية - التي تعني في الواقع ديكتاتورية البروليتاريا - إلا عبر ممارسات وسيطة ، ومن ضمنها الممارسات ذات الطابع البرلماني . فالفلاّحون لن يقبلوا ديكتاتورية البروليتاريا إلا بعد إستنفاذهم الإمكانات الأخرى . صحيح أنه قد تم تجريب كل الإمكانات الأخرى في إسبانيا ولكن لا تزال هناك الفرصة لديمقراطية «تامة ومبدأية » تتحقّق بالوسائل الثورية . وهذا هو الكورتس الثوري . بديهي أننا لا نجعل من هذا الشعار صنماً . فإذا ما سارت الأمور أسرع سنعرف كيف نستبدل بشعار آخر في اللحظة المناسبة .

10 - استقالة بيرنغوير *

15 / 2 / 1931

أذكر أني قد كتبت لكم من قبيل « التأمل » كم سيكون رائعاً لو أن المقاطعة ترغم الملكية على الركوع على ركبتيها ، أو على الأقلّ على إحدى ركبتيها ، وها هو أمر واقع . فالمغزى الساسي المباشر لإستقالة بيرنغوير ليس كبيراً ، لكن مغزاه الدلالي عظيم . إن ما تعنيه إستقالة بيرنغوير وشبه إستسلام الملك هو التالي : عجز الملكية وإنحطاط الفئات الحاكمة وافتقادها للثقة بنفسها والخوف ، الخوف ، الخوف من الشعب والثورة

* عندما استقال بريمودي ريفيرا عينّ ألفونسو الثالث عشر الجنرال داماسو بيرنغوير فوسته ليرأس حكومة انتقالية في كانون الثاني 1930 .

والغد . كما تعني تقديم التنازلات الكبيرة في محاولة لقطع الطريق على العواقب الوخيمة . وهذا رائع . إنه لرائع حقاً،ولا يمكن أن نتخيَّل ما هو أروع ، لأن كل هذا سيزعزع الإحترام الأسطوري للسلطة في وعي الشعب . وستخترق قلوب الملايين موجة من الرضى والجرأة لتدفئها وتلهمها وتدفعها إلى الأمام .

إن الوضع الثوري العام الملائم لنشاط الحزب البروليتاري قائم الآن بإمتياز ، وكل المسألة تكمن في الحزب نفسه .

ولكن مع شديد الأسف لم يكن الشيوعيون هم الأبرز بين دعاة المقاطعة ، لذا لم يحقِّقوا أيَّة إنتصارات هامةطوال الحملة التي دامت شهرين أو ثلاثة . ففي فترات المدّ الثوري العاصف.تنمو هيبة الحزب نمّواً محموماً إذا ما قام فوراً ، في المنعطفات الحاسمة ،بطرح الشعار الصحيح الذي تثبت الأحداث صحّته . لقد سنحت لنا عدة فرص لتجاوز وضعنا الراهن أثناء الشهور والأسابيع القليلة الماضية . ولكن طالما أن النظر إلى الخلف لا ينفع فلننظر إلى الأمام لأن الثورة لا تزال في مستهلِّها ويمكننا تعويض ما فاتنا مائة مرّة .

المسألة الدستورية البرلمانية تصبح مركز الحياة السياسية الرسمية في البلد ، ولهذا لا يمكن لموقفنا منها أن يكون لا مبالياً . يجب برأيي ، أن نطرح شعار الكورتس التأسيسي الثوري بقوّة مضاعفة وأن لا نتراجع عن إستخدام ا لصيغ الديمقراطية الواضحة مثل : الإقتراع العام الشامل بدءاً من الثامنة عشرة بلا قيد أو شرط وبلا تمييز بسبب الجنس ، وربما يكون سن الثامنة عشرة كبيراً جداً في بلد جنوبي مثل إسبانيا . يجب أن نراهن بكلِّ شيء على الشباب .

إن مسألة الجبهة الموحدة لكل الفصائل الشيوعية ، بما فيها الحزب الشيوعي الرسمي ، لا بدَّ أن تنطرح على جدول الأعمال لأنَّ الجماهير في غضون الأسابيع والأشهر القليلة القادمة ستشعر بالحاجة الماسَّة إلى قيادة ثورية رصينة وموحَّدة ، أما المشاحنات بين الشيوعيين فستزعج الجماهير . ستضغط الفصائل الشيوعية من أجل الوحدة، ولكن ليس إلى الأبد ،لأن الأحداث ربما تقذف كلا منها مرّة أخرى بإتجاهات مختلفة . إلا أن تقارب الفصائل الشيوعية في الفترة القادمة يبدو محتماً بالمطلق . وهنا أيضاً ، كما هي

الحال في مسألة المقاطعة وفي كلّ مسألة سياسية راهنة ، فالفصيل الذي يبادر إلى توحيد صفوف الشيوعيين هو الذي يربح . وحتى يتمكّن اليسار الشيوعي من إمتلاك زمام المبادرة يجب أن يكون هو نفسه موحداً ومنظّماً . فمن الضروري أن تسارع المعارضة اليسارية إلى التشكل في فصيل جيد التنظيم ، ولو صغيراً في البداية ، وأن يقوم بإصدار نشرته الخاصة ومجلّته النظرية الخاصة . وهذا بالطبع لا يعني إمتناع الشيوعيين اليساريين عن المشاركة في منظّمات أكثر إتساعاً ، على العكس إنه يفترضها . ولكن الشرط اللازم لهذه المشاركة هو تنظيم صفوف المعارضة اليسارية .

11 ـ جنتات الجنود والعمال .

13 / 3 / 1931

بضع كلمات عن جنتات الجنود ، هل تريدون أن تروها تنشأ كمنظمات مستقلّة ؟ هذه مسألة جديّة تتطلّب منّا أن نقوم منذ البداية برسم خط عام لممارستنا يترك المجال مفتوحاً أمام إدخال التعديلات اللازمة إذا بيّنت الممارسة العملية ضرورتها .

لم تصل الأمور في روسيا 1905 إلى نشوء سوفييتات الجنود ، وكان ظهور ممثّلي الجنود في سوفييتات العمال أمراً عارضاً . أما سوفييتات الجنود عام 1917 فلعبت دوراً عظيماً إذ كان سوفييت الجنود في بتروغراد مرتبطاً منذ البداية بسوفييت العمال ، علاوة على ذلك أن الجنود كانوا يشكّلون الأغلبية الساحقة . لكن سوفييتات العمال والفلاحين في موسكو قامت بمعزل عن بعضها ، وهذا تم أساساً لأسباب تنظيمية لأن الجيش الضخم كان وقتها يتشكّل من حوالي 10 — 12 مليون فلّاح .

الجيش الحالي في إسبانيا هو جيش مرحلة سلام . وهو غير هام بالمقارنة مع عدد السكان ، أو حتى مع البروليتاريا ، فهل ظهور سوفييتات الجنود المستقلّة أمر محتّم في هذه الشروط ؟ من وجهة نظر السياسة البروليتارية ، نحن معنيون بجذب مندوبي الجنود إلى جنتات العمال بقدر ما تنوجد هذه الجنتات . أما الجنتات المكونة فقط من الجنود فيمكن أن تظهر فقط في ذروة الثورة أو بعد إنتصارها . إلا أن جنتات العمال

يمكن (ويجب) أن تظهر في مرحلة أبكر على أساس الإضرابات أو مقاطعة الكورتس أو فيما بعد على أساس المشاركة في الإنتخابات . لذا يمكننا أن نجذب ممثّلي الجنود إلى جنتات العمال قبل وقت طويل من نشوء جنتات الجنود . وأستطرد قائلاً أننا إذا بادرنا إلى إنشاء سوفييتات العمال في الوقت المناسب ، ونجحنا في ذلك ، وتأكّدنا من هيمنتها على الجيش فعندئذٍ سنتمكّن من منع ظهور جنتات الجنودالمستقلّةخوفاً من وقوعها تحت تأثير الضباط الوصوليين أكثر مما تحت تأثير العمال الثوريين . إن صغر الجيش الأسباني وضآلة أهميّته هما في صالح هكذا منظور . هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فإن هذا الجيش ، ورغم صغره ، لذو تقاليد سياسية ثورية أكثر من أي جيش آخر . وهذا يمكن أن يتعارض ، إلى حدٍّ ما ، مع تمثيل جنتات العمال للجنود . أنتم ترون أنني لم أبتّ في هذا الموضوع ، كما أشك بإمكانية الرفاق المعايشين للوضع على البتّ فيه ، لذا أودُّ أن أطرح المسألة للتفكير . فكلّما سارعت الدوائر الواسعة من العمال الواعين إلى مناقشة القضايا الأساسية كلّما كان حلُّها أسهل . على أية حال لا بدَّ من السير على طريق دمج ممثلي الجنود بمجالس العمال ، وحتى إذا كان النجاح جزئيّاً فهذا جيِّد ولكن في الوقت الذي ينبغي عدم نسيان هذا الهدف عليكم أن تقوموا في الوقت المناسب بدراسة المزاج السائد داخل الجيش وداخل كل فرع من فروع الخدمة وداخل كل سلاح من الأسلحة .

وفي الختام يستحسن أن تقوموا جماعياً برسم خارطة سياسية لإسبانيا يكون الهدف منها القيام بتحديد أدقّ لعلاقات القوى داخل كل منطقة ولعلاقة القوى بين المناطق بحيث تشتمل أيضاً على مقاطعات العمال والمراكز الثورية والمنظّمات الحزبية والنقابية والحاميات والمقاطعات ذات الحركات الفلاحية ودراسة موازين القوى بين البيض والحمر . ليس مهما مدى ضآلة عدد أعضاء المعارضة الآن لأن بمقدورهم المبادرة إلى القيام بهذه الدراسة في المناطق المختلفة بالتعاون مع خيرة ممثلي المجموعات العمالية الأخرى ،وبهذا ستتشكل عناصر هيئة أركان الثورة . والنواة المركزية ستعطي لهذا العمل ما يحتاجه من وحدة وتماسك . إن هذا العمل التمهيدي الذي يبدو « أكاديمياً » للوهلة الأولى سيكون في المستقبل ذا أهمية هائلة ، وربما حاسمة . إن أكبر الخطايا في

مرحلة كالتي تمرُّ بها إسبانيا هي إضاعة الوقت .

12 ـ قول الحقيقة *

12 / 4 / 1931

أيُّها الرفاق الأعزَّاء :

وأخيراً تلقّيت النبأ الذي طالما إنتظرت : لقد بدأت المعارضة اليسارية الشيوعية بنشر لسان حالها النظري الـ « كومونزموComunismo » لا يراودني الشك أبداً في أن صدور هذه المجلة سيكون وقعه إيجابياً لأن إسبانيا تجتاز مرحلة ثورية . وبمرحلة كهذه يكون عقل الطليعة البروليتارية متفتِّحاً وتوَّاقاً لفهم الأمور ليس بإستقلاليتها عن بعضها وإنما بكل تعقيدها الداخلي . لقد كانت المراحل الثورية دوماً مراحل تطوُّر الفضول النظري للطبقات المتقدِّمة تاريخيّاً .

ما من نظرية يمكنها الإجابة على المشكلات الكبرى التي تواجه الشيوعيين الإسبان إلا الماركسية . كما يجب أن نبيِّن أيضاً وبشكلٍ قطعي ، أنه ما من مجموعة يمكنها في الوقت الراهن ، أن تقدِّم للعمال الإسبان تفسيراً ماركسياً صحيحاً لظروف الثورة وقواها المحرِّكة ومنظوراتها وأهدافها إلا المعارضة اليسارية . ففي الوقت الذي تقوم فيه الفئة الوسطية لقيادة الكومنترن الرسمية بإخضاع مشكلات الثورة لمصالح وحاجات مكانة البيروقراطية«(30)» ـ هذه الفئة التي تشرشحت كثيراً والتي لا تسمح بالمناقشة النقدية لأية مسألة ـ فإن المعارضة اليسارية تطرح هدفاً لها قول الحقيقة . إن الوضوح والدقة النظرية ، وبالتالي الصدق الثوري ، هو ما يجعل التيار الثوري قوَّة لا تقهر . عسى أن تنمو الـ « الكومونزمو » وتزدهر في ظلِّ هذه الراية .

أعدكم ببذل أقصى الجهد لدعمكم وخصوصاً بإسهامي الغزير معكم في الكتابة ، وإني لأدعو كل رفاقنا في الفكر إلى القيام بذلك ، وها أنذا أرسل لكم مسودَّة بيان حول الإتِّحاد السوفييتي إنتهيت منها قبل بضعة أيام . آمل أن يقوم الشيوعيون الطليعيون في إسبانيا بإيلاء المشكلات الداخلية للدولة العمالية نفس الإهتمام الذي يجب

---

* رسالة إلى هيئة تحرير « الكومونزمو » المجلة النظرية للمعارضة اليسارية الإسبانية .

أن يوليه شيوعيو الإتحاد السوفييتي وبقية البلدان لمشكلات الثورة الإسبانية .

عاشت الكومونزمو وعاش البلاشفة اللينينيون الإسبان وعاشت البروليتاريا الإسبانية الثورية .

العنوان الأصلي للكتاب

THE SPANISH REVOLUTION

1931 – 1939

LEON TROTSKY

القسم الثاني

من الجمهورية إلى الحرب الأهلية

تمهيد

أعلنت حكومة الكالا زامورا عن إجراء إنتخابات ا لكورتس في حزيران 1931 . واندلعت في أيار إشتباكات في مدريد بين الملكيين وحشود من العمال حيث قام العمال الفوضويون بإحراق عدد من الكنائس إنتقاماً من رجال الدين العفنين الموالين للملكية .

كانت الأغلبية الساحقة في هذه الإنتخابات من نصيب الأحزاب المؤيِّدة للحكومة . إذ إن مجموع ما نالته الأحزاب اليمينية كان فقط 60 مقعداً مقابل 116 مقعداً للحزب الاشتراكي وحده . أما بقيَّة المقاعد فتوزَّعت كما يلي : 60 للاشتراكيين الراديكاليين و 30 لحزب العمل الجمهوري بزعامة آزانا و 90 لراديكالي لاروكس و43 للأسكوبرا الكاتالونية و22 للحزب التقدُّمي بزعامة الكالا زامورا و16 للقوميين الغاليين Galleganبزعامة كاساريز كيروغا . كل الأحزاب المذكورة لاحقاً مؤيِّدة للجمهورية .

دار الصراع حامي الوطيس داخل الكورتس الجديد حول مسألة الوضع الممتاز للكنيسة ، أما خارجه بين العمال الراديكاليين والعمال الزراعيين فحول مسائل الإصلاح الزراعي والسيطرة العمالية والأجور . لكن الإنقسامات بين الأحزاب البورجوازية حول الموقف من الإكليركية لم تنعكس على موقفهم من حركة العمال ، إذ استخدمت الحكومة نفس طرائق أسلافها الملكيين في القمع والإكراه .

قام الإتِّحاد القومي للعمل CNTبتنظيم سلسلة من الإضرابات العامة المحليّة في تموز وآب وكان أكثرها صدامية ذاك الذي حدث في إشبيليةSeville حيث أمر آزانا الجيش بقصف مقاطعات العمال بالمدفعية .

كان الموقف من الكنيسة سبب بداية تمزّق الإئتلاف الجمهوري الموحَّد ضد الطبقة

العاملة . فاستقال ألكالا زامورا ومورا في تشرين الأول تعبيراً عن دعمهما للكنيسة . أصبح آزانا رئيساً للوزراء في حين أن لاروكس وحزبه الراديكالي قطعا علاقتهما بالتحالف الجمهوري.لينتقلا أولاً إلى الوسط البورجوازي ومن ثمَّ إلى أقصى اليمين . وطالما أن الكالا زامورا لم يشأ أن يتخلَّى عن الحكومة كليّاً فقد قبل منصباً فخرياً كرئيس للجمهورية .

الدستور الذي أقرَّه كورتس حزيران وضع الترتيبات لتشكيل فيدرالية إسبانية يكون فيها لمقاطعتي كاتالونيا والباسك شكلا من الحكم الذاتي الإقليمي . وتلا ذلك إقرار بنود الحكم الذاتي الكاتالوني الذي مهَّد لإعادة تنظيم حكومة برشلونة الإقليمية « الجنراليتات » . وطالب الباسكيون بقانون مماثل .

وحتى يكسب آزانا ثقة الجنرالات الملكيين دعمهم في إضطهادهم لصغار الضباط الجمهوريين . لكن مخطَّطات الجنرالات كانت أكثر جرأة إذ قام الجنرال خوسيه سان جورجو Jurjo قائد الحرس الجمركي ، بإنتفاضة ضد الحكومة في آب 1932 . إلا أن الإنقلاب فشل واعتقل منظِّموه علماً بأنه كان مدعوماً من بعض قطاعات الملكيين ومن الحركة الفاشية الناشئة حديثاً وموعوداً بالدعم من موسوليني .

وبعد هزيمة سان جورجو إنتقلت المبادرة إلى منظَّمات الطبقة العاملة ، فاستولى الفوضويون على بلدة كاساس فيجاس Casas Viejasفي كانون الثاني 1932 . لكن الحكومة سحقت التمرُّد بوحشية ، الأمر الذي سرعان ما أدّى إلى إبتعاد العديد من العمال الاشتراكيين والفوضويين عن النظام . وقد أظهرت الانتخابات البلدية في نيسان تراجعاً واضحاً عن تأييد الحكومة ، وبحلول منتصف الصيف شعر آزانا أنه مضطر للإستقالة وتمَّت الدعوة إلى إنتخابات جديدة في تشرين الثاني . وهذه المرَّة إتخذ التصويت منحى مضادّاً للجمهوريين والاشتراكيين .

هبطت مقاعد الحزب الاشتراكي في إنتخابات كورتس تشرين الثاني 1933 من 116 إلى 56 . وكان مجمل مقاعد الأحزاب الحكومية فقط 99 مقابل 104 مقاعد نالها فقط حزب لاروكس الراديكالي و 207 مقاعد للأحزاب اليمينية علناً . وقد أصبح الحزب المؤسَّس حديثاً والمغرق في يمينيته ، حزب جيل روبلز Gil Robles الـC.E.D.A

(الحزب الكاثوليكي) هو الحزب الأكبر في البرلمان . أما الحزب الشيوعي والحزب الفالانحي لخوسيه أنطونيو بريمودي ريفيرا فنال كل منهما مقعداً واحداً .

أصبح لاروكس رئيساً للوزراء وواجه فوراً سلسلة إضرابات عنيفة دعا إليها بشكل رئيسي الفوضويون . وكان شغل الحكومة الشاغل ، عدا عن سحق هذه الإضرابات ، هو سحق الإصلاحات المحدودة التي تمّ تشريعها في ظلّ آزانا .

في الرابع من أكتوبر 1934 بدأت إنتفاضة أستورياس التي قام بها الفوضويون والاشتراكيون اليساريون إحتجاجاً على إدخال لاروكس لممثّلين عن الـC.E.D.Aفي الحكومة . وترافقت هذه الإنتفاضة مع تمرّد في كاتالونيا قاده القوميون البورجوازيون الكاتالونيون بزعامة لويس كومبانيس Companys وهاتان تمّ إخمادهما بالمدفعية . وكان كومبانيس ولارغو كاباليرو من بين معتقلي حملة الإنتقام التي شنّتها الحكومة إثر هزيمة عمال أستورياس .

تلا إخماد كومونة أستورياس سلسلة أزمات حكومية بلغت ذروتها في فضيحة مالية تورّط فيها قادة الحزب الراديكالي . وأخيراً حل ألكالا زامورا الكورتس في الرابع من كانون الثاني 1936 ودعا إلى إنتخابات جديدة في السادس عشر من شباط . تجمع اليسار ـ ما عدا الفوضويين والفرع الإسباني الصغير للمعارضة اليسارية الأممية ـ في الحلف الإنتخابي للجبهة الشعبية بقائمة مشتركة ، بينما تجمّعت الأحزاب اليمينية في حلف مضادّ أسمته « الجبهة القومية ».في حين إنقسم الوسط البورجوازي الذي كان يتزعّمه لاروكس في عدّة إتجاهات ، لكن كل أقسامه كابدت خسائر واضحة . فيما يلي نتائج الجولة الثانية والأخيرة من الإنتخابات :

ـ الجبهة الشعبية المقاعد :

الاشتراكيون 99 .

اليسار الجمهوري (آزانا) 87 .

الإتّحاد الجمهوري (مارتينيز باريو) 39 .

الاستويرا (الإنفصاليون الكاتالونيون) 36 .
الشيوعيون 17 .
المجموع 278 .
- الجبهة القومية : (C.E.D.A جل روبلر) 88 .
الزراعيونAgrarians ملاك أراضي 11 .
الملكيون بقيادة كالفو سوتيلرCalvo Sotelo 13
المستقلون 10 .
التقليديُّون الكارلوسيون Carlists 9
أحزاب أخرى 3 .
المجموع 134 .
- الوسط :
حزب الوسط بقيادة بورتلا فالاداريس Portela Valladares 16
ليغاLliga الصناعيون الكاتالونيون 12 .
الراديكاليون (لاروكس) 4 .
التقدُّمي (ألكالا زامورا) 6 .
الباسكيُّون * بقيادة أنطونيو أكويرة Aquirre 10
آخرون 7 .
المجموع 55 .
أصبح آزانا رئيساً للوزراء لكنه تجاهل الدعم الذي قدَّمه له الحزبان الشيوعي والاشتراكي ، إذ كان كل أعضاء حكومته من الشركاء البورجوازيين في الجبهة الشعبية وخصوصاً من حزبه .

ملاحظة حول منفى تروتسكي : عندما قامت الجمهورية الإسبانية عام 1931 تقدم تروتسكي بطلب للحصول على تأشيرة دخول تخوِّله هو وعائلته الانتقال إلى إسبانيا ، لكن الحكومة التي كانت تسمِّي نفسها «حكومة العمال» لم تكن بهذه الدرجة

* القوميون الباسكيون الذين سرعان ما سينتقلون إلى الجبهة الشعبية .

من الليبرالية . وأخيراً غادر تركيا في تموز 1933 عندما منحته الحكومة الفرنسية تأشيرة دخول إلى أراضيها .

وتواقت هذا التغيير في إقامته مع تغير أساسي في توجهه السياسي ، ففي تلك المرحلة ، مباشرة بعد وصول هتلر إلى السلطة الذي تمّ بشكل رئيسي بسبب الأخطاء السياسية والقاتلة التي إرتكبها الكومنترن المتستلن ، تخلّى تروتسكي عن منظور إصلاح الكومنترن ، وبدأ ينافح عن بناء الأممية الرابعة ، وبناء أحزاب ثورية جديدة في كافة أنحاء العالم . وانشغاله بهذه المشاكل يمكن أن يفسر سبب عدم غزارة إنتاجه حول إسبانيا في غضون السنتين أو الثلاث القادمة .

بعد تسعة أشهر من وصوله إلى فرنسا أمرته الحكومة الفرنسية بالمغادرة ، ولكن أرغم على البقاء فيها حتى عام 1935 عندما منحته الحكومة النروجية تأشيرة دخول إلى النرويج . وهكذا كان في النرويج عندما إندلعت الحرب الأهلية الإسبانية بعد أيام قلائل من إنهائه لكتاب «الثورة المغدورة » . كل القسم الثاني حتى « رسالة إلى أعضاء المعارضة اليسارية » كتبه في تركيا ، إما في كاديكوي أو برنكيبو ، أما المقالات الأربعة التالية فكتبها في فرنسا بينها الست الأخيرة في النرويج .

13 ـ الوصايا العشر للشيوعيين الإسبان .

15 / 4 / 1931

1 - فقدت الملكية السلطة لكنها لا تزال تأمل باستعادتها أما الطبقات المالكة فلاتزال ثابتة في السلطة . لقد ركب تحالف الجمهوريين والاشتراكيين موجة الانتفاضة الجمهورية لمنع الجماهير من السير على طريق الثورة الاشتراكية . نحن لا نثق بالأقوال نريد أفعالاً ، وقبل كل شيء اعتقلوا أبرز قادة النظام القديم ومؤيديه وصادروا ملكية الملكية وجلاديها السفلة وسلحوا العمال .

2 ـ إن الحكومة الحالية التي ترتكز على الجمهوريين والاشتراكيين ستبذل قصارى جهدها لمد قاعدتها نحو اليمين باتجاه البورجوازية الكبيرة ، وستسعى لإبقاء الكنيسة

على الحياد . هذه الحكومة حكومة المستغِلين وقد قامت لحمايتهم من المستغَلين ، لذا فالبروليتاريا ضد حكومة الوكلاء الجمهوريين« الاشتراكيين» للبورجوازية .

3 ـ إن مشاركة الاشتراكيين في السلطة تعني ازدياد الاصطدامات العنيفة بين العمال والقادة الاشتراكيين ، وهذا يفسح مجالاً واسعاً أمام السياسة الثورية للجبهة الموحدة . ففي كل إضراب وكل مظاهرة وفي كل توجه يقوم به العمال نحو الجنود ، وفي كل خطوة تخطوها الجماهير باتجاه الدمقرطةDemocratisationالحقيقية للبلد سيصطدمون من الآن فصاعداً بمقاومة القادة الاشتراكيين الذي يتصرفون كرجال« نظام » . لذا فإن أهم ما يجب على العمال الشيوعيين القيام به هو المشاركة في الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين والسنديكاليين والعمال اللاحزبيين وجذبهم تحت قيادتهم .

4 ـ العمال الشيوعيين الآن مجرد أقلية ، لذا لا يمكن أن يصلوا إلى السلطة فوراً . مما يعني أنهم أعجز من أن يطرحوا على أنفسهم مهمة إسقاط الحكومة الجمهورية الاشتراكية بالقوة كمهمة عملية ، وأي مغامرة من هذا القبيل ستكون مغامرة مأساوية . ينبغي أن تجتاز جماهير العمال والفلاحين والجنود مرحلة الأوهام الجمهورية ـ الاشتراكية لتتخلص منها نهائياً وبأقصى جذرية ، وكيلا تعود تنخدع بالأقوال وحتى تتمكن من رؤية الحقائق مباشرة. وتجهز للثورة الثانية الثورة البروليتارية ، بإصرار .

5 ـ تقوم مهمة الشيوعيين في هذه المرحلة في كسب غالبية العمال والجنود والفلاحين . كيف ؟ بالتحريض وتدريب الكوادر« الشرح الصبور » (هذا إذا استخدمنا تعبير لينين)والتنظيم ـ كل هذا استناداً إلى تجربة الجماهير ومشاركة الشيوعيين الفعالة في هذه التجربة ، أي بممارسة سياسة الجبهة الموحدة العريضة والشجاعة .

6 ـ تجاه الحلف الجمهوري ـ الاشتراكي ، أو أي قسم منه ، لا يقوم الشيوعيون بأية خطوة من شأنها أن تؤدي ، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تقييد أو إضعاف حريتهم بالنقد والتحريض . يجب أن لا يكل الشيوعيون أو يملوا وهم يشرحون لجماهير الشعب أنهم في النضال ضد كل أشكال الثورة المضادة. سيكونون في مقدمة الصفوف، ولكن لتحقيق هذه الغاية ما من شيء يدعوهم للارتباط بالجمهوريين والاشتراكيين ، هؤلاء الذين ستنحو سياستهم حتماً باتجاه التنازل للرجعية. والتغطية على مكائدها .

7 ـ يطرح الشيوعيون أكثر الشعارات الديموقراطية جذرية . كالحرية الكاملة للمنظمات البروليتارية وحرية الإدارة الذاتية المحلية وانتخاب الشعب لكل الموظفين والاقتراع العام للرجال والنساء بدءاً من سن الثامنة عشرة . . . الخ ، وتشكيل الميليشيا العمالية ، وفيما بعد الفلاحية. ومصادرة كل ملكيات الملكية والكنيسة لصالح الشعب وخصوصاً العاطلين عن العمل وفقراء الفلاحين. وتحسين أحوال الجنود والفصل التام للكنيسة عن الدولة .

والجنود يجب أن يتمتعوا بكل الحقوق المدنية والمكتسبات السياسية وبانتخاب ضباط الجيش . فالجندي ليس جلاداً للشعب ولا مرتزقاً في خدمة الأغنياء ولا حرس بريتوري Praetorian(*) وإنما مواطن ثوري وأخ للعامل والفلاح .

8 ـ الشعار المركزي للبروليتاريا هو **سوفييتات العمال** . يجب أن لا نألو جهداً في الدعاوة إلى هذا الشعار لجعله شعبياً ، وفي أول فرصة سانحة ينبغي أن نبدأ بوضعه موضع التطبيق . إن سوفييتات العمال لا تعني النضال المباشر على السلطة . فهذا بلا شك منظورها ، لكن الجماهير تتوصل إلى هذا المنظور فقط عبر تجربتها الخاصة، وبمساعدة العمل التثقيفي الذي يقوم به الشيوعيون . إن سوفييتات العمال تعني اليوم تجميع القوى المبعثرة للبروليتاريا والنضال من أجل وحدة الطبقة العاملة واستقلاليتها . والمسائل التي يعالجها السوفييت هي من نوع مكاسب الإضرابات وإعالة العاطلين عن العمل والاتصال مع الجنود لمنع المواجهات الدموية معهم والاتصال بالمدينة والريف لضمان تحالف العمال والفلاحين الفقراء . ويضم سوفييت العمال ممثلين عن فيالق الجيش ، بهذه الطريقة فقط تصبح السوفييتات جهازاً للانتفاضة، وفيما بعد جهازاً للسلطة .

9 ـ يجب أن يقوم الشيوعيون فوراً بوضع برنامج ثوري للإصلاح الزراعي يقوم على مصادرة أراضي الطبقات الغنية ذات الامتيازات ، طبقات المستغلين ، بدءاً من الملكية والكنيسة، لصالح الفلاحين الفقراء والجنود . وهذا البرنامج ينبغي تكييفه بالملموس، بحيث يتوافق مع المناطق المختلفة في البلد . ففي كل إقليم ، وحسب خصوصياته الاقتصادية والتاريخية ، يجب إنشاء لجنة تقوم بوضع برنامج زراعي محدد

(*) جندي الحرس الامبراطوري الروماني . المترجم

بالتعاون الوثيق مع الفلاحين الثوريين في المنطقة . علينا أن نفهم رغبات الفلاحين حتى نعبر عنها بطريقة واضحة وصحيحة .

10 ـ إن من يسمون بالاشتراكيين اليساريين[1] (والذين بينهم العديد من العمال الشرفاء) سيدعون الشيوعيين إلى إقامة تحالف أو حتى إلى توحيد المنظمات المختلفة . وعلى هذه الدعوة يجيب الشيوعيون : « من أجل مصالح الطبقة العاملة، ومن أجل تنفيذ مهام ملموسة محددة نحن مستعدون للعمل يداً بيد مع أي منظمة بروليتارية ، ولهذه الغاية تحديداً نحن نقترح إنشاء السوفييتات . فداخلها سيناقش ممثلو العمال من مختلف الأحزاب كل القضايا الراهنة والمهمات الملحة . إن هذه السوفييتات هي الشكل الأسلم والأصرح والأشرف والأكثر طبيعية لهذا التحالف من أجل العمل المشترك . وفيها سنطرح نحن الشيوعيين شعاراتنا ونقترح حلولاً ونحاول إقناع العمال بصحة نهجنا ، لذا يجب أن تتمتع كل مجموعة بحرية النقد . ونحن الشيوعيين سنكون دوماً في مقدمة الصفوف أثناء النضال المشترك لتحقيق المهام العملية التي يقررها السوفييت » هذا هو شكل التعاون الذي يقترحه الشيوعيين على العمال الاشتراكيين والسنديكاليين وغير الحزبيين .

عندما يضمن الشيوعيون توحيد صفوفهم سيكسبون ثقة البروليتاريا والغالبية العظمى من الفلاحين الفقراء إنهم سيستولون على السلطة وسلاحهم بيدهم ويدشنون عصر الثورة الاشتراكية .

14 ـ الإجراءات القمعية للحكومة الجمهورية .

20 / 4 / 1931

ثمة الكثير من نقاط التشابه التي تفقأ العين بين نظام شباط في روسيا والنظام الجمهوري الحالي في إسبانيا[2] ، ولكن هناك أيضاً نقاط اختلاف كبيرة : آ ـ إسبانيا ليست في حالة حرب وأنتم لا تطرحون شعار النضال من أجل السلام . ب ـ ليس عندكم سوفييتات عمال بعد ، هذا إذا تغاضينا عن سوفييتات الجنود . وما أراه من

خلال الصحافة أن هذا الشعار حتى لا ينطرح بين الجماهير . جـ - إن الحكومة الجمهورية تطبق من البداية إجراءات قمعية ضد الجناح اليساري من البروليتاريا ، وهذا ما لم يوجد عندنا في شباط لأن حراب البنادق لم تكن بيد الحكومة الليبرالية.وإنما تحت تصرف سوفييتات العمال والجنود .

والأمر الأخير ذو أهمية كبيرة بالنسبة لتحريضنا . لقد حقق نظام شباط ، على الصعيد السياسي ، ديموقراطية تامة ومطلقة وبقيت البورجوازية في السلطة برضى جماهير العمال والجنود . أما أنتم فليس لديكم حرية تامة وغير مشروطة للتجمع والكلام والصحافة . . . الخ ، والقاعدة الانتخابية لبلدياتكم بعيدة جداً عن كونها ديموقراطية . وبنفس الوقت فإن الجماهير في المرحلة الثورية تكون حساسيتها مفرطة إزاء كل شكل من أشكال اللامساواة والحكم البوليسي ، وهذا ما يجب أن نستفيد منه . بكلام آخر،من الضروري أن يبرز الشيوعيون الآن باعتبارهم الحزب الأكثر ثباتاً وحزماً وكفاحية في الدفاع عن الديموقراطية .

ومن جهة أخرى يجب أن يبدأوا فوراً بتشكيل سوفييتات العمال ، والنضال من أجل الديموقراطية نقطة انطلاق ممتازة نحو هذا الهدف . هم لهم حكومتهم ونحن العمال بحاجة لجنتاتنا المدينية لحماية صفوفنا ومصالحنا .

15 ـ الاتحاد الكاتالوني(*) .

23 / 4 / 1931

على الاتحاد الكاتالوني أن يكافح من أجل الدخول إلى المنظمة الشيوعية الإسبانية العامة . كاتالونيا هي الطليعة . ولكن ما لم يتوافق سير هذه الطليعة وسير كل بروليتاريا إسبانيا وفيها بعد وسير الفلاحين ، فستنتهي الحركة الكاتالونية في أفضل الأحوال كحدث رائع على طريق كومونة باريس[3] . والوضع المتميز لكاتالونيا يدفع بهذا الاتجاه ، إذ يمكن للصراع القومي أن يقوم بتسخين البخار فيها.بحيث تنفجر قبل وقت طويل من نضوج الوضع في إسبانيا ككل لثورة ثانية .

* نشأ الاتحاد الكاتالوني بالأصل داخل الحزب الشيوعي وانشقّ عنه لأسباب تكتيكية وكان قائده جواكين مورين صديقاً حمياً لأندييه نن .

إذا سمحت البروليتاريا الكاتالونية لنفسها ، تحت تأثير الخميرة القومية ، أن تنجر إلى صراع حاسم قبل أن تلف حولها بروليتاريا كل إسبانيا فهذه ستكون أكبر مصيبة تاريخية . إن قوة المعارضة اليسارية في برشلونة ومدريد إنما تكمن ، ويجب أن تكمن ،في رفع كل هذه القضايا إلى مستوى تاريخي .

16 ـ وحّدوا صفوف الشيوعيين(*) .

24 / 4 / 1931

يتوقف مصير الثورة الإسبانية كلياً على مسألة قيام أو عدم قيام حزب شيوعي أهل للقتال وجدير بالمسؤولية في غضون الشهور القادمة . علماً بأن قيامه لا يمكن أن يتم عبر منظومة الانشقاقات الاصطناعية المفروضة على الحركة من الخارج .

لقد لف الحزب البلشفي حوله عام 1917 كل التيارات القريبة منه ، وبنفس الوقت الذي حرص فيه على وحدة صفوفه ووحدة انضباطه في العمل فتح المجال واسعاً أمام إمكانية شتى أنواع التفكير في المشاكل الأساسية للثورة (مجلس آذار وكونغرس نيسان ومرحلة ما قبل اوكتوبر)[4] هل ثمة طرائق أخرى لتمكين طليعة البروليتاريا الإسبانية من تطوير وجهات نظرها ورسوخ قناعتها بصحتها باعتبارها الشيء الوحيد الذي يسمح لها بقيادة جماهير الشعب نحو المعركة الفاصلة ؟!

إن مجرد كون الحزب الشيوعي الرسمي ـ وهذا ما أسوقه كمثال ـ مضطراً لتسمية أندريه نن[5] عدواً للثورة ، لا يمكن إلا أن يؤدي إلى تشويش رهيب ، وخصوصاً داخل الشيوعيين أنفسهم ، ولا يمكن أن ينمو الحزب في خضم التشوش الايديولوجي وفي حال استمرار تشتت صفوف الشيوعيين فإن الهزيمة الأكيدة للثورة الإسبانية ستقود آلياً إلى إقامة فاشية حقيقية في إسبانيا من طراز فاشية موسوليني . لا داع للحديث عن نتائج هذا الأمر على أوروبا ككل وعلى الاتحاد السوفييتي . ومن الجهة الأخرى فإن سير الثورة الإسبانية على الطريق الذي نتمناه في ظل الأزمة العالمية التي لما تنته ، سيفتح المجال

* رسالة إلى المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي لم يرد عليها . نشرت هذه الرسالة في 12 / 6 / 1931 .

أمام إمكانيات هائلة .

إن الخلافات العميقة حول سلسلة من القضايا التي تخص الاتحاد السوفييتي وحركة العمال العالمية يجب أن لا تحول دون إقامة محاولة شريفة للجبهة الموحدة في ساحة صراع الثورة الإسبانية . لم يفت الأوان بعد ! وسياسة الانشقاقات الاصطناعية يجب وقفها حالاً في إسبانيا . انصحوا ـ لا تأمروا بل انصحوا ـ المنظمات الشيوعية الإسبانية بالقيام في أقرب وقت ممكن بعقد مؤتمر توحيدي يكفل لكل التيارات ، في ظل الانضباط الضروري للعمل ، على الأقل تلك الدرجة من حرية النقد التي كانت تتمتع بها عام 1917 مختلف تيارات البلاشفة الروس الذين كانوا أكثر خبرة وصلابة بما لا يقارن .

لا شك في أن الحزب الشيوعي الإسباني الرسمي إذا فهم عدم التناسب بين ضعفه والمهام الجسام الملقاة على عاتقه وقام بمحاولة جادة لتوحيد صفوف الشيوعيين فإنه سيلقى الدعم الكامل من الشيوعيين الثوريين الذين لهم الآن منظماتهم المستقلة لأسباب تعلمونها ، فتسع أعشارها تكمن خارج إطار شؤون الثورة الإسبانية .

وكيلا أخلق صعوبات ولو خارجية فأنا لا أتقدم باقتراحي هذا عبر الصحافة بل بهذه الرسالة . إن مجرى الأحداث في إسبانيا ـ وهذا ما لا شك فيه ـ سيثبت مع كل يوم يمر ضرورة توحيد صفوف الشيوعيين ، ومسؤولية الانشقاق في هذا الواقع العياني مسؤولية تاريخية .

17 ـ الطبيعة التقدمية للنزعة القومية الكاتالونية .

17 / 5 / 1931

إن ما يسمى بالنزعة القومية للاتحاد الكاتالوني لهامة جداً وخطيرة جداً . ويمكن لنتائج الأخطاء بهذا الخصوص أن تكون مدمرة .

لقد طرحت الثورة الإسبانية كل المشاكل ، بما فيها المشكلة القومية ، بقوة جديدة . والحامل الرئيسي للاتجاهات والأوهام القومية هو الأنتلجنسيا البورجوازية الصغيرة المكافحة لنيل دعم الفلاحين ضد الدور المركز لرأس المال الكبير والدولة

البيروقراطية . في المرحلة الراهنة يتسبب الدور القيادي للبورجوازية الصغيرة في حركة التحرر القومي ـ كما هو الحال في كل حركة ديموقراطية ثورية عموماً ـ بوجود انحرافات عديدة من شتى الأنواع داخل الحركة . ومن هنا تتسرب الأوهام القومية إلى العمال أيضاً . وعلى الأرجح أن هذه هي الصورة العامة للوضع في كاتالونيا الآن ، وربما أيضاً لوضع الاتحاد الكاتالوني . ولكن ما قيل أعلاه لا يقلل أبداً من الطبيعة **الديموقراطية الثورية التقدمية** للنضال القومي الكاتالوني ضد الشوفينية الإسبانية الكبرى والبورجوازية الإسبانية والمركزية البيروقراطية .

ولكن ما لا يجب أن يغيب عن البال ولا للحظة أن من يحكم إسبانيا ككل الآن ، وخصوصاً في كاتالونيا ،ليس الديموقراطيين القوميون الكتالونيون بل البورجوازية الامبريالية الإسبانية بالتحالف مع ملاك الأراضي وعجزة البيروقراطية والجنرالات ، كل هؤلاء بدعم من الاشتراكيين القوميين الإسبان . كل هؤلاء الأشقاء يؤيدون من جهة استمرار إخضاع المستعمرات الإسبانية ، ويؤيدون من جهة أخرى أقصى درجة من المركزية البيروقراطية لإسبانيا نفسها ، أي إخضاع البورجوازية الإسبانية للكاتالونيين والباسكيين وباقي القوميات . في المرحلة الراهنة من التطور ، وبهذا الترابط من القوى الطبقية ، تشكل النزعة القومية الكاتالونية عنصراً ثورياً تقدمياً أما النزعة القومية الإسبانية فعنصراً رجعياً امبريالياً . والشيوعي الإسباني الذي لا يدرك هذا الفرق أو يتجاهله أو لا يبرزه بل يتستر على ما يعنيه إنما يخاطر بأن يصير ، عن غير وعي ، وكيلاً للبورجوازية الإسبانية وبأن تخسره قضية الثورة البروليتارية .

ما هو خطر الأوهام القومية البورجوازية الصغيرة ؟ إنه يقوم في مقدرتها على تشتيت بروليتاريا إسبانيا حسب الإتجاهات القومية ، وهذا الخطر في منتهى الجديّة . ولكن يمكن للشيوعيين الإسبان أن ينجحوا في مواجهة هذا الخطر بطريقة واحدة فقط : أن يدينوا بعنف شديد بورجوازية الأمة السائدة ، وبهذا يكسبون ثقة بروليتاريا القومية المضطهدة ، وأي سياسة أخرى ستكون كسياسة دعم النزعة القومية الرجعية للبورجوازية الإمبريالية السائدة ضد النزعة القومية الديمقراطية الثورية للبورجوازية الصغيرة للأمة المضطهدة . .

18 ـ الحاجة إلى صورة متكاملة .

تقولون أن كذب اللومانتية يتسبب بالامتعاض في كاتالونيا[6] ، وهذا ما يمكن تصوُّره بسهولة . لكن مجرَّد الإمتعاض لا يكفي ،فصحافة المعارضة يجب أن تقدِّم صورة متكاملة لما يجري في إسبانيا . وهذه مسألة فائقة الأهمية طالما أن إعادة تثقيف كوادر الأممية الشيوعية سيتم على أرضية التجربة الحيّة للثورة الإسبانية . لا بدَّ من وجود مراسلات منتظمة بين برشلونة ومدريد ـ ليس مجرَّد مراسلات بل وثائق سياسية ذات أهمية من الدرجة الأولى . وبغير هذا سيتمكّن الستالينيون من إقامة جوّ من العزلة والعداء حول الإتِّحاد الكاتالوني ،وهذا بحدِّ ذاته ما يمكن أن يدفع العمال الطليعيين الكاتالونيين على طريق المغامرة والكارثة .

19 ـ الثورة الإسبانية والأخطار التي تحيق بها .

28 / 5 / 1931

قيادة الكومنترن في مواجهة الأحداث الإسبانية :

الثورة الإسبانية تنمو ، وفي خضمّ النضال تنمو قواها الداخلية ، ومع نموِّها تنمو أيضاً الأخطار . نحن لا نتحدَّث عن الأخطار الآتية من الطبقات الحاكمة وخدمها السياسيين من الجمهوريين والاشتراكيين ، فالمسألة هنا مسألة أعداء مكشوفين والمهمَّات تجاههم في منتهى الوضوح ،لكننا نتحدَّث عن الأخطار الداخلية .

ينظر العمال بثقة إلى الإتِّحاد السوفييتي باعتبارة إبناً لثورة أوكتوبر . وهذا النظر رأس مال قيِّم لصالح الشيوعيين . والدفاع عن الإتِّحاد السوفييتي واجب كل عامل ثوري،ولكن يجب أن لا نسمح بإستغلال ثقة العمال بثورة أوكتوبر لتبرير سياسة مناقضة لكل الدروس التي علمتنا إياها ثورة أوكتوبر . وكيما تسمعنا طليعة البروليتاريا الروسية

والعالمية يجب أن نقول بوضوح إن القيادة الحالية للكومنترن تهدد الثورة البروليتارية في إسبانيا بخطر راهن : يمكن تدمير أية ثورة وحتى أكثر الثورات بعثاً للآمال ، وهذا ما أثبتته الثورة الألمانية لعام 1923، وبوضوح أشدّ تجربة الثورة الصينية لعام 1925 ـ 1927»[7] . وفي كلا المثالين كان السبب المباشر للهزيمة هو القيادة الخاطئة . وها قد جاء الآن دور إسبانيا . لم يتعلّم قادة الكومنترن من أخطائهم أي شيء ، لا بل إنّ الأسوأ أنهم مضطرّون للدفاع عنها وتطويرها كيما يتستّروا عليها . وبقدر ما تتوقّف الأمور عليهم فإنهم يجهّزون للثورة الإسبانية مصيراً كمصير الثورة الصينية .

لقد قاموا طوال عامين بتضليل العمال بنظرية « المرحلة الثالثة » العاثرة التي أضعفت الكومنترن وأحبطته . وأخيراً أشارت القيادة بالتراجع . ولكن متى ؟ تماماً في اللحظة التي أحدثت فيها الأزمة العالمية شرخاً جذرياً في الوضع وكشفت عن الإمكانات الأولى للهجوم الثوري . في هذه الأثناء كانت التطورات في إسبانيا جارية على قدم وساق دون أن يلحظها الكومنترن . لقد واصل مانويلسكي ـ ومانويلسكي يتصرّف الآن من موقع قائد الكومنترن ـ الإعلان أن الأحداث الإسبانية عموماً لا تستحقّ الاهتمام .

في كتابتنا عن الثورة الإسبانية قبل انعطاف آب [الثورة في إسبانيا] عبّرنا عن نتيجة مفادها أن البورجوازية التي ستتقمّص مختلف الأشكال الجمهورية ستحاول بكلّ قوّتها ، وحتى اللحظة الأخيرة ، أن تبقي على تحالفها مع الملكية . ومن المؤكّد أنه يمكن قيام جملة من ظروف تضطر فيها الطبقات المالكة إلى التضحية بالملكية إنقاذاً لجلدها (ألمانيا على سبيل المثال) . هذه الكلمات أعطت الستالينيين ذريعة للقول ـ بعد وقوع الحدث طبعاً ـ إنّ هذا التوقّع غير صحيح *[1]. إن الذين لم يتنبّأوا بأي شيء يطالبون الأخيرين ليس بالتوقّع الماركسي وإنّما بالتنبّوء الثيوصوفي باليوم الذي ستجري به الأحداث وبالشكل الذي ستتخذه . وبهذه الطريقة يطلب المريض الجاهل والمؤمن بالخرافات من الطبّ المعجزات . إنّ مهمّة التوقّع الماركسي المساعدة على توجيه أفكارنا بالإتّجاه العام لتطوير الأحداث وعلى تحصيننا ضد المفاجآت .

إنّ قرار البورجوازية الانفصال عن الملكية يجد تفسيره في سببين على نفس الدرجة

*1 ـ هذه الإحالة ، وسائر النجوم المرقمة تراجع ص 226 فصاعداً .

من الأهمية : الحمى العاصفة للاستياء الجماهيري أرغمت البورجوازية على محاولة تحويل ألفونسو . المكروه عموماً . إلى كبش فداء . وما كان يمكن للبورجوازية الإسبانية أن تقدم على هذه المناورة المحفوفة بالمخاطر إلا لأن الجماهير كانت تثق بالجمهوريين والاشتراكيين ولأن الخطر الشيوعي كان أثناء هذه العملية غير وارد . لذا فإن البديل التاريخي الذي حدث في إسبانيا كان نتيجة لضغط الجماهير من جهة ولضعف الكومنترن من جهة أخرى . على المرء أن يبدأ بإقامة هذه الحقائق . فالقاعدة الأساسية في التكتيك تقول : إذا كنت تريد أن تزداد قوّة فلا تبدأ بالمبالغة بقوّتك . لكن هذه القاعدة ليست للبيروقراطية المنحرفة .

لقد تكهّن مانويلسكي عشية الأحداث الإسبانية بعدم حدوث أي شيء جدّي عموماً . وغداة الأحداث بدأ بيري Peri[8] الذي لا يمكن لأحد أن يحلّ محلّه ، ومتعهد تقديم المعلومات الكاذبة من البلدان اللاتينية ، بإرسال البرقية إثر البرقية إلى موسكو عن كيفية تأييد كل البروليتاريا تقريباً للحزب الشيوعي وعن كيفية قيام الفلاحين الإسبان بإقامة السوفييتات . وقد نشرت البرافدا هذه الهراء وأضافت إليه هراء عن كيفية تعلّق « التروتسكيين » بذيل حكومة زامورا . في هذه الأثناء كان زامورا يواصل إعتقال المعارضين اليساريين[9] . وأخيراً نشرت البرافدا في 14 أيار إفتتاحية برنامجية تحت عنوان « إسبانيا تشتعل » تشكل عصارة تشتت المنحرفين وأخطائهم منقولة إلى لغة الثورة الإسبانية .

ماذا عن الكورتس ؟ :

تحاول البرافدا أن تنطلق من الحقيقة الأكيدة القائلة أن مجرّد الدعاوة لا يكفي : « على الحزب الشيوعي الإسباني أن يقول للناس ما يجب أن يفعلوه اليوم » . ولكن ماذا تقول البرافدا بهذا الصدد ؟ إنّه يجب تنظيم العمال « لنزع سلاح الرجعية وتسليح البروليتاريا وإنتخاب لجان المصانع والدعوة إلى يوم عمل من سبع ساعات . . . إلخ . هكذا تماماً يطرحون الأمور . الشعارات المذكورة لا غبار عليها ، ولو أنها تفتقر إلى

التماسك الداخلي وإلى التتالي الذي سينبثق من منطق تطوُّر الجماهير . لكن المذهل هو أن المقالة الرئيسية في البرافدا لا تتطرَّق أبداً إلىانتخابات **الكورتس** ، كما لو أن هذا الحدث لا وجود له البتة في حياة الأمة الإسبانية ، أو كما أن العمال لا علاقة لهم به . كيف نفهم هذه الصمت ؟

يبدو ظاهرياً أن الانتفاضة الجمهورية قد حدثت ، كما هو معلوم ، عبر الانتخابات البلدية . وكان لها بالطبع أسباب أعمق تحدثنا عنها قبل وقت طويل من انهيار حكومة بيرنغوير . لكن تصفية الملكية بالوسائل « البرلمانية » كان في صالح الجمهوريين البورجوازيين الصغار الديمقراطيين . وعدد كبير من العمال في إسبانيا يتخيَّلون الآن أن القضايا الأساسية للحياة الاجتماعية يمكن أن تنحسم بالاقتراع . وهذا الوهم لا يمكن أن يتبدَّد إلا بالتجربة ، ولكن يجب أن نعرف كيف نساعد هذه التجربة . كيف ؟ هل بإدارة الظهر للكورتس أم بالمشاركة في انتخاباته ؟ هذا السؤال يتطلَّب جواباً .

وتحتوي نفس الصحيفة (التي تتضمنّت الأعداد المؤرَّخة من 7 إلى 10 أيار) بالإضافة إلى الافتتاحية المذكورة آنفاً مقالاً يقول عن نفسه أنه تحليل ماركسي للقوى الداخلية للثورة الإسبانية وتحديد بلشفي لإستراتيجيتها . وهذا المقال أيضاً لا يتفوَّه عن الكورتس بكلمة . هل نقاطع الانتخابات أم نشارك فيها ؟ وعموماً تسكت البرافدا كلياً عن شعارات الديموقراطية السياسية ومهامها رغم أنها تسمي الثورة ثورة ديموقراطية . فعلام يدل هذاالصمت ؟ الانتخابات يمكن أن نشارك فيها ويمكن أن نقاطعها ولكن هل يمكن أن نتجاهلها ؟

لقد كان تكتيك المقاطعة صحيحاً فيما يتعلَّق بكورتس بير نغوير . إذ كان واضحاً بشكل مسبق أحد أمرين : إما أن ألفونسو سيفلح لفترة محدودة في معاودة السير على طريق الديكتاتورية العسكرية أو أن الحركة ستمرّ على رأس بير نغوير وكورتسه . في ظلِّ هذه الظروف كان على الشيوعيين أن يبادروا إلى مقاطعة الكورتس . وهذاتحديداً ما أصررنا عليه من خلال المواد الضئيلة المتوفِّرة بين أيدينا * [2] لو وقف الشيوعيون الإسبان وقفة حازمة في الوقت المناسب ضد الانتخابات ،ولو فقط بتوزيع بيانات بهذا الخصوص لكانت مكانتهم أكبر بكثير لدى سقوط بير نغوير ولقال العمال الطليعيون

لأنفسهم « هؤلاء الناس قادرون على التنبُّؤ بالأشياء » . ولكن مع شديد الأسف فإن الشيوعيين الإسبان الذين جعلتهم قيادة الكومنترن يتخلّفون عن الأحداث لم يفهموا هذا الوضع وجهزوا أنفسهم للمشاركة في الانتخابات ولكن بدون أية ثقة . لقد سارت الأحداث على رؤوسهم وأول نصر للثورة لم يعط نفوذ الشيوعيين أي إزدياد تقريباً .

لقد باشرت حكومة زامورا الآن بدعوة الكورتس التأسيسي إلى الانعقاد . فهل ثمّة أساس للتفكير بأن انعقاد هذا الكورتس ستقطعه ثورة ثانية ؟ أبداً . يمكن للجماهير أن تقوم بتحرّكات قوية ، لكن هذه الحركات بدون برنامج وبدون حزب لا يمكنها أن تولّد ثورة ثانية ، والدعوة إلى المقاطعة ستكون الآن بمثابة دعوة إلى العزلة الذاتية . لذا من الضروري المشاركة بالانتخابات بأقصى الفاعلية .

الابتذال البرلماني للإصلاحيين واللابرلماني للفوضويين :

الابتذال البرلماني مرض مقرف لكن الابتذال اللابرلماني ليس أقلّ قرفاً . وهذا ما يتجلّى بأوضح أشكاله في مصير الفوضويين السنديكاليين الإسبان . تطرح الثورة المسائل السياسية بشكلها المباشر ، وها هي تعطيها الآن شكلاً برلمانيّاً . فإنتباه الطبقة العاملة لا يمكن إلاّ أن يتركّز على الكورتس ، بينما سيصوّت الفوضويون السنديكاليون في الخفاء لصالح الاشتراكيين وربما الجمهوريين . إن النضال ضد الأوهام البرلمانية دون النضال بنفس الوقت ضد الميتافيزيق اللابرلماني للفوضويين هو في إسبانيا غير ممكن أكثر مما في أي بلد آخر .

لقد بيّنا في سلسلة من المقالات والرسائل الأهمية الهائلة للمطالب الديموقراطية من أجل تطور الثورة الإسبانية اللاحق . فالإعانات المالية للعاطلين عن العمل ويوم عمل من سبع ساعات والثورة الزراعية والحكم الذاتي الإقليمي ـ كل هذه القضايا الأساسية الحيوية مرتبطة بشكل أو بآخر في وعي العمال الإسبان بما فيهم الفوضويين السنديكاليين ، بالكورتس المقبل . فأيام بير نغوير كان يجب مقاطعة الكورتس الذي قدّمه ألفونسو باسم**الكورتس التأسيسي الثوري**وكان يجب منذ البداية وضع مسألة

الاقتراع العام في مقدِّمة العمل التحريضي - نعم مسألة الاقتراع السخيفة . من نافل القول ان الديموقراطية البورجوازية السوفييتية أرقى من الديموقراطية البورجوازية بما لا يقارن ، لكن السوفييتات لا تهبط من السماء بل يتطلَّب تحقيقها عملاً . ثمَّة ماركسيون يزدرون الشعار القائل مثلاً بالإقتراع العام المتساوي المباشر والسرِّي لكلِّ الرجال والنساء من سنِّ الثامنة عشرة شديد الازدراء ، ومع ذلك لو طرح الشيوعيون الإسبان هذا الشعار في الوقت المناسب ودافعوا عنه في الخطابات والمقالات والكتيبات والكراريس لنالوا شعبية هائلة . تماماً لأن الشعب يميل إلى المغالاة بقوَّة الكورتس الخلاَّقة فإن كل عامل يستيقظ من رقاده وكل فلاحة تريد المشاركة في الانتخابات . نحن لا نؤيِّد أبداً أوهام الجماهير ولكن يجب أن نستفيد أقصى الإفادة من كلِّ ما هو تقدُّمي في هذه الأوهام . وبغير هذا لن نكون ثوريين بل مجرَّد حمقى جديرين بالازدراء . إن مجرَّد تخفيض سنِّ الاقتراع يؤثِّر مباشرة على مئات الآلاف من العمال والفلاحين ،رجالاً ونساء . وأي عمال وفلاحين ؟ الشباب النشيطون المدعوون لخلق ثورة ثانية . إن إطلاق هذا الجيل الشاب ضد الاشتراكيين الساعين لنيل دعم العمال الأكبر سنأً هي المهمَّة الإبتدائية التي لا تقبل الجدل للطليعة الشيوعية .

وعلاوة على ذلك فإن حكومة زامورا تريد أن تضع من خلال الكورتس دستوراً يقوم به مجلسان تشريعيان . إن الجماهير الثورية التي أسقطت الملكية والمتعطشة ،ولو بغموض شديد ، للمساواة والعدالة ستتجاوب بحرارة مع تحريض الشيوعيين ضد خطَّة البورجوازية لتمرير « مجلس لوردات » من خلف ظهر الجماهير . يمكن لهذه المسألة الصغيرة أن تلعب دوراً هائلاً في التحريض وأن تخلق للاشتراكيين صعوبات حادَّة وأن تدقَّ إسفيناً بينهم وبين الجمهوريين . وهذا يعني تقسيم أعداء البروليتاريا ولو مؤقَّتاً ، والأهمّ من ذلك بألف مرَّة أنه يعني دقّ إسفين بين الجماهير الكادحة والاشتراكيين .

إن المطالبة بيوم عمل من سبع ساعات التي تقوم بها البرافدا لهامَّة جداً . وتجيء في الوقت المناسب .ولكن هل يمكن تقديم هذه المطالبة المجرَّدة بمعزل عن الوضع السياسي العام وعن المهام الديموقراطية الثورية ؟ إن البرافدا بحديثها فقط عن يوم العمل ولجان المصانع وتسليح العمال وبتجاهلها « السياسة » وبعدم ذكرها في كلِّ

مقالاتها ولو كلمة واحدة عن انتخابات الكورتس إنما تسير على طريق الفوضوية السنديكالية لتتقاطع معها وتغذيتها وتتستر عليها . وفي غضون ذلك فإن العامل الشاب الذي يحرمه الجمهوريون والاشتراكيون من حق الاقتراع ـ علماً بأن التشريع البورجوازي يعتبره ناضجاً لاستغلال رأس المال ـ والذي سيفرضون عليه مجلساً آخر ، سيدير ظهره للفوضوية ويمدّ يده للبندقية أثناء نضاله ضد هذا الازدراء الشديد له . إن معارضة شعار تسليح العمال بالمجريات السياسية المتعلّقة بالحاجات الحيوية للجماهير إنّما تعني الانعزال عن الجماهير وبالتالي عزل الجماهير عن السلاح .

يستحوذ شعار حقّ تقرير المصير على أهمية إستثنائية في إسبانيا اليوم ، لكنه يقوم أيضاً على الصعيد الديموقراطي ، لسنا معنيين طبعاً بدعوة الكاتالونيين والباسكيين إلى الانفصال ، ولكن واجبنا أن نؤكّد على حقّهم هذا إن أرادوه . ولكن كيف يتحدَّد إذا كانوا يريدونه أم لا ؟ إنه يتحدَّد ببساطة عبر الاقتراع العام المتساوي السرِّي المباشر لهذه المقاطعات ، وما من طريق آخر الآن . أما في المستقبل فإن المسائل القومية وغيرها ستحدِّدها السوفييتات بإعتبارها أجهزة لديكتاتورية البروليتاريا . وطالما أننا لا نستطيع أن نفرض السوفييتات على العمال بقرار ذاتي ساعة نشاء . وطالما أننا أقل مقدرة على فرض السوفييتات التي ستقيمها البروليتاريا في المستقبل على الشعب الآن ، فليس أمامنا إلا أن ندفع العمال على طريق السوفييتات . أما الآن فمن الضروري الإجابة على المسألة المطروحة الآن . لقد وجدت بلديات كاتالونيا نفسها في أيار مدعوة لانتخاب مندوبيها الذين سيضعون دستوراً مؤقّتاً لكاتالونيا ، أي لتحديد علاقتها بإسبانيا ككل . فهل يمكن لموقف العمال الكاتالونيين أن يكون لا مبالياً إزاء محاولات الديموقراطية البورجوازية الصغيرة الخاضعة دوماً لرأس المال الكبير ـ تقرير مصير الشعب الكاتالوني بالإنتخابات الديموقراطية ؟ إنّ شعار حقّ تقرير المصير بمعزل عن الشعارات الديموقراطية السياسية التي تكمله وتعطيه شكله الملموس سيبقى صيغة فارغة أو ، وهذا أسوأ ، ذراً للرماد في العيون . ستنعكس مسائل الثورة الإسبانية لفترة معيَّنة ، بطريقة أو بأخرى ، عبر موشور البرلمانية . وسينتظر الفلاحون على أحرّ من الجمر ما سيقوله الكورتس عن المسألة الزراعية . فهل تصعب رؤية أهمية نشر برنامج الشيوعيين

الزراعي من على منصّة الكورتس في ظلّ الأوضاع الحالية ؟ ولكن حتى يتحقّق هذا من الضروري وجود برنامج زراعي والوصول إلى منصّة البرلمان . نحن نعلم أن الكورتس لن يحلّ مسألة الأرض لأن حلّها يتطلّب مبادرة الجماهير الفلاحية إلى الكفاح ، ولكي تقوم هذه الجماهير بهذه المبادرة فهي تحتاج برنامجاً وقيادة . إن الشيوعيين بحاجة إلى منصّة ا لكورتس كصلة وصل بينهم وبين الجماهير ، ومن هذه الصلة ستتطور الأحداث التي ستنسف البرلمان . هذا هو جوهر الديالكتيك الثوري فيما يتعلّق بالبرلمان .

ولكن كيف يتفسّر صمت قيادة الكومنترن عن هذه المسألة ؟ إنّه لا يتفسّر إلا بكونها أسيرة ماضيها . لقد كان صوت الستالينيين عالياً جداً برفضهم لشعار الجمعية التأسيسية في الصين . كما أن المؤتمر السادس للكومنترن شجب رسمياً شعار الديموقراطية السياسية في المستعمرات باعتبارها « إنتهازية »[(15)] . إنّ مثال إسبانيا الأكثر تطوراً من الصين والهند بما لا يقاس يكشف كل تناقض قرارات المؤتمر السادس للكومنترن مع الواقع . لكن الستالينيين المقيّدين كلياً لا يجرؤون على الدعوة إلى مقاطعة البرلمانية بل ببساطة يقفزون عنها بالصمت . فلتهلك الثورة ولكن لتعش سمعة القادة المعصومين عن الخطأ * [3]

ما هي طبيعة الثورة القادمة في إسبانيا ؟ :

المقالة النظرية المقتطفة آنفاً ، والتي يبدو أنها قد كتبت خصّيصاً لتشويش الدماغ ، بعدما تحاول تحديد الطبيعة الطبقية للثورة الإسبانية تقول حرفياً « إذا أخذنا كل هذا بعين الاعتبار فسيكون من غير الصحيح تحديد الثورة الإسبانية في المرحلة الحالية كثورة اشتراكية (البرافدا 10/5/ 1931) هذه الجملة وحدها تلخّص التحليل . يجب على القارىء أن يتساءل : هل ثمة أناس في العالم يمكن ان يفكّروا أن الثورة الإسبانية تتحدّد (في المرحلة الحالية) كثورة اشتراكية دون إدخالهم إلى مشفى المجانين ؟ من أين جاءت البرافدا إذن بفكرة أن هذا النوع من « التأكيد » ضروري ؟ والأكثر من هذا من أين جاءت بفكرة هذا الشكل الرزين والمتحفّظ « إذا أخذنا كل هذا

بعين الإعتبار فسيكون من غير الصحيح . . . » ؟ إنه يتفسر بكون المنحرفين ، من سوء حظهم ، يقرأون عبارة لينين عن« تنامي »الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية . إنهم بعدم فهمهم للينين ونسيانهم أو تشويههم لتجارب الثورة الروسية إنما يجعلون من مفهوم التنامي أساساً لأفدح التعرجات انتهازية . لنكن صريحين : ليست المسألة مسألة حذلقة أكاديمية بل مسألة حياة أو موت للثورة البروليتارية .

فقط ومنذ وقت قصير توقع المنحرفون أن ديكتاتورية الكومينتانغ « ستتنامى » لتصير ديكتاتورية العمال والفلاحين التي ستتنامى بدورها لتصير ديكتاتورية اشتراكية للبروليتاريا . لقد تصوروا أن ما يفترض أن تتشكل منه العملية العضوية« للتنامي »هو التفتت التدريجي« للعناصر اليمينية » في الثورة في الوقت الذي تتقوى فيه« العناصر اليسارية » وقد طور ستالين هذه الموضوعة بعمق منقطع النظير ، ولكن مع شديد الأسف فإن نظرية ستالين ـ مانويلسكي الرائعة تتناقض كلياً مع النظرية الطبقية لماركس[11] .

تتحدد الطبيعة الطبقية للنظام الاجتماعي ، وبالتالي لكل ثورة ، بالطبيعة الطبقية للطبقة التي تمسك بيدها زمام السلطة . ولا تنتقل السلطة من طبقة إلى طبقة« بالتنامي » العضوي بل بالإسقاط الثوري لها . لقد داس المنحرفون على هذه الحقيقة أولاً في الصين والآن في إسبانيا . ونحن نرى سحرة البرافدا المثقفين يرتدون القلانس ويضعون ميزان الحرارة تحت لسان زامورا ويتناقشون : هل يمكننا أن نقول أن عملية« التنامي »قد أوصلت إسبانيا إلى مرحلة الثورة الاشتراكية ؟ والنتيجة التي يصل إليها هؤلاء الحكماء ـ لنعطي حكمتهم حقها ـ هي : لا ، ليس بعد .

بعد عرض هذا المسح السوسيولوجي القيّم ، تدخل البرافدا مجال التوقع والتوجيهات فنراها تقول : « لا يمكن للثورة الاشتراكية أن تكون **المهمة الراهنة على جدول أعمال اليوم** . فالمهمة الراهنة (1) ثورة العمال والفلاحين ضد ملاك الأراضي والبورجوازية » (البرافدا 10 / 5 / 1931) . لا خلاف في أن الثورة الاشتراكية ليست(المهمة الراهنة على جدول أعمال اليوم)في إسبانيا ، ولو أن من الأفضل والأدق أن نقول إن **الانتفاضة المسلحة الهادفة إلى استيلاء البروليتاريا على السلطة ليست« المهمة**

الراهنة على جدول أعمال اليوم » في إسبانيا . لماذا ؟ لأن طليعة البروليتاريا مشتتة ولا تقود البروليتاريا خلفها بعد ، ولأن البروليتاريا لا تقود خلفها الجماهير المضطهدة في الريف . وفي ظل هذه الشروط فإن النضال من أجل الاستيلاء على السلطة سيكون مغامرية .

ولكن إذا كان الأمر كذلك فما معنى العبارة الإضافية« المهمة الراهنة هي ثورة العمال والفلاحين ضد ملاكي الأراضي والبورجوازية » هل تعني أن بين النظام البورجوازي الحالي وبين ديكتاتورية البروليتاريا تنتصب أمامنا« ثورة عمالية ـ فلاحية » قائمة بذاتها ؟ والأكثر من هذا هل تعني هذه الثورة الوسيطة والقائمة بذاتها« ثورة العمال والفلاحين » : هذه الثورة المختلفة عن الثورة الاشتراكية ، أنها « مهمة راهنة » في إسبانيا ؟ هل تعني أنه يقوم على جدول أعمال اليوم إطاحة جديدة بالسلطة ؟ هل بالانتفاضة المسلحة أم بوسيلة أخرى ؟ بأي شكل بالضبط ستتميز « ثورة العمال والفلاحين ضد ملاكي الأراضي والبورجوازية » عن الثورة البوليتارية ؟ ما هي مجموعة القوى الطبقية التي ستقوم في أساسها ؟ أي حزب سيقود الثورة الأولى بالمقارنة مع الثانية ؟ أين يكمن اختلاف برامج هاتين الثورتين وأساليب عملهما ؟

عبثاً نسعى عن جواب لهذه الأسئلة . إن تشوش وضبابية هذه الفكرة تغلغلهما كلمة التنامي . ورغم كل التحفظات المتناقضة يحلم هؤلاء الناس بعملية انتقال ارتقائي من الثورة البورجوازية إلى الثورة الاشتراكية عبر سلسلة من المراحل العضوية تحت أقنعة مختلفة من الأسماء المستعارة : الكومنتانغ ،« ديكتاتورية ديموقراطية » و« ثورة عمال وفلاحين »و« ثورة شعبية »والمصيبة أن اللحظة الحاسمة في هذه العملية ، لحظة انتزاع طبقة للسلطة من طبقة ثانية ، تمر دون أن يلحظها أحد .

مشكلة الثورة الدائمة[12] :

من المؤكد أن الثورة البروليتارية هي في الوقت ذاته ثورة فلاحية . ولكن في ظل الشروط المعاصرة فإن الثورة الفلاحية من غير ثورة بروليتارية مستحيلة . يمكننا أن نقول

للفلاح ، وقولنا صحيح تماماً ، إن هدفنا هو إقامة« جمهورية عمالية ـ فلاحية » مثلما سمينا حكومة ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا بعد انتصار ثورة أوكتوبر« حكومة العمال والفلاحين » . إلا أننا لا نعارض« ثورة العمال والفلاحين » بالثورة البروليتارية بل نعتبرهما متماثلتين . وهذه هي الطريقة الصحيحة في مقاربة المسألة .

وهنا نلامس مرة أخرى لب مشكلة ما يسمى بالثورة الدائمة . لقد وصل المنحرفون في صراعهم مع هذه النظرية إلى القطيعة التامة مع وجهة النظر الطبقية . صحيح أنهم قد أصبحوا أكثر حذراً بعد تجربة« تحالف الطبقات الأربع » في الصين ، ولكن ما نما هو تشوشهم . وها هم يبذلون كل جهدهم لتشويش الآخرين .

الحمد لله أن الأحداث قد خرجت من نطاق« البروفيسورات الحمر »لمختصين بالتفلسف في موضوع النصوص القديمة . فالمسألة لم تعد تتعلق بدراسة مواد تاريخية أو انتقاء مقتطفات بل مسألة تجربة تاريخية جديدة رائعة تنتشر أمام أعيننا . وهنا تتواجه في ميدان الصراع الثوري وجهتا نظر ، والكلمة الفصل ستقولها الأحداث التي يستحيل الهرب من تحت أعينها . فالشيوعي الإسباني الذي لا يفكر في الوقت المناسب بجوهر القضايا المتعلقة بالصراع ضد« التروتسكية »سيقف على المستوى النظري بلا سلاح أمام القضايا الأساسية للثورة الإسبانية .

ما هو تنامي الثورة ؟ :

نعم لقد طرح لينين صيغة افتراضية« لديكتاتورية ديموقراطية ـ بورجوازية للعمال والفلاحين » لو وُجد بلد من المتوقع أن تقوم فيه ثورة ديموقراطية فلاحية مستقلة قبل استيلاء البروليتاريا على السلطة ، لكان هذا البلد روسيا . لأن المشكلة الزراعية فيها كانت تغلب على مناحي الحياة وبسبب تواجد حركة فلاحية ثورية منذ قرون ولوجود حزب فلاحي مستقل واسع النفوذ بين الجماهير .

ولكن تبين أنه لا مكان لثورة وسيطة بين الثورتين البورجوازية والبروليتارية حتى

في روسيا . ففي نيسان 1917 قال لينين مراراً وتكراراً لإقناع ستالين وكامنييف وغيرهم من المتشبثين بالصيغة البلشفية القديمة لعام 1905 : لا توجد ولا يمكن أن توجد« « ديكتاتورية ديموقراطية » غير ديكتاتورية ميليكوف - تسيرتلي - تشيرنوف[13] . **الديكتاتورية الديموقراطيةبطبيعتها هي ديكتاتورية البورجوازية على البروليتاريا .** وما يمكنه أن يحل محل هكذا« دبكتاتورية ديموقراطية »هو فقط ديكتاتورية البروليتاريا ، وكل من يخترع صيغاً وسيطة وفي منتصف الطريق إما حالم تعس وإما دجال . هذه هي النتيجة التي استخلصها لينين من التجربة الحية لثورتي شباط وأوكتوبر ، ونحن نقف بالكامل على أرضية هذه التجارب وهذه الاستنتاجات .

ومع ذلك ماذا يعني عند لينين « تنامي« الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية في ظل هذه الشروط ؟ إنه لا يعني أي شيء مما يتخيله المنحرفون والثرثارون من أمثال البروفيسورات الحمر .

الحقيقة هي أن ديكتاتورية البروليتاريا لا تتزامن ميكانيكياً أبداً مع بداية الثورة الاشتراكية لأن استيلاء الطبقة العاملة على السلطة يتم في ساحة محددة وفي وقت محدد لحل مهام محددة . وهكذا مهام راهنة تكون في الأمم المتخلفة ذات طبيعة ديموقراطية : التحرر القومي من السيطرة الامبريالية والثورة الزراعية كما هو حال الصين أو الثورة الزراعية وتحرير القوميات كما هو حال روسيا . ونحن نجد الشيء نفسه في إسبانيا ، ولو بتركيبة مختلفة من المهام . حتى أن لينين قال عن البروليتاريا في روسيا أنها وصلت إلى السلطة في أوكتوبر 1917 بشكل رئيسي **كوكيل للثورة البورجوازية الديموقراطية .** تباشر البروليتاريا بعد الانتصار بحل المهام الديموقراطية ، وتدريجياً فقط ، بحكم منطق سيطرتها ، تباشر بالمهمات الاشتراكية . ولم تشرع جدياً بتجميع الزراعة إلا بعد إثنتي عشرة سنة من سلطتها . وهذا تحديداً ما اسماه لينين تنامي الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية .

ليست سلطة البورجوازية هي ما يتنامى إلى سلطة عمال وفلاحين ومن ثم إلى سلطة بروليتارية أبداً . إن سلطة طبقة لا« تتنامى »من سلطة طبقة أخرى وإنما تتجرد منها بالسلاح . ولكن بعد ما تستولي الطبقة العاملة على السلطة فإن المهام الديموقراطية

للنظام البروليتاري تتنامى حتماً إلى مهام اشتراكية . ويمكن أن نفهم الانتقال العضوي والارتقائي من الديموقراطية إلى الاشتراكية فقط في ظل ديكتاتورية البروليتاريا . هذه هي فكرة لينين المركزية ، لكن المنحرفين غيروا كل هذا وشوهوه وحرفوه ، وها هم يسمّمون وعي البروليتاريا العالمية بهذا الزيف .

البديل الانتهازي والبديل المغامر :

نكرر قائلين إن المسألة المطروحة ليست مسألة حذلقات أكاديمية وإنما المشاكل الحيوية لاستراتيجية البروليتاريا الثورية . ليس صحيحاً أن « ثورة العمال والفلاحين » مطروحة على جدول الأعمال في إسبانيا . وليس صحيحاً أن الثورة الجديدة ، أي النضال المباشر على السلطة، قائمة على جدول الأعمال في إسبانيا في الوقت الراهن . كلا . المطروح الآن هو النضال لكسب الجماهير وتحريرهم من الأوهام الجمهورية ومن ثقتهم بالاشتراكيين ومن أجل تراصهم الثوري . هذه الثورة الثانية آتية وستكون ثورة البروليتاريا التي تقود خلفها فقراء الفلاحين ، ولا مجال بين النظام البورجوازي وديكتاتورية البروليتاريا لأي شكل من أشكال « ثورة العمال والفلاحين » كثورة قائمة بذاتها . إن المراهنة على ثورة كهذه وتكييف السياسة حسبها سيعني تمرير حزب كالكومينتانغ على البروليتاريا وتدمير الثورة .

إن الصيغ التشويشية التي تطرحها البرافدا تفسح المجال أمام طريقين تم سيرهما في الصين إلى نهايتهما : الانتهازي والمغامر . وإذا كانت البرافدا لا تجرؤ اليوم على « تحديد » الثورة الإسبانية كثورة عمال وفلاحين فما أدرانا أنها لن تواجهنا بها عندما يحل محل زامورا ـ الذي هو تشان كاي تشان إسبانيا ـ شخص يشبه فعلاً وان Wang تشان وي ، أي لنقل لاروكس يساري[14] ؟! ألن يقرر وقتها مشخصو الأمراض الحكماء ـ مارتينوف كوزينين وزملاؤهم ـ إن هذه الجمهورية يجب دعمها « دعماً مشروطاً » (صيغة ستالين في آذار 1917) أو « دعماً كلياً » (صيغته إزاء الكومينتانغ 1925 ـ 1927) ؟

ولكن هناك أيضاً إمكانية المغامرة التي تلائم مزاج وسطية اليوم أكثر . فافتتاحية البرافدا تتحدث عن كون الجماهير الإسبانية « قد بدأت توجه ضرباتها ضد الحكومة » ولكن هل يستطيع الحزب الشيوعي الإسباني أن يطرح شعار إسقاط هذه السلطة كمهمة لهذا اليوم ؟ تقول البرافدا في تحقيقاتها المتعوب عليها ، كما سمعنا قبل قليل ، إن المهمة الراهنة هي ثورة العمال والفلاحين وإذا فهمنا هذه المرحلة ليس بمعنى « التنامي » بل بمعنى الإطاحة بالسلطة فعندئذ يصبح البديل المغامر كلّي الوضوح . إذ ربما يقول الحزب الشيوعي الإسباني الضعيف لنفسه في مدريد كما قال (أو أُمر أن يقول) لنفسه في كانون الأول 1927 في كانتون : « لسنا مستعدين طبعاً لديكتاتورية البروليتاريا ولكن طالما أن المسألة مسألة مرحلة وسيطة ، ديكتاتورية العمال والفلاحين ، فلنحاول القيام بانتفاضة ولو بقوانا الضعيفة ـ لربما تثمر » .حقيقة أنه ليس عسيراً علينا أن نتوقع ـ بعدما انكشف الإهمال الإجرامي أثناء السنوات الأولى من الثورة الإسبانية ـ من المسؤولين عن تضييع الوقت أن يقوموا باستحثاث وكلائهم بالسوط الغليظ كيما يسرعوا . وهذا ربما يقودهم إلى مغامرة ماساوية من طراز كانتون .

منظورات أيام تموز :

ما مدى واقعية الخطر ؟ إنه واقعي تماماً . إنه يكمن في الشروط الداخلية للثورة ذاتها . وهذا ما يضيف إلى إهمال القادة وتشوشهم عنصراً ينذر بالتشاؤم . إن إمكانية حدوث انفجار جماهيري قائمة في وضع إسبانيا الحالي . وهي تشبه بكثير أو قليل اشتباكات 1917 في بتروغراد التي دخلت التاريخ باسم « أيام تموز » وإذا كانت هذه المعارك لم تؤد إلى سحق الثورة فالفضل في ذلك يعود إلى صحة السياسة البلشفية[15] . لذا من الضروري الوقوف عند هذه المسألة باعتبارها مهلكة في إسبانيا .

نحن نصادف أيضاً مثيلاً « لأيام تموز » في كل الثورات القديمة ، بدءاً من الثورة الفرنسية العظمى ، لكن نتائجها تكون مختلفة ـ عموماً سيئة وفي الأغلب مأساوية ـ . مرحلة كهذه جزء لا يتجزأ من آلية الثورة البورجوازية طالما أن الطبقة التي تقدم أكبر

التضحيات في سبيل إنجاحها وتضع فيها كل آمالها تحصد منها أقل من الجميع .

واضطراد مسار هذه العملية واضح تماماً . فالطبقة المالكة بعدما توصلها الثورة إلى قمة السلطة تميل إلى الاعتقاد بأن الثورة قد استنفذت مهمتها ، وتصبح معنية أكثر من أي شيء آخر بالبرهنة للقوى الرجعية أنها جديرة بالاعتماد عليها . ونفس الإجراءات التي تقوم بها البورجوازية « الثورية » لاسترضاء الطبقات المخلوعة تتسبب بنقمة الجماهير عليها . ويبدأ وهم الجماهير بالتلاشي بسرعة كبيرة حتى قبل أن يتسنى لطليعتها أن تجفف عرقها من حرارة المعارك الثورية . إذ يبدو للذين على رأس الحركة أن بإمكانهم إكمال أو تصحيح ما لم يتحقق في السابق كما ينبغي بضربة واحدة . هو ذا مصدر دفق الثورة الجديد الذي يندفع بلا تجهيز وبلا برنامج وبدون الالتفات إلى الخلف ودونما أدنى تفكير بالنتائج . أما بالنسبة للبورجوازية التي وصلت إلى السلطة فتتصرف كما لو أنها تنتظر هذه الانتفاضة العاصفة لتسوي الأمور مع الجماهير . هذه هي الأرضية الاجتماعية والسيكولوجية لشبه الثورة الإضافية التي قامت أكثر من مرة في التاريخ بدور المحرض على انتصار الثورة المضادة .

لقد حدثت « ايام تموز » في فرنسا 1848 في شهر حزيران ، واتخذت طابعاً أشد رعباً ومأساوية مما اتخذته في بتروغراد 1917 . إن ما تسمى أيام حزيران البروليتاريا الباريسية إنما انبثقت من ثورة شباط . ما كان بإمكانهم ، وبنادق شباط في ايديهم ، إلا أن يردوا على التناقض القائم بين البرنامج الرائع والواقع المرير ، إلا أن يردوا على المفارقة التي لا تحتمل والضاغطة على بطونهم وأفئدتهم . لقد حدثت أيام باريس بلا خطة أو برنامج أو قيادة ، وكانت في قوتها وجموحها نسخة طبق الأصل عن هذه البروليتاريا . لقد سحق الديموقراطيون العمال الثائرين بلا رحمة ، وهكذا عبدوا الطريق أمام البونابرتية[16] .

والعلاقة بين الحريق الهائل لكومونة باريس[17] وبين ثورة أيلول 1870 هي نفسها علاقة أيام حزيران بثورة شباط 1848 . لم تقم انتفاضة البروليتاريا الباريسية في آذار 1871 بناء على حسابات استراتيجية وإنما انبثقت من جملة ظروف مأساوية كمّلها أحد الاستفزازات التي تبرع البورجوازية الفرنسية بابتداعها أيما براعة عندما يستثير

الخوف مكرهاً . واحتجاجاً على خداع الثورة البورجوازية وصلت ردة فعل البروليتاريا في كومونة باريس للمرة الأولى إلى حد الثورة البروليتارية . لكنها لم تصله إلا لتسقط ثانية .

إن الثورة السلمية المجيدة البيضاء في إسبانيا(وسلسلة الصفات هذه هي نفسها في كل ثورة) تعد العدة أمام أعيننا« لأيام حزيرانها »و هذا إذا استخدمنا التقويم الفرنسي ، أو لأيام« تموزها» حسب التقويم الروسي . فحكومة مدريد الغارقة في بحر من العبارات التي تبدو في أغلب الأحيان مترجمة عن لغة الثورة الروسية تعد الجماهير بإجراءات حاسمة ضد البطالة وبإرواء ظمئهم للأرض لكنها لا تجرؤ على لمس أي من القروح الاجتماعية . وتحالف الاشتراكيين مع الجمهوريين يساعد على تدمير مهمات الثورة . إن القائم على رأس كاتالونيا ـ المنطقة الأكثر تصنيعاً في إسبانيا ـ يعد الجماهير بالمملكة الألفية(*)الخالية من الطبقات المضطهَدة أو المضطهِدة ، لكنه بنفس الوقت لا يجرؤ على رفع إصبعه لمساعدة الشعب فعلاً على التطويح ولو ببعض القيود القديمة التي يكرهها الشعب أشد الكراهية . إن ماشياMacia[81] يختفي خلف حكومة مدريد التي تختفي بدورها خلف الجمعية التأسيسية ، كما لو أن الحياة تتوقف على هذه الجمعية . وكما لو أنه من غير الواضح سلفاً أن الكورتس القادم سيكون نسخة موسعة عن التحالف الاشتراكي ـ الجمهوري المعني بشكل رئيسي بالحفاظ على الوضع الراهن .

هل من العسير التنبؤ بالتنامي المحموم لتمرد العمال والفلاحين ؟! إن التنافر بين ثورة الجماهير وسياسة الطبقات الحاكمة الجديدة هو مصدر التناقض التناحري الذي سيقود في تطوره المستقبلي إما إلى قبر الثورة ـ ثورة نيسان ـ وإما إلى ثورة جديدة .

لو كان الحزب البلشفي حاسماً في تقييم حركة تموز في بتروغراد كحركة« في غير وقتها »وأدار ظهره للجماهير لسقطت الانتفاضة ـ وهذا ما ستؤول إليه في ظل القيادة المشتتة وغير المنسجمة للفوضويين والمغامرين والأشخاص العارضين في تمرد الجماهير ـ وأهلكت نفسها حتماً في اضطرابات دموية لا طائل منها . أما من جهة أخرى فلو وقف الحزب على رأس الحركة وتخلى عن تقييمه لمجمل الوضع وسمح لنفسه بالانجرار إلى معارك حاسمة ، لاتخذت الانتفاضة مشهداً جريئاً ولاستولى العمال والجنود بقيادة

البلاشفة على السلطة في بتروغراد في تموز بشكل مؤقت ليمهدوا الطريق أمام سحق الثورة فيما بعد . والقيادة الصحيحة للحزب البلشفي هي فقط ما منع حدوث هذا أو ذاك من الخطرين القاتلين : روح أيام حزيران 1848 وروح كومونة باريس 1871 . كانت الضربة الموجهة للجماهير والحزب ثقيلة الوطأة جداً في تموز 1917 لكنها لم تكن حاسمة . وعدد الضحايا كان بالعشرات لا بعشرات الألوف ، وخرجت الطبقة العاملة بعد هذه المحنة لا ضعيفة ولا مقطوعة الرأس إذ حافظت على كوادرها وتعلمت هذه الكوادر كثيراً وقادت البروليتاريا إلى النصر في أوكتوبر .

من هذه الزاوية بالضبط ، زاوية« أيام تموز »فإن رواية الثورة الوسيطة ، ثورة منتصف الطريق التي يفترض أنها الثورة القادمة في إسبانيا ، تشكل خطراً كبيراً .

النضال لكسب الجماهير والجنتات العمالية :

إن من واجب المعارضة اليسارية أن تكشف وتفضح وتشرشح بلا هوادة في أذهان طليعة البروليتاريا وإلى الأبد صيغة « ثورة العمال والفلاحين » كثورة متميزة عن الثورتين البورجوازية والبروليتارية . أيها الشيوعيون الإسبان : لا تؤمنوا بها إنها وهم وخداع إنها شرك شيطاني سيستحيل غداً أنشوطة تلتف حول أعناقكم . لا تؤمنوا بها أيها العمال الطليعيون في إسبانيا ، ادرسوا دروس الثورة الروسية ودروس هزيمة المنحرفين .

إن منظور النضال من أجل ديكتاتورية البروليتاريا ينفتح أمامكم ، وتحقيق هذه المهمة يتطلب منكم لف الطبقة العاملة حولكم واستنهاض الملايين من فقراء الريف لنجدة العمال ، وهذه مهمة عملاقة . وعلى عاتقكم أيها الشيوعيون الإسبان تقع مسؤولية كبيرة . لا تغلقوا أعينكم على نقاط ضعفكم ولا تنخدعوا بالأوهام لأن الثورة لا تؤمن بالكلمات ، إنها تختبر كل شيء والأهم أنها تختبره بالدماء . فلا يطوّح بحكم البورجوازية إلا ديكتاتورية البروليتاريا . وما من ثورة ولن تكون هناك ويستحيل حتى وجود أية ثورة« وسيطة »و« أسهل »وأكثر« اقتصادية »وتكيفاً مع قواكم . ولن يخترع التاريخ لكم أية ديكتاتورية انتقالية ، أية ديكتاتورية من طراز آخر ، أية ديكتاتورية

بسعر مخفض . وكل من يتحدث إليكم بهذا إنما يخدعكم . أعدوا العدة لديكتاتورية البروليتاريا ، أعدوا لها العدة بجد وحزم وبلا كلل .

ومهما يكن الأمر فإن المهمة الراهنة للشيوعيين الإسبان **ليست النضال من أجل السلطة وإنما لكسب الجماهير** . وعلاوة على ذلك فإن هذا النضال سيجري في الفترة القادمة على أرضية الجمهورية البورجوازية وإلى حد كبير في ظل الشعارات الديموقراطية . لذا يكون إنشاء الجنتات بلا شك المهمة الرئيسية ليومنا هذا ، ومعارضة الجنتات بالشعارات الديموقراطية أمر سخيف . لقد قاد النضال ضد امتيازات الكنيسة وعسف الأديرة وأوامرها ـ وهذا نضال ديموقراطي صرف ـ إلى انفجار جماهيري في أيار ، الأمر الذي وفر ظرفاً ملائماً لانتخاب مندوبي العمال . ولكن مع شديد الأسف أنكم سمحتم لهذا الظرف أن يمر بلا فائدة .

إن الجنتات في هذه المرحلة هي الأشكال التنظيمية لجبهة البروليتاريا الموحدة ـ إنها الأشكال التنظيمية للإضرابات ولطرد اليسوعيين وللمشاركة في انتخابات الكورتس ولإقامة صلات مع الجنود ولدعم الحركة الفلاحية أيضاً . لا يمكن أن تتأكد هيمنة الشيوعيين داخل البروليتاريا ، وبالتالي داخل الثورة ، إلا عبر الجنتات التي تضم النوى الأساسية للبروليتاريا.وبقدر ما ينمو نفوذ الشيوعيين داخل الطبقة العاملة بقدر ما تتحول الجنتات إلى أجهزة للنضال من أجل استيلاء البروليتاريا على السلطة . وفي إحدى المراحل اللاحقة ـ لا نعرف متى تحين ـ ستجد الجنتات نفسها ، باعتبارها أجهزة لسلطة البروليتاريا ،على طرفي نقيض مع المؤسسات الديموقراطية للبورجوازية . وعندئذ فقط ستدق نهاية الديموقراطية البورجوازية .

من الثابت أن الجماهير تشعر كلما انخرطت في الصراع ـ ولا يمكنها إلا أن تشعر ـ بالحاجة الماسة إلى منظمة جديرة بالمسؤولية تسمو فوق مختلف الأحزاب والمجموعات والأقسام وتكون قادرة على توحيد كل العمال للقيام بعمل موحد . وهذا هو الشكل الذي يجب أن تتخذه الجنتات المنتخبة من العمال . من الضروري معرفة كيفية طرح هذا الشعار في الفرص الملائمة ، وهذه الفرص تتبدى أمامنا الآن في كل خطوة نخطوها . أما معارضة شعار السوفييتات كأجهزة لديكتاتورية البروليتاريا بوقائع

الصراع الحالي فتعني تحويل شعار السوفييتات إلى قدسية لا تاريخية وإلى أيقونة ثورية من طراز رفيع ، هذه التي يمكن أن يعبدها القديسون الأفراد أما الجماهير فلن تتبعها .

مسائل وتيرة الثورة الإسبانية :

ولكن ألا يزال هناك متسع من الوقت لتطبيق التكتيك الصحيح ؟ ألم يفت الأوان ؟ ألم تضع كل الفرص ؟ إن التحديد الدقيق لوتيرة تطور الثورة الإسبانية لفي منتهى الأهمية - إن لم يكن لتحديد الخط الاستراتيجي فعلى الأقل لتحديد التكتيك . لأن أفضل الاستراتيجيات يمكن أن تؤدي إلى الدمار من غير التكتيك الصحيح - بديهي أنه يستحيل معرفة الوتيرة قبل وقت طويل لأن معاينتها تتم في مجرى النضال والاستفادة من أكثر المؤشرات تنوعاً . وعلاوة على ذلك ، فإنها يمكن أن تتغير بحدة كبيرة في مجرى الأحداث . ومع ذلك لا مندوحة من وجود منظور محدد أمامنا لكي ندخل فيه التعديلات التي تتكشف أثناء الممارسة أنها ضرورية .

لقد تطلبت الثورة الفرنسية العظمى ثلاث سنوات كيما تبلغ ذروتها ، المتمثلة بديكتاتورية اليعاقبة ،في حين أن الثورة الروسية أنتجت ديكتاتورية البلاشفة بعد ثمانية أشهر . وهنا نرى فرقاً هائلاً في الوتيرة . لو سارت الأحداث في فرنسا بشكل أسرع لما تسنى لليعاقبة أن يتشكلوا ، لأنهم لم يسبق لهم أن تواجدوا كحزب عشية الثورة . أما من الجهة الأخرى ، فلو كان اليعاقبة قوة عشية الثورة فعلى الأرجح أن الأحداث كانت ستأخذ مساراً أسرع ، وهذا أحد العوامل المحددة للوتيرة ، ولكن هناك عوامل أخرى وربما تكون أكثر فاعلية .

لقد سبقت الثورة الروسية عام 1917 ثورة 1905 التي سماها لينين « بروفة » Rehearsal وكل عناصر الثورتين الثانية والثالثة كانت جاهزة مسبقاً ، لذا كانت القوى المنخرطة في الصراع تتحرك كما لو أنها تسير حسب خطة . وهذا ما سرّع بشكل استثنائي وصول الثورة إلى نقطة أوجها .

ومع ذلك ما لا يجب أن يغيب عن البال أن العامل الحاسم بخصوص الوتيرة عام 1917 كان الحرب . فالمسألة الزراعية يمكن تأجيلها لعدة شهور ، وربما بعام أو إثنين ، أما الموت في الخنادق فما كان يحتمل التأجيل ، وكان الجنود يتساءلون : ما فائدة الأرض ما لم نعش ؟ إن ضغط إثني عشر مليون جندي كان عنصراً في التسارع الاستثنائي للثورة ، إذن من غير الحرب ورغم« بروفة« 1905 ورغم وجود الحزب البلشفي ، كان يمكن للمرحلة ما قبل البلشفية من الثورة أن تمتد لسنة أو إثنتين علاوة على هذه الشهور الثمانية .

هذه الاعتبارات العامة ذات أهمية واضحة في تحديد الوتيرة التي يمكن أن تتطور فيها الأحداث في إسبانيا . لكن الجيل الحالي من الإسبان لم يعرف الثورة ، ولم يسبق له أن قام ببروفة ، والحزب الشيوعي انخرط في الأحداث وهو في حالة شديدة من الضعف ، وإسبانيا ليست في حالة حرب خارجية والفلاحون الإسبان ليسوا مجمعين بالملايين في الثكنات والخنادق ولا يعانون من خطر الإبادة المباشر . مجمل هذه الأمور تدعونا إلى توقع تطور الأحداث بوتيرة أبطأ ، وبالتالي تسمح لنا أن نأمل بفترة أطول نقوم فيها بتحضير الحزب للاستيلاء على السلطة .

ولكن ثمة عوامل تشد بالاتجاه النقيض ويمكنها أن تدفع باتجاه قيام محاولات لخوض المعركة الفاصلة قبل الأوان ، وهذا ما يعادل هزيمة الثورة : إن ضعف الحزب يعزز قوة العناصر العفوية في الحركة ، والتقاليد الفوضوية السنديكالية قد تدفع بنفس الاتجاه . وأخيراً فإن التوجه الخاطىء للكومنترن يفتح الأبواب على مصاريعها أمام انفجارات المغامرية .

وما يستنتج من هذه المقاربات التاريخية واضح : إن الوضع في إسبانيا(حيث لا وجود لتقليد ثوري معاصر ولا لحزب قوي ولا لحرب خارجية) يقود باتجاه وضع يتبين فيه من كل المؤشرات أن **الولادة الطبيعية** لديكتاتورية البروليتاريا ستتأخر كثيراً عما تمت عليه في روسيا ، لذا ثمة أمور تقوي بدرجة استثنائية خطر **إجهاض الثورة** .

إن ضعف الشيوعيين الإسبان الناجم عن خطأ السياسة الرسمية يجعلهم عرضة لأشد نتائج التوجيهات الخاطئة خطراً . فالضعيف لا يحب أن يرى ضعفه ، ويخاف أن

يتأخر ، لذا يكون عصبياً ويندفع إلى الأمام . وهكذا يمكن للشيوعيين الإسبان أن يكونوا خائفين من الكورتس بشكل خاص .

إن الجمعية التأسيسية التي كانت البورجوازية الروسية تؤجلها باستمرار لم تنعقد إلا بعد المواجهة الحاسمة ، وتمت تصفيتها دونما أدنى صعوبة . في حين أن الكورتس التأسيسي الإسباني ينعقد في مرحلة مبكرة من تطور الثورة ، وسيكون الشيوعيون فيه أقلية مهملة ، هذا إذا وصلوا إليه . من هنا فالفكرة التالية غير مستبعدة : محاولة إسقاط الكورتس بأقصى سرعة ممكنة استناداً إلى إحدى الهجمات العفوية للجماهير . وهذه المغامرة ليس فقط ستفشل في حل مسألة السلطة بل أيضاً ستقذف بالثورة إلى الخلف زمناً طويلاً ، وعلى الأرجح أنها ستكسر ظهرها . لن تتمكن البروليتاريا من انتزاع السلطة من أيدي البورجوازية إلا إذا كافحت من أجلها بكل جوارحها وإلا إذا حازت على ثقة غالبية المضطهدين .

وتحديداً بخصوص المؤسسات البرلمانية للثورة ، ينبغي ألا ينظر الرفاق الإسبان إلى تجربة الثورة الروسية بل إلى تجربة الثورة الفرنسية العظمى . فديكتاتورية اليعاقبة سبقتها ثلاثة برلمانات . ومن السخف أن يعتقد المرء ـ كما يفعل جمهوريو مدريد واشتراكيوها ـ أن الكورتس سيوقف الثورة فعلاً . كلا ، لا يمكنه إلا أن يعطي لتطورها دفقاً جديداً ، وهذا ما يضمن لها بنفس الوقت تطوراً أكثر انتظاماً . هكذا منظور في منتهى الأهمية لتوجهنا في مجرى الأحداث ولعلاج عصبيتنا ومغامريتنا .

هذا لا يعني طبعاً أن يصير الشيوعيون كوابح قطار الثورة ، كما أنه يعني بشكل أقل أن ينعزلوا عن الحركة وعن نهوض جماهير المدينة والريف ، لأن هكذا سياسة ستدمِّر الحزب الذي لا زال يواجه تحدِّي كسب الجماهير الثورية . لقد كان البلاشفة في وضع يسمح لهم بكبح إندفاع الجماهير نحو الكارثة في تمُّوز فقط لأنهم كانوا على رأس المعارك التي خاضها العمال والجنود قبلئذٍ .

إذا ما فرضت الظروف الموضوعية وخيانة البورجوازية على البروليتاريا الدخول في معركة فاصلة في ظلِّ شروط غير مناسبة فسيأخذ الشيوعيون طبعاً موقعهم في مقدِّمة صفوف المقاتلين . فالحزب الثوري يفضِّل دوماً أن ينهزم مع الجماهير على أن يتنحَّى

جانباً يلقي المواعظ الأخلاقية ويترك العمال تحت حراب البورجوازية بلا قيادة . الحزب المهزوم في المعركة سيمدُّ جذوره عميقاً في قلوب الجماهير ، وعاجلاً أم آجلاً سينتقم . أما الحزب الذي يتخلّى عن الطبقة ساعة الخطر فلن يعاود الحياة . على كل حال ،لا يواجه الشيوعيون الإسبان أبداً معضلة مأساوية من هذا القبيل ، على العكس ، كل الأسباب تحدو بنا إلى الإعتقاد بأن السياسة المشينة للإشتراكيين وهم في السلطة والخيبة الشديدة للفوضويين السنديكاليين ستدفعان العمال نحو الشيوعيين أكثر فأكثر ، وأن الحزب ـ شريطة اتباعه سياسة صحيحة ـ سيتسنى له الوقت الكافي لتجهيز نفسه وقيادة البروليتاريا إلى النصر .

من أجل وحدة صفوف الشيوعيين :

إن من أشد جرائم البيروقراطية الستالينية خبثاً هو قيامها بالتقسيم المنتظم لصفوف الشيوعيين الضعفاء في إسبانيا . وهذا التقسيم لم يكن نتاج مجريات الثورة الإسبانية بل أقحم مسبقاً على شكل توجيهات نابعة من صراع البيروقراطية الستالينية من أجل حقِّها في الوجود . غالباً ما تخلق الثورة في البروليتاريا جاذبية قوية نحو اليسار . فكل التيارات والمجموعات التي كانت قريبة جداً من روح البلشفية التحمت بها عام 1917 ، حتى أولئك الذين حاربوها فيما مضى . ولم ينمُ الحزب نمُوّاً سريعاً فحسب بل كانت حياته الداخلية عاصفة ، من نيسان إلى أوكتوبر ، وفيما بعد في سنوات الحرب الأهلية إتَّخذ صراع التيارات والمجموعات في الحزب البلشفي في بعض اللحظات حدَّة استثنائية ،لكننا لم نر أية إنشقاقات أو حتى حالات طرد فردية .

إن ضغط الجماهير القوي يلحم الحزب مع بعضه ، والصراع الداخلي فيه يمرِّسه ويوضِّح له طريقه . في هذا الصراع يثق كل أعضاء الحزب عميق الثقة بصحة سياسته والتعويل الثوري على قيادته . إن وجود هذه القناعة في القاعدة البلشفية ،والتي يتمُّ إكتسابها بالممارسة والنضال الأيديولوجي ، هو فقط ما يسمح للقيادة بقيادة الحزب ككل إلى المعركة وقت الضرورة . ولا يجعل الطبقة العاملة تثق بالحزب إلا ثقة الحزب نفسه

بصحة سياسته . إن ما يشلّ الحزب الشيوعي الإسباني الآن هو الإنقسامات الإصطناعية المفروضة عليه من الخارج وغياب الصراع الأيديولوجي الحرّ والشريف ووصم الأصدقاء كأعداء واختلاق الأساطير التي تغذي شق صفوف الشيوعيين . على الحزب الشيوعي أن يتخلّص من القبضة البيروقراطية التي تحيله حزباً عاجزاً ، يجب تجميع صفوف الشيوعيين على قاعدة من النقاش العلني والشريف ، يجب الإعداد لمؤتمر توحيدي للحزب الشيوعي .

إن ما يعقّد الوضع ليس فقط كون البيروقراطية الستالينية الرسمية قليلة العدد في إسبانيا بل أيضاً كون المنظّمات المعارضة المتواجدة رسمياً خارج الكومنترن ـ الإتّحاد الكاتالوني ومجموعة الاستقلال الذاتي«[19]»في مدريد ـ تفتقر إلى برنامج عمل واضح ، وما يزيد الأمر سوءاً أنّها مصابة إلى حدٍّ كبير باللوثة التي نثر محرِّفو البلشفية بذورها بسخاء طوال السنوات الثمانية الماضية . يفتقد المعارضون الكاتالونيون للوضوح الضروري فيما يتعلّق بـ « ثورة العمال والفلاّحين » و « الديكتاتورية الديموقراطية » و « حزب العمال والفلاحين » وهذا ما يضاعف الخطر . ينبغي أن يرتبط النضال من أجل وحدة صفوف الشيوعيين بالنضال ضد الانحطاط الأيديولوجي للبيروقراطية الستالينية وتزييفها .

تلك هي مهمّة المعارضة اليسارية . وهنا ايضاً يجب قول الحقيقة : بالكاد قاربت المعارضة اليسارية حلّ هذه المهمّات إن كون الرفاق الإسبان الملتزمين بالمعارضة اليسارية لم يؤسّسوا صحافتهم الخاصة ،بعد تضييع في الوقت لا يغتفر ،لن تتركه الثورة يمرّ بغير حساب نحن نعلم في ظلّ أية ظروف يعيش رفاقنا : إضطهاد البوليس غير المنقطع في ظلّ بريمودي ريفيرا وفي ظلّ بيرنغوير وزامورا .فالرفيق لاكروكس ، على سبيل المثال ،لا يخرج من السجن إلا ليعود إليه«[20]» . وجهاز الكومنترن العاجز ساعة القيادة الثورية يظهر عبقريته الفائقة على صعيد المضايقات والإفتراء . كل هذا يصعّب عملنا إلى أبعد الحدود ، ولكن يجب القيام به . يجب أن نلملم كل قوى المعارضة اليسارية في كل أرجاء إسبانيا ونؤسّس صحيفة ونشرة ونجمع شبيبة الطبقة العاملة وننظّم مجموعات ونقاتل من أجل وحدة صفوف الشيوعيين على أساس السياسة الماركسية الصحيحة .

20 ـ الفوضوية السنديكالية والإتِّحاد الكاتالوني

1931 / 5 / 31

على ما أرى فإن الفوضويين السنديكاليين يمارسون سياسة تصالحية مع النِّظام المقيت للكولونيل ماشيا Macia الوكيل البرشلوني لإمبريالية مدريد . لقد أصبح قادة الفوضوية السنديكالية الوكلاء الثانويون . وفي الواقع الوكلاء ،للسلام الأهلي القومي في كاتالونيا .

لقد تبنى الإتحاد الكاتالوني ، كما أرى ، إزاء الفوضويين السنديكاليين موقفاً تصالحياً . وهذا يعني أنه استبدل بالسياسة الثورية للجبهة الموحَّدة السياسة الإنتهازية في مغازلة الفوضويين السنديكاليين والدفاع عنهم ،ومن خلالهم مع نظام ماشيا . وبهذا بالضبط أرى أحد منابع الانفجار الذي يمكن أن يكون خطيراً جداً في مرحلة معيَّنة .

ليست مهمَّة النقابات أن تكبح العمال . بل أن تعبِّئهم وتنظِّمهم للهجوم . عليها قبل كل شيء آخر أن تستنهض عمال المناطق المتخلِّفة في كاتالونيا وكل إسبانيا . وليست مهمَّة الإتحاد الكاتالوني أن يعزِّز مكانة الاتحاد الفوضوي السنديكالي وإنَّما القيام شيئاً فشيئاً في نقده الدائم وإدانة تحالفه الضمني مع البورجوازية الصغيرة المضادَّة للثورة التي يقودها ماشيا .

وهكذا فإن كبح الأفعال التي لم يئن أوانها وغير المعقولة لا يمكن أن يتحوَّل إلى خنق الثورة على الطريقة المنشفية . يجب أن يكون لنا خطّنا الإستراتيجي الواضح الذي تفهمه طليعة العمال كيما تستطيع أن تشرحه بلا كلل للجماهير الواسعة ، ليس للاتحاد الكاتالوني خطّ استراتيجي ، كما أن قادته يخافون التفكير بالمشكلات الأساسية للثورة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لم خافوا من « التروتسكية » هذا الخوف الصبياني الأحمق الذي يعبِّر عن مجمل نطاق تفكيرهم السياسي .

13 ـ برنامج الاتِّحاد الكاتالوني

12 حزيران 1931

الرفاق الإعزَّاء

انتهيت للتو من قراءة برنامج ما يسمّى (حلف العمال والفلاحين) وهو الإسم الذي يعمل الاتحاد الكاتالوني تحته ، في (الصراع الطبقي La Lutte de Classes) لأول مرَّة . وأعترف بأن (الصراع الطبقي) قد ترجمت الوثيقة بشكل شامل وصحيح . إن الوثيقة بالمجمل من بدايتها إلى نهايتها ،تعطي إنطباعاً مؤلماً . فكل ما كتبته في عملي الأخير (الثورة الإسبانية في خطر) ضد السياسة الرسمية للكومنترن في القضية الإسبانية ينطبق على الإتحاد الكاتالوني . لا بل يرتكب الأخير أخطاء تخلَّى عنها الكومنترن ، على الأقلّ لفظياً .

1 ـ تصدر الوثيقة باسم (حلف العمال والفلاحين) ، ما هذا ؟ هل هو إسم مستعار لاتحاد كاتالونيا ؟ إن الحلف ، أقصد ،وحدة العمال والفلاحين ،مهمة سياسية هائلة على البروليتاريا أن تنجزها . ويجب أن تنزل هذه المهمة في البرنامج . ولكن بدلاً من ذلك ، يصبح (حلف العمال والفلاحين) إسم التنظيم الثوري . إن هذا لا يعدو كونه نسخة جديدة من حزب العمال والفلاحين ، علماً أن المؤتمر السادس للكومنترن تخلَّى عن هذه الفكرة الرجعية كجزء من نقده للمعارضة اليسارية .

2 ـ لا تظهر كلمة (شيوعية) ولو مرَّة واحدة في كلِّ وثائقهم . إن من يخفي شيوعيته عن الجماهير يكف عن كونه شيوعياً .

3 ـ يتكلَّمون عن ثورة ديموقراطية وعن جمهورية ديموقراطية وعن ثورة شعبية ، دون أية محاولة للقيام بتحليل طبقي . فيتّهمون الحكومة بأنها غير حازمة ومتذبذبة . . . إلخ لكنهم لا يسمونها ، بأي مكان ، حكومة البورجوازية عدوة الشعب . إن نقدهم لحكومة زامورا هو نسخة طبق الأصل لنقد المناشفة والاشتراكيين الثوريين لحكومة

كيرنسكي ـ الأمير لفوف[21] . وهم لا ينبسون ببنت شفة في موضوع حكومة ماشيا .

4 ـ تتكلم الوثيقة عن « بناء عقلاني للمجتمع » دون أن توضح ماذا يعني ذلك . تلك هي لغة الاشتراكيين (الحقيقيين) قبل عام 1848 . ثم تقول « يجب أن تكون بداية تنظيم اجتماعي جديد » ، من أي نوع ؟ نظام بورجوازي أم اشتراكي ؟ . إن الوثيقة تلعب (الغميضة) مع الرأسمالية والاشتراكية .

5 ـ يتم تصوير واقع أن ألفونسو أعطي الفرصة للهرب خارج البلاد على أنه خطأ كبيرمن الحكومة المؤقتة ، خطأ ؟ هل يعني ذلك أن زامورا ليس (حاذقاً) بما فيه يكفي في سياسته الثورية ؟ هذه هي الطريقة التي كان المناشفة الروس يعرضون القضية بها . إن تسمية عمل مضاد للثورة معتمد تقوم به البورجوازية (خطأ) يعني أن تبيض صفحة البورجوازية وأن تتستر عليها عن أعين الجماهير .

6 ـ (يجب أن تكون الجمهورية إنتصاراً ، ليس فقط للبورجوازية بل وللعمال أيضاً) ما معنى هذه العبارة الخاطئة من أساسها والديموقراطية المبتذلة والمرواغة . أين ومتى إنوجدت جمهورية ترضي ، في نفس الوقت ،مصالح البورجوازية ومصالح العمال ؟ يمكننا أن نطلب من الجمهورية البورجوازية ، ويجب أن نطلب منها حقوقاً ديموقراطية وإصلاحات إجتماعية ،عاملين دون توقُّف عن فضح الجمهورية البورجوازية وحتى في قمة ديموقراطيتها بوصفها آلة تستخدمها البورجوازية لإعتصار عرق ودم العمال والفلاحين .

7 ـ يرافق الإشارة إلى جمهورية 1873 هذه العبرة التي لا تصدق « وهكذا نشأ إنفصال كامل بين السلطة والشعب » . يتم فصل تجريد الشعب عن تجريد السلطة . لربما فصلت البورجوازية نفسها عن الشعب العامل ؟ من الضروري الإشارة إلى مثال 1873 لا لنؤكِّد على أن البورجوازية تصبح ألطف وأفضل وأكرم وأرحم بل لكي نعلّم الجماهير أن لا تؤمن للحظة واحدة ببورجوازية (ألطف) و (أكرم) و (أرحم) . ذاك كيف يتناول الماركسيون المسألة .

8 ـ يدعو البرنامج « الجماهير العاملة للانتظام في كل المناطق على أساس الجنتات الثورية » لأية غاية ؟ لم توجد إشارة لأي برنامج ، ليس ثمّة ذكر لكون الجنتات من هذا

النوع سيكون عليها ضمان الانتقال الثوري للسلطة إلى أيدي العمال والفلاحين الفقراء ، ليس هذا فقط ، بل ليس هناك برنامج بمطالب انتقالية : يوم عمل من سبع ساعات ، سيطرة العمال على وسائل الإنتاج ، تنظيم الانتفاضة الزراعية عبر جنتات العمال والجنود الثورية ، إنهم لا يذكرون حتى أن الجنتات تنظيم للبروليتاريا والجماهير المستغلة ضد الطبقة التي في السلطة ، يعني ضد البورجوازية ، ويعتبرون الجنتا (تنظيماً ثورياً) بروح التقليد البورجوازي الصغير الإسباني .

9 ـ في الكلام عن أهمية الانتفاضة الزراعية يشير إلى الثورتين الفرنسية والروسية دون أن يتطرّق بكلمة واحدة لتجربة الثورة الصينية التي تم خنقها للتو على يد قيادة الكومنترن أمام أعيننا . هل (حلّ) الكومنترن المسألة الزراعية في الصين بشكل صحيح ؟ ما من كلمة حول ذلك . إن الشيوعي الذي لم يستفد من دروس التجربة الصينية لا حقّ له في أن يتوجه إلى الجماهير ليعلّمها ويصدر لها الدعوات ، خصوصاً في بلد في غمرة الثورة .

10 ـ يقول البرنامج « نحن نؤيّد دولة لكل أمة » . ماذا يعني هذا بالنسبة لإسبانيا ؟ ما هي الأمم المقصودة ؟ ويتم تحديد تنظيم دولة عموم إسبانيا كما يلي « إتحاد الجمهوريات الأيبيرية » ماذا يعني هذا ؟ إذا كان يعني فيدرالية ، كان من الأفضل ذكر ذلك .

11 ـ « يجب أن يكون الدفاع عن الثورة القانون الأعلى » . دفاع ضدّ من ؟ البورجوازية التي في السلطة تدافع عن ثورت (ها) ضدّ البروليتاريا . كل من يخفي هذه الحقيقة وراء عبارات فارغة عن الدفاع **بشكل عام** عن الثورة **بشكل عام** ضد أعداء **بشكل عام** إنما يساعد البورجوازية على خنق البروليتاريا تحت راية الثورة .

12 ـ في نهاية برنامجه ، يعد (حلف العمال والفلاحين) ، أي حزب العمال والفلاحين ، « بالنضال بكل قوة من أجل تحقيق كامل الثورة الديموقراطية » هل يعني هذا الجمهورية البورجوازية على أساس برلمانية ديموقراطية ؟ إذن يجب أن يقال هذا ، لكن في هذه الحالة ، يجب على الأقلّ تقديم مطالب من أجل الحقوق الانتخابية الديموقراطية ، لأنه من الضروري قبل أن يمكن تحقيق الجمهورية « العقلانية » و

« التنظيم العقلاني للمجتمع » على شبه الجزيرة الأيبيرية ، أن تقوم جمهورية زامورا البورجوازية بإعطاء العامل والعاملة والفلاح والفلاحة ، على الأقلّ ، حقّ التصويت .

13 ـ لا يوجد ذكر لاسم الحزب الاشتراكي في البرنامج . كما لا يقول البرنامج كله كلمة واحدة عن الفوضويين السنديكاليين . ولا يذكر الحزب الشيوعي الرسمي . ربما يستعد (حلف العمال والفلاحين) للعمل في الفراغ .

هذه هي الاعتراضات المباشرة التي أعتقد أنه من الضروري تسجيلها على النص الذي نشرته (الصراع الطبقي) . من الممكن أن يكون الاتحاد الكاتالوني قد أدخل في برنامجه تغييراً ما أو تصحيحاً أو تعديلاً وأنا مستعد ، بالطبع ، للترحيب بكل خطوة يقوم بها الاتحاد الكاتالوني باتجاه الماركسية . ولكن الوثيقة كما هي تمثل (كيومانتانفيه) محضة منقولة إلى الثورة الإسبانية . فالأفكار والطرائق التي ناضلت المعارضة ضدّها بلا هوادة عندما كان الأمر يتعلّق بالسياسة الصينية للكومنترن تجد قمة تعبيرها الكارثي في هذه الوثيقة .

بحدود معرفتي ، يفك الإتحاد الكاتالوني ، بانتظام ، ارتباطه مع المعارضة اليسارية . وهذا لا يكفي يجب أن تفك المعارضة اليسارية إرتباطها بأسلوب واضح ودقيق مع الأفكار والطرائق التي يعبر عنها قادة الاتحاد الكاتالوني في الوثيقة التي حلّلناها بإيجاز آنفاً . إن نقطة الإنطلاق الخاطئة هي في الثورة تتحول حتماً ، في مجرى الأحداث ، إلى هزيمة . ويمكن للمعارضة اليسارية الإسبانية ، بالرغم من ضعفها الراهن ، أن تسدي خدمات جلّى للبروليتاريا وللثورة الإسبانية . لكن من أجل إنجاز هذه المهمة يجب أن تؤسس في صفوفها نظاماً من الوضوح والصدق والمثابرة . هذه هي دعوتي للأصدقاء الإسبان .

ـ طبيعة الثورة

18 حزيران 1931

يطرح مجرى الأحداث على جدول الأعمال قضية هامة ، يمكن للمعارضة اليسارية ويجب أن يكون لها فيها ما تقوله . إنني أتكلّم عن الثورة الإسبانية . إنها ليست

الآن قضية نقد لأحداث مضت ، بل بالنسبة للمعارضة اليسارية الأممية ، قضية القيام بتدخّل فاعل في الأحداث بغية منع الكارثة .

صحيح أن قوانا ضعيفة ، لكن ميزة الوضع الثوري تكمن ، بالتحديد ، في حقيقة أنه يمكن حتى لمجموعة صغيرة أن تصبح قوة كبيرة من خلال فترة قصيرة من الزمن ، شريطة أن تقدم التصوُّر الصائب لجهة تطوُّر الأحداث وأن ترفع الشعارات المناسبة في الوقت المناسب . ولا أقصد هنا فقط فرعنا الإسباني ، المنخرط مباشرة في الأحداث ، بل أيضاً جميع فروعنا ، لأنه كلما تقدَّمت الثورة أكثر ، كلما جذبت أكثر إهتمام العمال في العالم . إن إختبار الخطوط السياسية سيجري أمام عيون الطليعة البروليتارية العالمية . فإذا كنا جناحاً يسارياً حقاً ، إذا كنا أقوياء حقاً بفهمنا الثوري السليم ، فلا بدَّ أن تُظهره هذه الثورة بوضوح ، خصوصاً خلال الوضع الثوري ، وإذا كنّا أممية حقاً ، فيجب أن نقوم بهذا العمل على نطاق عالمي .

يجب أن نطرح ، بشكل قاطع ، مسألتين أساسيتين : 1 ـ مسألة الطابع العام للثورة الإسبانية وبالتالي الخط الإستراتيجي . 2 ـ مسألة الاستفادة التكتيكية الصائبة من الشعارات الديموقراطية والإمكانات الثورية والبرلمانية . لقد حاولت أن أقول كل شيء أساسي في هذه المسائل في آخر أعمالي عن إسبانيا [الثورة الإسبانية في خطر] وهنا أريد فقط ، أن أعرض ، باختصار ، رأيي في المسائل العامة التي بصددها **يجب أن نشنّ هجوماً ضد كامل خط الأممية الشيوعية** .

هل علينا أن نتطلَّع في إسبانيا إلى ثورة وسيطة بين الثورة الجمهورية المنجزة والثورة البروليتارية المستقبلية ، إلى ما يسمّى ثورة « عمال وفلاحين بديكتاتورية ديموقراطية » ؟ نعم أم لا ؟ إن كل الخط الإستراتيجي يتوقَّف على الرد على هذا السؤال . والحزب الشيوعي الرسمي غارق حتى الرقبة في التشوش الأيديولوجي ، حول هذه المسألة الأساسية ، تشوش بذوره ولا يزال يبذره المنحرفون ، والذي يجد تعبيره في برنامج الأممية الشيوعية . لقد تسنّى لنا ، يوماً بعد يوم ، أن نفضح ، على ضوء الوقائع الحية ، كل فراغ وكل سخف ، وفي نفس الوقت الخطر المرعب المتمثل بوهم ثورة وسيطة في منتصف الطريق .

يجب أن يتذكّر الرفاق القياديُّون في كل الفروع أننا نحن ، الجناح اليساري ، من يجب أن يرتكز على أسس علمية صلبة . إن اللعب بالأفكار ، دونما تفكير ، والدجل الصحفي على طريقة لاندو وزملائه[22] ، هما على طرف نقيض من جوهر التنظيم الثوري البروليتاري . تجب دراسة المسائل الأساسية للثورة بنفس الطريقة التي يدرس بها المهندسون مقاومة المواد أو التي يدرس بها الأطباء التشريح وعلم الأمراض . إن مشكلة الثورة الدائمة أصبحت الآن بفضل الأحداث في إسبانيا ، المشكلة المركزية للمعارضة اليسارية الأممية .

إن مسائل الشعارات الديموقراطية والاستفادة من الانتخابات ومن الكورتس فيما بعد ، هي مسائل التكتيك الثوري الذي يخضع للهدف العام للإستراتيجية . لكن أفضل الصيغ الإستراتيجية لا تساوي شيئاً دون حلّ تكتيكي لهذه الصيغ في اللحظة المحدَّدة .

لكن المسائل في إسبانيا تبدو سيِّئة جداً من زاوية النظر هذه ، فوفقاً لبرقيات الصحف الفرنسية فإن مورين ، قائد الاتحاد الكاتالوني ، قال في خطابه في مدريد إن تنظيمه لن يشارك في الانتخابات لأنه لا يؤمن بـ (نزاهتها) . هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً ؟ إن ذلك يعني أن مورين لا يتناول مشاكل التكتيك الثوري من زاوية تعبئة لقوى البروليتارية ، بل من زاوية عاطفية بورجوازية صغيرة أخلاقية. ولو قرأت ذلك قبل أسبوعين لظننت أن الصحافة البورجوازية تصفّ كلاماً فارغاً ، لكن بعد اطلاعي على برنامج الاتحاد الكاتالوني لا بدَّ أن أعترف أن هذه الأخبار ، بالرغم مما قد تبدو عليه من تشوُّه رهيب ، ليست مستحيلة ويجب أن لا نستبعدها مسبقاً . علينا أن نشرع ، على هذا الخطأ ، بنضال لا يرحم في صفوفنا . إنه شيء سخيف كلياً ولاقيمة له أن نتنازع مع مختلف المجموعات حول موضوع وظائف وحقوق وامتيازات السكرتاريا في وقت لا يتفق فيه في المبدأ مع هذه المجموعات . إنني أقصد ، قبل كل شيء ، مجموعة بروميتيوPrometeo التي لا تتفق مع البلاشفة اللينينيين في المسائل الأساسية للاستراتيجية والتكتيك[24] . لا يجب أن نسمح لأحد بأن يخفي هذه الاختلافات العميقة بمنازعات صاجة حول مسائل تنظيمية و (تحالفات) لا مبدئية ينتهي بها المآل ، حتماً إلى دسائس

في الكواليس . لقد انطرحت قضية الشعارات الديموقراطية بعد التجربة الروسية مجدداً في مجرى الصراع في الصين . وعلى كل حال ، لم يتسن لكل الفروع الأوروبية متابعة هذا الصراع . لهذا ، اتخذ النقاش في هذه المسائل طابعاً أكاديمياً أكثر أو أقل بالنسبة لبعض الرفاق والمجموعات . لكن هذه المسائل ، اليوم ، تتجسد في الصراع والحياة . هل يمكن أن نسمح لأنفسنا بأن نبقى مكتوفي الأيدي إزاء تحول تاريخي هام كهذا ؟ تماماً كما كان الحال أثناء الصراع الروسي ـ الصيني ، الذي هدد باندلاع حرب ، حيث لم نضيع أنفسنا في النقاشات حول فيما إذا كان ضرورياً أن نساند الاتحاد السوفياتي أو تشانغ كاي شيك ، كذلك اليوم ، لا نستطيع ونحن نواجه الأحداث الإسبانية مباشرة أن نتحمل حتى مسؤولية غير مباشرة عن الأوهام العصبوية نصف الباكونية لبعض المجموعات .

ألخص اقتراحاتي العملية كالتالي :

1 ـ على كل الفروع أن تضع مشاكل الثورة الإسبانية على جدول أعمالها .

2 ـ على قادة فروعنا أن يشكلوا لجاناً خاصة تكون مهمتها جمع مواد والتعمق في المسائل ، وقبل كل شيء ، متابعة لصيقة لنشاط الأحزاب الرسمية وللأسلوب الذي به تطرح مشاكل الثورة الإسبانية .

3 ـ يجب تبادل كل الوثائق الهامة للشيوعية الأوروبية) بكل تياراتها(بانتظام ، على الأقل على هيئة مقتطفات ، لإطلاع كل فروعنا القومية .

4 ـ على كل فرع من فروع المعارضة ، بعد الاستعداد الضروري ، أن يفتح هجوماً ضد سياسة الكومنترن في الثورة الإسبانية ويمكن أن يكون لهذا الهجوم أشكال مختلفة : مقالات في الصحف ، اقتراحات نقدية ، رسائل مفتوحة ، مداخلات في الاجتماعات ، أعمال فردية ، أعمال مجموعات . . . الخ لكن يجب أن تنسجم هذه الأشكال بشكل متين .

5 ـ لا بد ، بعد عمل استعدادي ما في الفروع القومية كما في السكرتاريا العالمية ، من صياغة **بيان المعارضة اليسارية الأممية** بشأن الثورة الإسبانية ، الذي تجب صياغته بشكل ملموس قدر الإمكان وبالتعاون الوثيق مع الفرع الإسباني . وسيكون

من الضروري نشره على أوسع نطاق ممكن .

هذه الاقتراحات الملموسة ، أرجو أن تناقشوها وبنفس الوقت أن ترسلوا نسخة لكل الفروع بحيث يتواقت نقاشها في كل الفروع .

23 - (يسقط زامورا - مورا)

42 حزيران 1931

طرحت في رسالة إلى الرفيق لاكروكس بعض الآراء المكملة في موضوع الوضع في إسبانيا ، وللأسف ليس لدي المعلومات الكافية لأعرف كيف يتناول الشيوعيون الإسبان في كل المجموعات المسائل السياسية المطروحة اليوم . لذا فإن قيامي بتحليل للوضع الثوري في هكذا حالة اصعب من لعب الشطرنج بعينين معصوبتين ذلك أنه تبقى بعض النقاط في كل القضايا ، أحتاج إلى توسع إضافي فيها . والآن أود أن أطرح هذه القضايا معكم وعبركم مع الشيوعيين الإسبان وكل الفروع المعارضة الأممية .

إن القسم الأساسي من مقالتي عن المخاطر التي تهدد الثورة الإسبانية ، مكرس للبرهان على أنه لا مكان لـ « ثورة العمال والفلاحين » خاصة ، بين ثورة أبريل الجمهورية البورجوازية من هذه السنة وبين ثورة البروليتاريا القادمة . ولاحظت ، مروراً ، أن هذا لا يعني أن على حزب البروليتاريا أن يكرس نفسه لتجميع سلمي للقوى حتى « الصراع النهائي والحاسم » . إن هكذا فهم سيكون فهماً محافظاً ومضاداً للثورة . ففي حين لا يمكن أن يكون هناك ثورة وسيطة أو نظام وسيط يمكن أن يكون هناك وسيكون أعمال جماهيرية وسيطة ، إضرابات مظاهرات ، اشتباكات مع البوليس والوحدات العسكرية ، اضطرابات ثورية عنيفة سيكون الشيوعيون فيها بشكل طبيعي في الصفوف الأمامية للقتال . ما المعنى الذي قد تتخذه هذه النضالات الوسيطة ؟ إنها ، من جهة أولى ، قد تقدم تغييرات ديموقراطية في النظام الجمهوري البورجوازي ، وستهيء الجماهير ، من جهة أخرى ، للاستيلاء على السلطة لخلق نظام بروليتاري .

إن مشاركة الشيوعيين في هذه النضالات ، ومشاركتهم في قيادتها قبل كل شيء ،

يتطلَّب ليس فقط فهماً واضحاً لتطور الثورة ككل ، بل ومقدرة على رفع الشعارات النضالية العيانية الواضحة في اللحظة المناسبة ،الشعارات التي لا تشتق بذاتها من « البرنامج » بل تمليها ظروف اليوم وتقود الجماهير إلى الأمام .

من المعروف جيداً الدور الكبير للشعار المبلشفي « يسقط الوزراء الرأسماليون » ، لقد تم تبني هذا الشعار في عام 1917 في وقت الإئتلاف بين التوفيقيين والليبراليين البورجوازيين . كانت الجماهير لا تزال تثق بالاشتراكيين التوفيقيين ، ولكن حتى أكثرها ثقة كانت تحمل عدم ثقة غريزية بالبورجوازية والمستغلين والرأسماليين . وقد ارتكز تكتيك البلاشفة في تلك الفترة على عدم الثقة هذا . نحن لم نرفع « لتسقط الحكومة الإنتقالية » كشعار راهن ، لكننا ، بدلاً من ذلك ، ركّزنا بثبات على نفس الموضوعة « يسقط الوزراء الرأسماليون » . وقد لعب هذا الشعار دوراً كبيراً لأنه أعطى الجماهير الفرصة كي تتعلَّم من تجربتها أن الاشتراكيين التوفيقيين كانوا يفكرون بالوزراء الرأسماليين أكثر مما كانوا يفكرون بالجماهير العاملة .

إن شعارات من ذلك النوع هي الأكثر ملاءمة للمرحلة الحالية من الثورة الإسبانية . فمن مصلحة طليعة البروليتاريا تماماً أن تدفع الاشتراكيين الإسبان لاستلام السلطة بأيديهم ،ولكي يحدث ذلك لا بدَّ من فكّ الائتلاف . المهمة الراهنة هي النضال لإبعاد الوزراء البورجوازيين من الائتلاف . ولا يمكن تصور إنجاز هذه المهمة ، ولو جزئياً ، إلا بالترابط مع أحداث سياسية هامة ، وتحت ضغط حركات جماهيرية جديدة . . وما شابه . وهكذا تم أولاً إقصاء غوتشكوف Gochkov [25] وميليتوف ثم الأمير لفوف من حكومة الائتلاف تحت ضغط الجماهير الدائم . وتم وضع كيرنسكي على رأس الحكومة ، وارتفع عدد (الاشتراكيين) في الحكومة و . . . وهكذا وبعد وصول لينين لم يتضامن الحزب البلشفي للحظة واحدة مع كيرنسكي والتصالحيين لكنه ساعد الجماهير على إبعاد البورجوازية عن السلطة واختبار التصالحيين في الممارسة . وقد كانت تلك المرحلة لا بدَّ منها على طريق وصول البلاشفة إلى السلطة .

إن إنتخابات الكورتس ، بقدر ما أستطيع أن أحكم على الأمور عن بعد ،

ستظهر ضعفاً شديداً للجمهوريين اليمينيين من نمط زامورا ومورا ، وأغلبية ساحقة للتصالحيين البوجوازيين الصغار من مختلف الأصناف : راديكاليين ، اشتراكيين راديكاليين ، و « إشتراكيين »[(26)] . وبالرغم من ذلك ، يمكننا أن نتوقع ، شبه متأكدين ، أن الاشتراكيين الراديكاليين سيتمسكون بكل قوتهم بحلفائهم اليمينيين . إنه الوقت المناسب لرفع شعار « يسقط زامورا مورا » ومن الضروري فقط أن نوضح شيئاً واحداً : لا يحرّض الشيوعيين في صالح وزارة لاروكس Lerroux ولا يتحمّلون أية مسؤولية عن الوزارة الاشتراكية ، لكنهم يوجهون ضرباتهم ، في كل لحظة سانحة ، ضد أكثر الأعداء تصميماً وتماسكاً ، مضعفين بذلك التصالحيين وممهِّدين الطريق للبروليتاريا . إن الشيوعيين يقولون للعمال الاشتراكيين « أنتم ، على خلافنا ، تؤمنون بقادتكم الاشتراكيين ، إذن أجبروهم ، على الأقلّ ، على استلام السلطة ، ونحن سنساعدكم في هذا بصدق ، وبعد ذلك سنرى ، وهم في السلطة ، من منا على حق على ضوء ما يحدث » .

لقد تناولنا آنفاً هذه المسألة بالإرتباط بتركيب الكورتس ، ولكن يمكن لأحداث أخرى ، كعمليات قمع ضد الجماهير مثلاً ، أن تعطي حدَّة فائقة لشعار (يسقط زامورا مورا) وفي هذه المرحلة الجديدة ، سيكون للانتصار في هذا الميدان أي استقالة زامورا ، أهمية بما يخصّ التطوُّر التالي للثورة تساوي تقريباً أهمية إستقالة ألفونسو في نيسان . ولكي نرفع هكذا شعارات ، لا يجب أن ندع التجريدات المذهبية تقودنا بل يجب أن تقودنا حالة وعي الجماهير وطريقة ردة فعلها على مختلف النجاحات الجزئية . أما أن نرفع ، ببساطة ، شعار (ديكتاتورية البروليتاريا) أو (جمهورية العمال والفلاحين) في وجه النظام الحالي فهو شيء غير كاف على الإطلاق ، ذلك أن هذه لا تحرِّك الجماهير .

تنطرح في هذا السياق قضية الاشتراكية الفاشية مرة ثانية . فهذه البدعة السخيفة التي ابتدعتها البيروقراطية المتطرِّفة يساراً ، تصبح الآن في إسبانيا أكبر عقبة في طريق الثورة . لنعد ثانية إلى التجربة الروسية . لقد عمل المناشفة والاشتراكيون الثوريون ، وهم في السلطة ، على مواصلة الحرب الإمبريالية والدفاع عن الرأسماليين

وإضطهاد الجنود والعمال والفلاحين والاعتقالات والعمل بعقوبة الإعدام والتغاضي عن قتل البلاشفة ،وإجبار لينين على التخفّي وإبقاء القادة البلاشفة الآخرين في السجن ونشر أكثر الإفتراءات خسّة ضدّهم .. الخ .إن ذلك أكثر من كاف لوصفهم « إشتراكيين فاشيين » حسب تعابير اليوم . لكن هذه الكلمة لم تكن موجودة حينئذٍ على الإطلاق ، الشيء الذي لم يمنع البلاشفة ، كما يعلم الجميع ،من الوصول إلى السلطة . وقد جلس البلاشفة ، بعد الإضطهاد الفظيع الذي تعرّضوا له في تموز وآب ، سوية مع « الاشتراكيين الفاشيين » في هيئات تم إنشاؤها للنضال ضد كورنيلوف[27] . وقد اقترح لينين ، من مخبئه في بداية أيلول ، مساومة مع (الاشتراكيين الفاشيين) : انفكّوا عن البورجوازية ، واستلموا السلطة ، ونحن ، البلاشفة ،سنناضل سلمياً من أجل السلطة داخل السوفييتات .

ولو لم يكن ثمّة فرق بين التصالحيين والكورنيلوفيين ، الذين كانوا (الفاشيين) الحقيقيين حينئذٍ ، لما كان ممكناً نضال البلاشفة بشكل مشترك مع التصالحيين ضدّ الكورنيلوفيين . وقد لعب ذاك النضال أعظم دور في تطوّر الثورة ،بصدّه هجوم الثورة المضادّة للجنرالات ومساعدة البلاشفة بانتزاع الجماهير مرّة وإلى الأبد من التصالحيين .

إن من صلب طبيعة الديموقراطية البورجوازية الصغيرة أن تنوس بين الشيوعية والفاشية ،ويصبح النوسان حاداً بشكل خاص خلال الثورة . إن إعتبار الاشتراكيين الإسبان مجرّد تنويع فاشي يعني أن نتخلّ سلفاً عن إمكانية الاستفادة من نوسانهم المؤكّد إلى اليسار ، وأن نعزل أنفسنا عن العمال الاشتراكيين والنقابيين .

في النهاية ، لا بدَّ أن أؤكّد على أن إنتقاد الفوضوية السنديكالية الإسبانية يشكل مهمة ملحّة جداً لا يمكن تأجيلها يوماً واحداً . وإن قياديي القمّة الفوضويين السنديكاليين يمثلون أكثر أشكال التصالحيين خداعاً وخيانة وخطورة وخنوعاً للبورجوازية . وبين صفوف الفوضويين السنديكاليين تكمن قوى هائلة جداً للثورة . ومهمتنا هنا هي نفسها فيما يتعلّق بالاشتراكيين : وضع القواعد في مواجهة القادة ، ولابد ، على كل حال ، من أن يتم تعديل هذه المهمة بعناية بشكل يوافق الروح المتميزة للتنظيم النقابي والطابع المتميز للخداع الفوضوي . وسأعالج هذه النقطة في إحدى

رسائلي التالية .

أؤكِّد مرَّة أخرى : يجب أن يتم جمع مقالات ومقترحات وبرامج . .إلخ التنظيمات والمجموعات الثورية في إسبانيا ،وترجمتها إلى الفرنسية وإرسالها إلى كل الفروع لترجمتها إلى بقية اللغات .

24 - مورين والفوضويين السنديكاليين

29 حزيران 1931

يجب أن يخضع مورين لنقد متواصل لا يرحم ، وستثبت الأحداث صحة نقدنا بالكامل . وفي غضون فترة قصيرة من الزمن سيغدو مورين مجرَّد شخصية هزلية بأفكاره الإقليمية ومذاهبه البالية وشعاراته المتخلِّفة . وكل شيء يكمن في معرفة من سيليه ، ليس باستطاعة المعارضة اليسارية أن تصبح قوة قائدة في إسبانيا ما لم تصبح كذلك في كاتالونيا .

القضية الملحَّة الثانية تتعلَّق بالفوضويين السنديكاليين . من المهم أن ننشر كراساً ضد الفوضويين السنديكاليين ونوزِّعه بسعة ليس فقط في إسبانيا بل وفي البلدان الأخرى . هل قرأتم مقالات مونات Monatte التي يعبر فيها عن أمله في يقدم الفوضويون السنديكاليون الإسبان دولة « فوضوية » أصيلة في مواجهة الدولة البلشفية«(27)» ؟ إن كل مصير الفوضوية العالمية ، بالأحرى النثرات التي بقيت منها بعد الثورة الروسية ،يرتبط بشكل وثيق بمصير الفوضوية السنديكالية الإسبانية . وبما أن الفوضوية السنديكالية في إسبانيا تسير حتماً نحو إفلاس بائس ومثير للشفقة فلا شك في أن الثورة الإسبانية ستكون علامة موت الفوضوية . إلا أنه من الضروري أن نتيقَّن من أن علامة موت الفوضوية السنديكالية ليست ،في نفس الوقت ، علامة موت الثورة .

إذا كان مورين ستارة مؤقَّتة للستالينيين ،فإن الفوضوية السنديكالية هي ستارة مؤقتة للاشتراكيين والجمهوريين ، أي للبورجوازية. وتماماً كما يستطيع مورين أن يسلِّم العمال الكاتالونيين المتقدِّمين إلى البيرقراطية الوسطية ، كذلك يستطيع الفوضويون

السنديكاليون تسليم كل الثورة للبورجوازية .

إن النضال النظري والسياسي ضد الفوضوية السنديكالية هو الآن في أمر اليوم . ومن الواضح أنه يجب شنّ هذا النضال على أساس سياسة الجبهة الموحّدة ووحدة النقابات . . إلخ ،لكن يجب أن نفضح قادة الفوضوية السنديكالية ، وخصوصاً ذلك القس العلماني المثير للشفقة بستانا«(29)» ، الذي سيلعب ،بلا شك ، أكثر الأدوار جبناً وخسّة في التطور التالي للثورة . . .

إن نماذج خطابات مورين تثير إنطباعاً مؤلماً . فكما ترون ، يعتبر ، خلافاًلنا ، أن الخطة الخمسية مكسباً للثورة«(30)» ! هل يمكن أنه لم يقرأ شيئاً ؟

بالمناسبة ، تنشر وكالة رويتر للصحافة ، إلى جانب غيرها ، برقيات كاذبة تتعلّق بمقالات ومقابلات مزعومة معي بشأن الخطة الخمسية (فشل تام ، تزييف . . . إلخ) ، من الهام جداً أن نكشف وننكر هذه الافتراءات . إن البورجوازية تستخدم ضد الستالينيين ، في هذه الحالة ، تكتيك الأخيرين الخاص بالتزييف والإفتراء .

25 ـ نتائج الانتخابات والتكتيك الذي تمليه

1 تموز 1931

1 ـ أمامي صحيفة تركية محلية صادرة في الأول من تموز بالفرنسية ، تحمل المعلومات الأولى عن نتائج الانتخابات الإسبانية . إن كل شيء يسير ، حتى الآن ، كما لو أنه فعلاً حسب تتال مخطط للأحداث . فقد جرت الحركة نحو اليسار كما لو كان ذلك وفق خطة . نأمل أن يحلل رفاقنا الإسبان نتائج الانتخابات بعناية بعد جمع المواد كلها . يجب أن نعرف كيف صوّت العمال ، وخصوصاً الفوضويون السنديكاليون . سيكون الجواب ،في بعض المقاطعات ، واضحاً تماماً من الإحصاءات الانتخابية . وأهم شيء ، بالطبع ، أن نعلم كيف صوّت الفلاحون في مختلف الأقاليم . ومن الضروري ، في الوقت نفسه ، جمع كل « البرامج الزراعية » التي قدمتها مختلف

الأحزاب في مختلف أقسام البلاد . إن هذا كله عمل ملحّ جداً وضروري جداً .

2 ـ يظهر الاشتراكيون ، وكما هو متوقَّع ، كأنهم حققوا إنتصاراً كبيراً . هذه هي عقدة الوضع البرلماني : يعتبر القادة الاشتراكيون أنفسهم محظوظين لأنهم لم ينالوا الأغلبية في الكورتس ، ولأن الإحصاءات البرلمانية بالتالي تبرِّر تحالفهم مع البورجوازية . إن الاشتراكيين لا يريدون استسلام السلطة ، لأنهم يخافون ، محقّين ، من أن الحكومة الاشتراكية لن تكون سوى مرحلة على طريق ديكتاتورية البروليتاريا .

من الواضح ، من خطاب بريتو ، أن الاشتراكيين عازمون على دعم الائتلاف طالما كان ذلك قادراً على منع تقدم البروليتاريا ، وعندما يصبح ضغط العمال أقوى ، ينقلبون إلى المعارضة ، تحت ذريعة راديكالية ما تاركين أمر تأديب وتحطيم ا لعمال للبورجوازية . بكلام آخر ، أمامنا تنويع من إيبرت Ebert[23] وتسيرتلي Tseretelli لنتذكَّر أن خط إيبرت كان ناجحاً ، في حين فشل خط تسيرتلي ، وأن العامل الحاسم في كلا الحالتين كان قوة الحزب الشيوعي وسياسته .

3 ـ يجب أن نكشف مباشرة خطة الاشتراكيين (لعبتهم في أن يلعبوا لكي يخسروا) نازعين عنهم القناع في كل مسألة محددة . وهذا ، بالطبع ، يخصّ المعارضة اليسارية الإسبانية قبل الجميع . لكن فضح الاشتراكيين لوحده لا يكفي ، فلا بد من شعار سياسي واضح يتفق مع طابع المرحلة الحالية من الثورة الإسبانية . إن نتائج الانتخابات تجعل ذلك الشعار واضحاً تماماً : يجب أن يفك العمال الائتلاف مع البورجوازية وأن يجبروا الاشتراكيين على إستلام السلطة . ويجب على الفلاحين مساعدة العمال ، إذا كانوا يريدون الحصول على الأرض .

4 ـ سيقول الاشتراكيون أنهم لا يستطيعون ا لتخلّي عن الائتلاف لأنهم لا يحوزون على أغلبية بالكورتس . وسيكون جوابنا على هذا : الدعوة لانتخابات ديموقراطية للكورتس على أساس تصويت للنساء والرجال من سنِّ الثامنة عشر . بكلام آخر ، نطرح في مواجهة الكورتس المزيف اللاديموقراطي ، كورتسا منتخباً بنزاهة وديموقراطياً حقاً وشعبياً حقاً .

5 ـ وإذا أدار الشيوعيون ، في هذه المرحلة ، ظهورهم للكورتس ، معارضته

بشعار السوفييتات وديكتاتورية البروليتاريا ، فسيظهرون فقط ، أنهم لا يمكن أن يؤخذوا بجد . لا يوجد شيوعي واحد في الكورتس (حسب الصحافة التركية) . بالطبع يكون الجناح الثوري دائماً أقوى في الفعل والنضال مما في التمثيل البرلماني ، ومع ذلك ، هناك علاقة ما بين قوة الحزب الثوري وتمثيله البرلماني . لقد إتضح ضعف الشيوعية الإسبانية تماماً . وأن تتكلم ، تحت هذه الشروط ، عن إسقاط البرلمانية البورجوازية بديكتاتورية البروليتاريا لن يعني سوى أن تلعب دور المعتوهين الثرثارين . إن المهمة هي في جمع قوى الحزب على أساس المرحلة البرلمانية من الثورة وحشد الجماهير حولنا . وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بواسطتها التغلّب على البرلمانية . ولكن ، من أجل ذلك الهدف بالتحديد لا بدَّ من تطوير تحريض قوي تحت أكثر الشعارات الديموقراطية حدَّة وتطرُّفاً .

6 ـ ما هي المعايير التي يجب أن تكون لرفع هذه الشعارات ؟ علينا من جهة أولى أن نرى الإتجاه العام لتطور الثورة الذي يحدِّد خطنا الإستراتيجي وعلينا ، من جهة ثانية ، أن نأخذ بالحسبان مستوى وعي الجماهير ، والشيوعي الذي لا يأخذ ذلك باعتباره سيحكم على نفسه بالموت .

دعونا نفكِّر ، للحظة ، بالطريقة التي بها ينبغي أن يرى العمال الإسبان بالمجمل الوضع الحالي . فقادتهم الاشتراكيون في الحكم ، الشيء الذي سيزيد من مطالب وعناد العمال . فكل مضرب عن العمل ليس فقط لن يخاف من الحكومة بل وسيتوقع مساعدتها . وعلى الشيوعيين أن يوجهوا أفكار العمال نحو هذه الخطوط تحديداً : « إطلبوا كل شيء من الحكومة ، طالما أن قادتكم فيها » . وسيرد الاشتراكيون على وفد العمال بالقول أنهم لا يحوزون الأغلبية بعد . وسيكون الجواب واضحاً : إن الأغلبية مضمونة بتصويت ديموقراطي حقاً وبإنهاء الائتلاف مع البورجوازية . لكن هذه هو الشيء الذي لا يريده الاشتراكيون . إن موقعهم يضعهم في حالة عداء مع الشعارات الديموقراطية الجريئة . وإذا طرحنا ، ببساطة ، ديكتاتورية البروليتاريا أو السوفييتات في مواجهة الكورتس ، فلن ننجح إلا بدفع العمال نحو الاشتراكيين . لأن العمال الاشتراكيون سيقولون أن الشيوعيين يريدون أن يحكمونا ، إلا أنه تحت شعار

الديموقراطية وإنهاء الائتلاف بين الاشتراكيين والبورجوازية ، سنحدث شرخاً بين العمال والاشتراكيين ونجهّز للمرحلة التالية من الثورة .

7 ـ إن كل الإعتبارات التي ذكرت آنفاً تبقى عديمة الفائدة فيما لو قصرنا أنفسنا على الشعارات الديموقراطية بالمعنى البرلماني . ولايمكن أن يكون ثمة شك في هذا . فالشيوعيون يشاركون في كل الإضرابات والإحتجاجات والمظاهرات مستنهضين شرائح من السكان لا تني تتعاظم . والشيوعيون يكونون مع الجماهير وعلى رأسها في كل معركة . وعلى أساس هذه المعارك ، يطرح الشيوعيون شعار السوفييتات ويبنونها لدى أول سانحة كتنظيمات للجبهة الموحدة البروليتارية . ولا يمكن للسوفييتات أن تكون شيئاً آخر في هذه المرحلة . ولكن إذا انبثقت كتنظيمات نضال للجبهة الموحدة البروليتارية ، ستصبح بالتأكيد ، تحت قيادة الشيوعيين ، أجهزة الإنتفاضة المسلّحة وأجهزة السلطة .

8 ـ لدى تطوير برنامجنا الزراعي بجرأة يجب أن لا ننسى ، بأي حال ، الدور المستقل للعمال الزراعيين ، إنهم الأدوات الأساسية للثورة البروليتارية في المناطق الريفية . يتحالف العمال والفلاحون لكن العمال الزراعيين يشكلون جزءاً من البروليتاريا نفسها . يجب أن يبقى هذا التمييز الهام في الذهن .

9 ـ أعلم من (الحقيقةLa Verite[33])أن الستالينيين يتهمون كل المعارضة اليسارية ، كما يتهمونني شخصياً ، بمعارضة المصادرة المباشرة لملكية الأرض . فعلاً ، لا يمكن التنبؤ بأي إتجاه سيكون الإنحراف التالي للديماغوجيين البيروقراطيين . ماذا تعني المصادرة « المباشرة » للأرض ؟ وعلى يد من ؟ ومن قبل أية تنظيمات ؟ صحيح أن بيريPeriالفذّ أكّد منذ نيسان أن الفلاحين الإسبان كانوا ينشئون السوفييتات وأن كل عامل كان يتبع الشيوعيين . من الطبيعي أننا نوافق على وجوب أن تأخذ السوفييتات (أو الجنتات أو اللجان) الأرض مباشرةمن الإقطاعيين لتشغيلها بنفسها . لكن لا يزال علينا إستنهاض الفلاحين ، ومن أجل ذلك علينا سحب العمال من تحت تأثير الاشتراكيين . ولا يمكن أن يجري أحدهما دون الآخر . أم أن الستالينيين يريدون القول أننا نحمي ملكيات الإقطاع ؟ لكن حتى في الإفتراء لا بد من منطق ما . كيف يمكن اشتقاق الدفاع عن ملكية الإقطاع من موقع الثورة الدائمة ؟ ليحاولوا شرح هذا لنا .

ومن جانبنا سنذكر أنه حين اتبع الستالينيون في الصين سياسة حلف الطبقات الأربع ، أرسل المكتب السياسي بقيادة ستالين برقية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، يطلب فيها كبح حركة الفلاحين كيلا تسبب نفور جنرالات« الثورة » .وفي كل البرنامج الزراعي أورد ستالين ومولوتوف[34]تقييداً صغيراً : مصادرة ملكيات الإقطاع باستثناء الضباط . وبما أن كل الإقطاعيين وأبنائهم وأبناء أخوتهم دخلوا جيش تشان كاي تشيك ، فقد أصبحت الرتب « الثورية » ضماناً لملكية الأرض .

من غير الممكن تجاهل هذا الفصل المخزي من تاريخ القيادة الستالينية . وقد وجدت المعارضة ، آنئذ ، نسخة من تلك البرقية في محاضر المكتب السياسي وكشفت وأدانت هذه الخيانة الخسيسة للثورة الزراعية . والآن يحاول هؤلاء السادة أن يعزوا إلينا في إسبانيا الجريمة التي ارتكبوها هم أنفسهم في الصين . لكن كلا : لدى المعارضة الآن فروع في كل البلدان تقريباً ولن تسمح لهم بنشر الأكاذيب والنداءات دونما رادع . وستوضح المعارضة اليسارية ، في التجربة الحية للثورة الإسبانية ، كل المشاكل الأساسية وستقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام . إنه ليس عبثاً أن الثورة هي قاطرة التاريخ .

26 ـ الشيوعية الإسبانية والاتحاد الكاتالوني .

8 تموز 1931

إن أكثر تطورات الثورة أذى وخطورة وحتى شؤماً هو أن نعزز في أذهان العمال في كاتالونيا وإسبانيا والعالم كله أننا نؤيد سياسة الاتحاد الكاتالوني أو نتحمل مسؤولية عنهم أو حتى أننا أقرب إليهم مما نحن إلى المجموعة الوسطية . يعرض الستالينيون الأمر على هذه الشاكلة بكل قوتهم . . ولم نناضل ضد هذا ، حتى الآن ، بالنشاط الكافي . ومن المهم جداً والملح أن نبدد سوء الفهم هذا ، الذي سيسيء لنا بشكل فظيع ويعوق تطور العمال الإسبان والكاتالونيين .

بالطبع ، تقع مهمة إدانة الاتحاد الكاتالوني ، بشكل أساسي ، على أنصارنا في كاتالونيا نفسها . فعليهم أن يعبّروا عن موقفهم بنقد محدد ومكشوف وواضح ، نقد

لا يغفل شيئاً من سياسة مورين ، ذاك الخليط من مستتبعات بورجوازية صغيرة وجهلٍو (علم)إقليمي وتلوٍ سياسي .

لقد تلقى الاتحاد في انتخابات الكورتس 10 آلاف صوت ، وهذا ليس بالكثير . بالطبع ، يمكن لتنظيم ثوري حقاً ، في حقبة ثورية ، أن ينمو بسرعة . هناك ، على كل حال ، واقعة تقلل إلى حد بعيد من قيمة هذه الأصوات الـ 10 آلاف : لقد حصل الاتحاد في انتخابات الكورتس في برشلونة ـ أهم مركز ثوري ـ على أصوات أقل مما حصل عليه في الانتخابات البلدية في برشلونة . إن لهذه الواقعة ، التافهة لأول وهلة ،مغزى دلالي هائل ، إنها تظهر في الوقت الذي توجد فيه ،في أقصى زوايا البلاد ، حركة عمالية باتجاه **الاتحاد** ـ بالرغم من أنها لا تزال ضعيفة جداً ـ فإن تشوش مورين لا يجذب العمال في برشلونة بل ينفرهم . بالطبع ، يمكن للإفلاس المحتم لماشيا أن يساعد حتى مورين كأهونْ الشرّين . ولكن انتخابات الكورتس قد أظهرت بشكل تام عجز القيادة الحالية للاتحاد . إن الأمر يتطلب فعلاً (مواهب) خاصة لكي يرهق المرء لا أصالته إلى الحد الذي لا يزيد نفوذه في برشلونة خلال ثلاثة أشهر من الثورة .

ماذا يمثل الاتحاد بلغة السياسة الثورية ؟ هل هو تنظيم شيوعي ؟ وإذا كان كذلك فأي نوع بالضبط : يسار أم يمين أم وسط ؟ لا شك أن أولئك الذين يصوتون للاتحاد هم عمال ثوريون ويمكن أن يصيروا شيوعيين . لكن الأمور غير واضحة في **أذهانهم**بعد . ومن أين يأتي الوضوح إذا كان قادتهم مشوشين ؟ إن أكثر العمال تصميماً وجرأة وحزماً سيرمون أنفسهم ،في ظل هذه الظروف ، حتماً باتجاه الحزب الرسمي . فالأخير قد حصل على 170 صوت فقط في برشلونة وعلى حوالي ألف في كل كاتالونيا . لكن لا تظنوا أن هذه الأصوات تمثل أسوأ العناصر ،على العكس ، يمكن أن تكون معظم هذه العناصر معنا وسيكونون معنا عندما نشرّع رايتنا .

كان لمعظم المنظمات الاشتراكية الديموقراطية ،في بداية الثورة 1917 ، طبيعة مختلطة حوت في صفوفها بلاشفة ومناشفة وتصالحيين . . . الخ . وكان الميل باتجاه الوحدة قوياً إلى حد أن ستالين أيّد ، في كونفرنس الحزب البلشفي ، في نهاية آذار ، قبل بضعة أيام من وصول لينين ، وحدة مع المناشفة . وقد بقيت بعض المنظمات

المنطقية مختلطة حتى ثورة أوكتوبر . ويبدو لي أن الاتحاد الكاتالوني وهو تنظيم مختلط من نوع مشابه ، تنظيم غير محدد يتضمن بلاشفة ومناشفة المستقبل . الشيء الذي يبرر سياسة محاولة إحداث تمايز سياسي ضمن صفوف الاتحاد . والخطوة الأولى على هذا الطريق شجب الابتذال السياسي للمورينيةMaurinismدونما رحمة .

إن المماثلة بين الاتحاد الكاتالوني والتنظيمات الموحدة في روسيا محدودة ، على أي حال ، في وجوه مهمة ، فالتنظيمات الموحدة لم تستثن أي وجود بتجمع اشتراكي ديموقراطي . فلكل مجموعة كان الحق في النضال من أجل آرائها داخل التنظيم الموحد . لكن الأمر مختلف تماماً داخل اتحاد كاتالونيا فـ (التروتسكية) فيه محرمة . ولكل مشوش الحق في الدفاع عن تشوشه هناك ، لكن البلشفي اللينيني لا يستطيع رفع صوته علناً . وهكذا يستثني هذا التنظيم الانتقائي الموحد الجناح اليساري منذ البداية ، لكن يصبح ، بهذه الواقعة بالذات ، كتلة عشوائية من التيارات اليمينية والوسطية . يمكن للوسطية أن تتطور إما إلى اليسار أو إلى اليمين ، ولكن وسطية الاتحاد الكاتالوني ، التي ترفض الجناح اليساري خلال الثورة ، محكوم عليها بدمار مشين . إن مهمة المعارضة اليسارية هي تسريع هذا الدمار بنقد لا يرحم .

لكن ثمة واقعة أخرى يجب أن نوليها اهتماماً استثنائياً . فالاتحاد الكاتالوني يؤيد رسمياً وحدة كل التنظيمات والتجمعات الشيوعية . من المؤكد أن القواعد يرغبون بإخلاص وصدق بهذه الوحدة ،رغم أن لديهم كل أنواع الأوهام حول هذا الشعار . نحن لا نشاركهم أوهامهم بأي شكل . إننا نناضل من أجل الوحدة لأننا نأمل بالنجاح ، بين كوادر الحزب الموحد ،في تنفيذ عمل متصاعد من التمايز الأيديولوجي على أساس ومهام يطرحها تطور الثورة الإسبانية نفسها وليس على أساس مسائل ومهام غريبة عنها .

إننا ، مهما يكن الأمر ، ندعم النضال من أجل وحدة الشيوعيين بكل السبل . والشرط الأساسي للتوحيد ، بالنسبة لنا ، هو الحق في النضال من أجل شعاراتنا ووجهات نظرنا بين كوادر التنظيم الموحد . إننا نستطيع ، ويجب أن نعد بالصدق التام في هذا النضال ، لكن هذا الشرط الأساسي للعضوية تم حذفه منذ البداية من قبل

الاتحاد نفسه . ففي حين يناضل تحت راية الوحدة ، تراه يحظر البلاشفة اللينينيين من صفوفه . إن الاعتماد ، تحت هذه الشروط ، على الاتحاد الكاتالوني كي يلعب دوراً قائداً في النضال من أجل وحدة الحزب الشيوعي ، سيكون أكبر سخف من جانبنا . إن مورين يستعد للعب دور العازف الأول في مؤتمر التوحيد ، فهل يمكننا تحمل هذا النفاق المقرف ساكتين . إن مورين يقاتل المعارضة اليسارية مقلداً البيروقراطية الستالينية لكي يكسب ودها . إنه ، في الواقع ، يقول للستالينيين : امنحوني بركاتكم ، وقبل كل شيء مساعداتكم المالية ، وأعدكم بمحاربة البلاشفة اللينينيين ، ليس مرغماً ، بل بكل إخلاص .

إن النشاط التوحيدي لمورين ليس إلا شكلاً من ابتزاز الستالينيين . وإذا سكتنا على ذلك فلن نكون ثوريين بل شركاء صامتين للابتزاز السياسي . يجب أن ندين دور مورين بلا رحمة ، يعني شعوذته « التوحيدية » دون أن نقلل ، لحظة واحدة ، من نضالنا من أجل وحدة حقيقية للصفوف الشيوعية ودون أن نضعف نضالنا من أجل كسب صفوف الشيوعيين إلى رايتنا .

يجب أن يتركز الآن تسعة أعشار عمل المعارضة اليسارية العالمية على إسبانيا . ويجب توفير كل النفقات الأخرى لصالح إصدار مجلة أسبوعية إسبانية بإصدار منتظم في كاتالونيا . وفي نفس الوقت ، إصدار كراسات بكميات كبيرة . يجب أن نفكر في حدّ كل المصروفات دون استثناء من أجل إرسال أكبر مساعدة ممكنة للمعارضة الإسبانية .

كما يجب أن تكرس السكرتاريا العالمية ، برأيي ، تسعة أعشار قواها لمسائل الثورة الإسبانية . ويجب أن ننسى ببساطة ، واقع وجود كل أمثال لاندو في العالم . ويجب أن ندير ظهرنا لكل المشاحنات والمؤامرات والمتآمرين دون أن نضيع لحظة واحدة عليها أو عليهم .

إن الثورة الإسبانية هي في أمر اليوم ، ولا بد من ترجمة أهم الوثائق دونما تأخير وإخضاعها للنقد اللازم . ويجب أن يكرس العدد التالي من « النشرة الأممية » International Bulletin للثورة الإسبانية . ومن الضروري ، على قدم المساواة ، اتخاذ سلسلة من الإجراءات التنظيمية . ونحتاج من أجل ذلك إلى مصادر مادية وبشرية

يجب أن نجدهما كليهما .

لا يوجد ولا يمكن أن يوجد جريمة أكبر من جريمة تضييع الوقت .

27 ـ المسألة القومية في كاتالونيا .

13 تموز 1931

مرة أخرى حول موضوع القضايا الملحة للثورة الإسبانية .

1 ـ إن مورين ، « قائد » حلف العمال والفلاحين ، يشارك الانفصالية وجهة نظرها . فقد تصالح ، بعد بعض الترددات ، مع الجناح اليساري للنزعة القومية الصغيرة . وقد كتبت من قبل ، أن النزعة البورجوازية الصغيرة الكاتالونية ، في المرحلة الحاضرة ، تقدمية بشرط واحد فقط : أن يتطور نشاطها خارج صفوف الشيوعيين وأن تبقى دائماً تحت ضربات النقد الشيوعي . أما أن نسمح للنزعة القومية البورجوازية الصغيرة بأن تتنكر تحت راية الشيوعية ، يعني ، في نفس الوقت ، أن نوجه ضربة خائنة لطليعة البروليتاريا وأن ندمر المغزى التقدمي للنزعة القومية البورجوازية الصغيرة .

2 ـ ماذا يعني برنامج الانفصالية ؟ إنه يعني تفتيت إسبانيا اقتصادياً وسياسياً ، أو ، بكلام آخر ، تحويل شبه الجزيرة الايبيرية إلى نوع من شبه جزيرة بلقانية بدول مستقلة مقسمة بحدود جمركية وبجيوش مستقلة تشن حروباً إسبانية مستقلة . بالطبع ، سيقول الحكيم مورين أنه لا يريد هذا . ولكن للبرامج منطقها ، الشيء الذي يفتقده هو .

3 ـ هل من مصلحة العمال والفلاحين من مختلف الأحزاب تفتيت إسبانيا اقتصادياً ؟ كلا ، على الإطلاق . لذلك فإن مماثلة النضال الحازم من أجل حق تقرير المصير مع الدعاية الانفصالية يعني القيام بمهمة قاتلة . إن برنامجنا يدعم فيدرالية إسبانيا مع الحفاظ الأكيد على الوحدة الاقتصادية ، وليس لدينا النية في فرض هذا البرنامج على القوميات المضطهَدة في إسبانيا بمساعدة أسلحة البورجوازية . بهذا المعنى نحن مع حق تقرير المصير بكل إخلاص . وإذا انفصلت كاتالونيا فعلى الأقلية الشيوعية فيها ، كما في

إسبانيا ، أن تناضل من أجل الفيدرالية .

4 ـ سبق أن طرحت الاشتراكية الديموقراطية لما قبل الحرب ، في البلقان ، شعار فيدرالية بلقانية ديموقراطية ، كمخرج من الفوضى التي خلفتها الدول المنفصلة . والآن الشعار الشيوعي في البلقان هو فيدرالية بلقانية سوفياتية (بالمناسبة ، تبنى الكومنترن شعار فيدرالية بلقانية سوفياتية لكنه ، في نفس الوقت ، رفض هذا الشعار لأوروبا !) كيف لنا ، تحت هذه الظروف ، أن نتبنى شعار بلقنة شبه الجزيرة الايبيرية ؟ أليس ذلك فظيعاً ؟

5 ـ يصرح السنديكاليون ، أو بعض قادتهم على الأقل ، بأنهم سيقاتلون ضد الانفصالية ولو بالسلاح . في هذه الحالة ، سيجد الشيوعيون والسنديكاليون أنفسهم على طرفي نقيض ، لأن الشيوعيين ، دون أن يشاركوا الأوهام الانفصالية ، بل على العكس ، وهم ينتقدونها يجب أن يقفوا بثبات ضد جزاري الامبريالية وأتباعهم السنديكاليين .

6 ـ وإذا نجحت البورجوازية الصغيرة ـ رغماً عن نصائح الشيوعيين ونقدهم ـ في تفتيت إسبانيا فلن يطول الوقت حتى تظهر النتائج السلبية لهكذا نظام . وسيصل العمال والفلاحون من مختلف أقسام إسبانيا إلى هذا الاستنتاج بسرعة : نعم ، لقد كان الشيوعيون على حق . لكن هذا يعني بالتحديد أن علينا أن لا نتحمل جزءاً من المسؤولية عن برنامج مورين .

7 ـ يأمل موناتMonatteبأن ينشىء السنديكاليون دولة (سنديكالية) جديدة . إن أصدقاء مونات يعملون ، بدلاً من ذلك ، على دمج أنفسهم ، بنجاح ، في الدولة البورجوازية . إنها قصة الدجاجة التعيسة التي تجلس على بيض البطة . من المهم جداً اليوم أن نتابع كل ما يقوله وما يفعله السنديكاليون الإسبان ، فهذا سيفتح إمكانيات للمعارضة اليسارية في فرنسا لتوجيه ضربة قاسية للفوضوية السنديكالية في فرنسا . لا يمكن للمرء أن يشك لحظة واحدة في أن الفوضويين السنديكاليين ، في ظل الظروف الثورية ، سيفقدون مكانتهم لدى كل خطوة يخطونها .

إن الفكرة اللامعة للسنديكاليين هي في السيطرة على الكورتس بدون المشاركة

فيه ! أما استخدام العنف الثوري والنضال من أجل السلطة والاستيلاء عليها ، فكلها أمور غير مسموحة . إنهم ينصحون بدلاً من ذلك ، بـ (السيطرة) على البورجوازية وهي في السلطة . صورة رائعة : البورجوازية تفطر وتتغدى وتتعشى والبروليتاريا ، بقيادة السنديكاليين ، (تسيطر) على هذه العمليات بمعدة خاوية .

28 ـ أإنعطاف للستالينيين ؟

30 تموز 1931

لقد قامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسباني بانعطاف في سياستها ، وفق معلومات الرفيق ن .

ويبدو من كلام الرفيق ن . أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسباني ، وهي تستعيد رسمياً شعار « الديكتاتورية الديموقراطية » ، قد غيّرت سياستها بشكل حاسم في نقطتين . أولاً : اتخذت طريق النضال من أجل الشعارات الديموقراطية ، ثانياً : إنها جاهزة لتطبيق سياسة الجبهة الموحدة .

إننا هنا أمام انتصار أكيد وواضح للمعارضة اليسارية ، أما مدى جدية وانعطاف الستالينيين الإسبان ، فهذا أمر آخر . وعلاوة على ذلك ، فإن الإجابة على هذا يتوقف إلى درجة كبيرة على سياستنا . ولكن ، على أية حال ، فإن حقيقة الانعطاف نتيجة مباشرة لنقد المعارضة اليسارية . . . إن مجموعة المعارضة اليسارية هي المجموعة التقدمية الوحيدة داخل الشيوعية . . . وعلى نجاحاتها تعتمد نجاحات الشيوعية ، وتحديداً نجاحات الثورة الإسبانية .

لكن كيف ستكون استجابتنا لانعطاف الستالينيين الإسبان ؟ لنا في هذا الصدد تجربة هامة ، بالرغم من أنها ، حقاً ، تجربة أخطاء بشكل أساسي . فعندما قرر الستالينيون الفرنسيون ، بتأثير من نقدنا إلى حد بعيد ، الانسحاب من السياسة الغريبة Fantasticلـ « المرحلة الثالثة » ، صرحت القيادة القديمة للعصبة ، مسبقاً ، أن المغامرية تخلي المكان للانتهازية وأن على المعارضة اليسارية أن تمضي في طريقها كأن شيئاً

لم يكن[35] . وقد انتقدنا ، آنئذ ،هذه السياسة الشكلية فاقدة الحياة ، التي كان من نتيجتها أن ضيّعت فرصة مناسبة إلى أقصى حد للاقتراب من اللّب البروليتاري للحزب . دعونا نأمل أن لا يتكرر الخطأ .

يؤكد الرفيق ن ،في رسالة مقتضبة ، على حقيقتين لهما مغزى هام بشكل استثنائي لسياسة المعارضة اليسارية الإسبانية في الفترة الحالية : لقد اتخذ الحزب الرسمي ، أو أعلن ، على أية حال ، سلسلة من الخطوات باتجاه البلاشفة اللينينيين ، ومن جهة أخرى ، تغوص قيادة الاتحاد الكاتالوني أعمق فأعمق في تشوش الانتهازية والنزعة القومية البورجوازية الصغيرة . وقد فعل الحزب الرسمي ، حتى الآن ، كل ما بوسعه ليماثل المعارضة اليسارية مع أخطاء مورين الشنيعة . وها تتاح لنا الفرص الآن لتبديد كل سوء فهم .

يجب أن تحلل المعارضة اليسارية انعطاف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسباني تحليلاً جدياً ، دونما سذاجة بسيطة ، ولكن أيضاً دونما مستتبعات عصبوية . يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ونعلن بوضوح كل ما توصلنا إليه ، ويجب أن نحدد الاختلافات حيثما بقيت ، دون ليونة أو زخرفة .

وكلما كانت استجابة المعارضة اليسارية بالاقتراب من الحزب أسرع وأكثر صرامة ، كلما كان ذلك أنفع للمعارضة اليسارية وللحزب وللثورة الإسبانية .

29 ـ دور الإضرابات في الثورة .

12 آب 1931

هدف هذه الرسالة هو تبادل وجهات نظرنا بمناسبة موجة الإضرابات العنيفة في إسبانيا[36] . أشرت في كراسي الثاني عن الثورة الإسبانية (الثورة الإسبانية في خطر) إلى حد آفاق التطور الممكنة : أن تتطور الحركة الثورية بعنف دون قيادة سليمة وتنتهي بانفجار قد تستغله القوى المضادة للثورة لكي تسحق البروليتاريا . وكما أشرنا في الكراس ، لا يعني هذا الاحتمال ، أن على الشيوعيين أن يكبحوا الحركة الثورية .

ولا أشك في أننا لا نختلف في ذلك ، لكن أود أن أحلل هذه المسألة بشمول أكبر ، فقد يصبح لها أهمية سياسية فائقة .

من الضروري ، قبل كل شيء ، أن نبين أن هذا الانفجار الأولي العنيف من الإضرابات هو نتيجة طبيعة الثورة نفسها ، فهو بمعنى ما قاعدتها . إن الغالبية الساحقة من البروليتاريا الإسبانية لا تعرف ماذا يعني التنظيم .فقد نشأ خلال فترة الديكتاتورية ، جيل جديد من العمال يفتقد للتجربة السياسية المستقلة . إن الثورة توقظ ـ وفي هذا تكمن قوتها ـ أكثر الجماهير الكادحة تخلفاً وانسحاقاً واضطهاداً . والإضراب هو شكل استيقاظها . فبالإضراب تعلن مختلف شرائح ومجموعات البروليتاريا عن نفسها ، تحرض إحداها الأخرى ، وتختبر قوتها وقوة عدوها . شريحة تستيقظ وتعدي الأخرى . وكل هذا مجتمعاً يجعل من موجة الإضرابات الحالية أمراً لا بد منه . إن أقل من يخاف من هكذا موجة هم الشيوعيون ، ذلك أنها التعبير الأكيد عن القوة الخلاقة للثورة . فعبر هذه الإضرابات فقط ، بكل أخطائها وكل « تجاوزاتها » و « مبالغاتها » تقف البروليتاريا على قدميها وتتوحد وتبدأ تشعر وتقتنع بنفسها كطبقة ، كقوة تاريخية حية . لم تتطور ثورة قط وفق عصا القائد . إن التجاوزات والأخطاء والتضحيات هي مَن صميم أي ثورة .

لو قال الحزب الشيوعي للعمال : « لا أزال ضعيفاً على قيادتكم ،لذلك انتظروا قليلاً ، لا تستعجلوا كثيراً ، لا تبدأوا القتال بالإضرابات ، أعطوني فرصة كي أزداد قوة » . لجعل من نفسه مسخرة لا أمل فيها ، ولتجاوزته الجماهير المستيقظة وبدلاً من أن يزداد قوة لما ازداد إلا ضعفاً .

حتى لو تمكنت من التنبؤ بالخطر التاريخي بشكل صحيح ، فإن ذلك لا يعني أنك قد تستطيع أن تلغيه بمجرد المحاكمة العقلية . إذ لا يمكن إلغاء الخطر إلا بامتلاك القوة الضرورية ، وعلى الحزب الشيوعي ، كي يكون هكذا قوة ، أن يدخل ، بكل عزيمته ، ميدان الحركة الإضرابية « البدائية » أو نصف البدائية التي تتطور ، ليس لكي يكبحها بل لكي يتعلم كيف يوجهها وكيف يناضل في سياقها ويحوز على السلطة والقوة .

سيكون من الخطأ أن نعتقد أن الحركة الحالية قامت بتحريض من الفوضويين

السنديكاليين . فهؤلاء الأخيرين أنفسهم يتعرضون لضغط لا يقاوم من تحت . وبود المجموعة القائدة للنوى السنديكالية تبطيء الحركة . فالأشخاص مثل بستانا لا بد أنهم يتفاوضون خلف الستائر مع المستخدمين والإدارة حول أفضل السبل لتصفية الإضرابات . وسيثبت الغد أن الكثيرين من هؤلاء سيكونون جزاري العمال وأنهم سيعظون ، كالمناشفة الروس ، ضد (حمى الإضراب) وهم يطلقون النار على العمال .

لا ريب أن التمايز سيجري على طول هذا الخط بين الفوضويين السنديكاليين . فسيجد الجناح الأكثر ثورية نفسه ، كلما مضى أبعد ، في صراع مع السنديكاليين الإصلاحيين . ومن هذا الجناح سينبثق ، لا محالة ، عصيانيو الجناح اليساري ، والمغامرون البطوليون والإرهابيون الأفراد وغيرهم .

ولا حاجة للقول بأننا لا نستطيع تشجيع أي نوع من المغامرية . لكن يجب أن نؤكد مقدماً أن الجناح السنديكالي الثوري اليساري سيكون أقرب إلينا من الجناح اليميني الذي يناهض الإضرابات . وسيكون التغلب على كل أنواع العناصر المغامرة أسهل ، كلما اقتنع السنديكاليون الثوريون ، بصورة أسرع ، أن الشيوعيين مناضلون وليسوا تبريريين Rationalizers

يجري اتهام سياسة الحزب الرسمي بالمغامرة في مجال الإضرابات . ولا أستطيع شخصياً ، الحكم في ذلك نظراً لنقص المعلومات لدي . يقود الموقف العام للحزب في الفترة السابقة للاعتقاد بأن هذه التهمة قد تكون مبررة . لكن لهذا السبب بالضبط ، ثمة خطر من أن يقوم الحزب ، بعد أن أحرق أصابعه ، بانعطاف مفاجيء نحو اليمين . والطامة الكبرى ستكون إذا توصل العمال إلى أن الشيوعيين ، كالسنديكاليين أمثال بستانا بالضبط ، يودون توجيه الأوامر إليهم بشكل دوغمائي ، من القمة نزولاً ، وليس النهوض معهم من القعر صعوداً .

باختصار ، يبقى خطر أيام حزيران ، بلا شك ، الخطر الأعظم المنظور ، لكن الخطر الأكثر مباشرة بالنسبة للشيوعيين قد يصبح الجدل المجرد ، (محاولة التذاكي) ، والتحلق النظري الذي سيعتبره العمال نعيباً مشؤوماً .

لا يجب أن تنسى المعارضة اليسارية للحظة واحدة أن الأخطار التي تنهض في

30 ـ المزيد حول السوفييتات ومناقشة (البلقنة) .

1 أيلول 1931

تلقيت رسالتك المؤرخة في 25 آب ، أنت تتساءل : هل يجب أن ندعوا العمال للانضمام إلى الحزب أم إلى الاتحاد ؟ الظروف المحلية في صالح الاتحاد ، والظروف الإسبانية في صالح الحزب .

من الصعب حل هذه المسألة من الزاوية العملية ، أعني من زاوية علاقة القوى في اللحظة المعينة ، لكن يبدو لي أن لموقفنا المبدئي أهمية حاسمة بالفعل : نحن نعلن أننا كتلةFaction من حزب ، كتلة من الكومنترن ، والصراع الأساسي ضدنا يجري على أساس أننا (أعداء) للاتحاد السوفياتي وللكومنترن . وحتى مورين يعتاش على فتات هذه المائدة .

إذا دعونا العمال للانضمام إلى الاتحاد ، فسنسيء لأنفسنا في بقية إسبانيا وفي العالم . هل سنكسب أي شيء في كاتالونيا ؟ إذا تمعنا في النتائج الحالية لتعاوننا مع الاتحاد ، فسنجد أنها تجلب لنا من الأضرار أكثر مما تجلب من الفائدة . فكل صحافة الكومنترن ، وخصوصاً البرافدا ، حمّلتنا مسؤولية التشوش الانتهازي لمورين . ومقالات الرفيق ميلMill في (الحقيقةLa Verite') تساهم أيضاً في هذا إلى حد بعيد[37] . وقد أنجبرنا ، بالرغم من هذا التعاون ، على القطع مع الاتحاد وغادرناه خالي الوفاض تقريباً . بكلام آخر : لقد أضعفتنا تجربة التعاون مع الاتحاد في كل إسبانيا ، كما أنها أضعفتنا عالمياً دون أن تساعدنا شيئاً في كاتالونيا .

لقد آن الأوان لنعدل الميزان . علينا ، باعتقادي ، أن نقوم بانعطاف سياسي سريع . تجنب أن نُخلط مع مورين أكثر من ذلك ، الخلط الذي كان في صالحه ضد مصالحنا .

إن أسلم إجراء هو أن ندعو العمال للانضمام إلى الكتلة الشيوعية اليسارية وبنائها

والمطالبة بقبولها في الحزب . لكن هذه السياسة تتطلب مركزاً رسمياً ، مهما يكن صغيراً ، للمعارضة اليسارية في كاتالونيا . وقد ألححت على هذا ، إذا كنت تذكر ، منذ اليوم الأول لوصولك إلى برشلونة ، لكن بدون نجاح للأسف . وإلى الآن لا أرى طريقاً آخر . . .

لقد رفع مورين شعار« **كل السلطة للبروليتاريا** »و وأعتقد أنك محق تماماً في إشارتك إلى أنه اختار هذا النوع من الشعارات كجسر له مع السنديكاليين وليعطي مظهراً من القوة أكبر مما يمتلك فعلياً . وللأسف ، فإن ملاحقة المظاهر فعالة جداً في السياسة ، ومدمرة جداً في السياسة الثورية .

أتساءل أحياناً لماذا لا يوجد سوفييتات في إسبانيا ؟ ما سبب ذلك ؟

في شعار السوفييتات .

عبّرت في رسالة سابقة ، عن عدة أفكار بهذا الخصوص . وطوّرت هذه الأفكار باستفاضة أكثر في رسالة أرسلتها لك بصدد السيطرة العمالية في ألمانيا[38] . يبدو أن شعاره« الجنتات » يرتبط بأذهان العمال الإسبان بشعار السوفييتات ، ولهذا السبب يبدو لهم حاداً جداً وحاسماً جداً و « روسياً » جداً . أي أنهم ينظرون إليه خلاف ما نظر إليه العمال الروس في المرحلة الموافقة . ألسنا هنا أمام مفارقة تاريخية في أن وجود السوفييتات في الاتحاد السوفياتي يعمل على شلّ نشوء سوفييتات في البلدان الثورية الأخرى ؟

يجب أن تولى هذه القضية انتباهاً فائقاً في المحادثات الخاصة مع العمال في مختلف أقسام البلاد . وعلى كل حال ، إذا فشل شعار السوفييتات (الجنتات) ، حتى الآن ، في أن يلقى التجاوب ،فعلينا ، إذن ، أن نركز على شعار لجان المصانع . وقد تناولت هذا الموضوع في المقال المذكور آنفاً بصدد السيطرة العمالية . ونستطيع على أساس لجان المصانع ، أن نطور تنظيم سوفياتي دون الإشارة إلى ذلك بالإسم :

سيطرة العمال

إنك ، برأيي ، محق تماماً في قضية سيطرة العمال ، فأن ننكر السيطرة العمالية لمجرد أن الإصلاحيين يؤيدونه ـ كلاماً ـ يعني حماقة كبيرة . على العكس من ذلك ، فلهذا السبب تحديداً يجب أن نتمسك بهذا الشعار بحماس أكبر ونرغم العمال الإصلاحيين على ممارسته بسبل الجبهة الموحدة معنا ، وندفعهم ، على أساس هذه التجربة ، إلى معارضة كاباليرو وغيره من الزائفين[39] .

لقد نجحنا في خلق السوفييتات في روسيا ، فقط ، لأن المطالبة بذلك لم تكن قط من قبلنا وحدنا ، لكن من قبل المناشفة والاشتراكيين الثوريين أيضاً . رغم أنه كان لهم ، بالتأكيد في أذهانهم أهداف مغايرة ، ولا نستطيع إنشاء سوفييتات في إسبانيا بالتحديد لأن الاشتراكيين وكذلك السنديكاليين لا يريدونها ، الشيء الذي يعني أن الجبهة الموحدة ، والوحدة التنظيمية مع غالبية الطبقة العاملة ، لا يمكن خلقها تحت هذا الشعار .

لكن ، هاهو كاباليرو نفسه ينجر ، تحت ضغط الجماهير ، إلى التمسك بشعار سيطرة العمال فاتحاً بذلك الباب واسعاً لسياسة الجبهة الموحدة ولتشكيل تنظيم يضم غالبية الطبقة العاملة . يجب أن نقبض على هذا بكلتا يدينا . سيحاول كاباليرو ، بالتأكيد ، تحويل سيطرة العمال إلى سيطرة الرأسمالية على العمال . لكن ذلك يتعلق بموضوع آخر هو علاقة القوى داخل الطبقة العاملة . إذا تمكنا من خلق لجان مصانع في كل البلاد ، عندئذ ، سيكون القادة كاباليرو وزملاؤه قد خسروا المعركة الحاسمة في هذه الحقبة الثورية التي نشهد .

الحركة الانفصالية والفيدرالية السوفياتية الايبيرية .

تصف كيف يمكن للمرء أن يساعد ، دون قصد ، الليبرالية

المدريديةMadrilenianبإعلانه أن بلقنة شبه الجزيرة الايبيرية لا تتفق مع أهداف البروليتاريا ، دون أن يتوسع أكثر في إعلانه هذا . إنك محق تماماً . وإذا لم أشدد على هذا بما فيه الكفاية في رسالتي السابقة (مورين والمسألة القومية) فأنا مستعد الآن لعمل ذلك عشر مرات .

إن المماثلة بين شبهي الجزيرتين تحتاج ، فعلاً ، إلى إكمال . مضى وقت حيث كانت شبه الجزيرة البلقانية موحدة تحت سيطرة الفئة الحاكمة التركية والعسكريين والمندوبين الأتراك . وتاق الشعب المقموع لإسقاط قامعيه . ولو تعارضت معارضتنا لتقسيم شبه الجزيرة مع هذه الطموحات ، لكنّا نعمل أتباعاً للباشوات و (البهوات) الأتراك . ونحن نعلم ، من جهة أخرى ، أن شعوب البلقان ، بعد تحريرها من النير التركي ،في صراع بين بعضها منذ عقود ، وفي هذه المسألة أيضاً ، بإمكان طليعة البروليتاريا تطبيق فكرة الثورة الدائمة : التحرر من النير الامبريالي ، وهو النصر الأهم في الثورة الديموقراطية ، يقود مباشرة إلى اتحاد الجمهوريات السوفياتية كشكل لدولة ثورة البروليتاريا .فنحن ، دون أن نعارض الثورة الديموقـراطية بـل ، على العكس ،ندعمها بالكامل ، حتى بشكل الانفصال (أي ندعم النضال وليس الأوهام) ، ندخل ، في نفس الوقت ، الثورة الديموقراطية بموقفنا المستقل ، ننصح ونوصي ونشجّع فكرة الاتحاد السوفياتي لشبه الجزيرة الايبيرية كجزء تأسيسي من الولايات المتحدة الأوروبية . بهذا الشكل فقط يكتمل فهمي . ومن نافل القول ، إنّ في مدريد وفي إسبانيا عموماً ، أن يكونوا متعقلين جداً بشكل خاص فيما يتعلق بمناقشة البلقنة .

31 ـ أكتلة ضيقة أو واسعة ؟

27 أيلول 1931

الصديق العزيز

أود ، قبل كل شيء ، أن أستوضح المسألة الخلافية في المعارضة اليسارية : أكتلة

ضيقة أم واسعة ؟ لقد تلقيت رأيك ورأي الرفيق لاكروكس في هذا الموضوع . ولم يقدم الرفيق م . (مولينير) بعد ، الموضوع الذي وعد به[40] .

يجب أن أعترف أن أسس هذا الخلاف غير واضحة لي . البارحة ، كما أستطيع أن أرى من رسالتك ، تم طرح المسألة بخصوص كاتالونيا بالطريقة التالية : أيجب علينا دعوة العمال للدخول إلى الحزب الشيوعي الرسمي أم إلى الاتحاد الكاتالوني ؟ ويبدو من رسالتك الأخيرة أن الاتحاد الكاتالوني يطرد المعارضة اليسارية من صفوفه ، أي أنه يتصرف بأسلوب الحزب . إن هذه الواقعة منطقية تماماً بذاتها . فالجناح اليميني والوسطيون يظهرون نفس العداوة باتجاه البلاشفة اللينينيين في كل البلدان بدءاً بالاتحاد السوفياتي . وسيكون غريباً أن تكون إسبانيا استثناء من هذا . على العكس من ذلك . فنظراً للوضع الثوري في إسبانيا ، تصل كل العمليات السياسية (بما فيها الأخطاء) إلى غايتها المنطقية بسرعة فائقة .

لكن ألا زال ممكناً للمعارضة اليسارية أن تدعوا العمال ، بجد ، لدخول الاتحاد الكاتالوني ؟ لا أستطيع فهم ذلك ! بإمكاننا ، بالتأكيد ، محاولة خلق نواتات في اتحاد كاتالونيا بهدف تجنيد الحد الأقصى من الأتباع في حالة الانهيار المؤكد لتنظيم مورين . بإمكاننا إرسال رفاق أفراد إلى الاتحاد لهذا الغرض . لكن هل بإمكاننا أن ندعو ، صراحة ، العمال اللا حزبيين لدخول الاتحاد ؟ كلا ، بالمطلق ، سيكون ذلك أفدح خطأ ، وهو لن يضعف المعارضة اليسارية فقط بل وسيشينها .

تنطرح قضية الحزب ، رسمياً ، بشكل مغاير ، على اعتبار أننا لم نتخل عن فكرة كسب الكومنترن ، بالتالي كل فرع من فروعه . بدا لي دائماً أن العديد من رفاقنا يستخفون بإمكانيات تطور الحزب الشيوعي الرسمي . وقد كتبت لك عن ذلك مراراً . إن تجاهل الحزب الرسمي ككم مهمل وإدارة الظهر له غلط كبير كما يبدو لي . على العكس ، علينا ، بخصوص الحزب الرسمي ، أن نتخذ طريق توحيد الصفوف . ومع ذلك ، فإن هذه المهمة ليست بسيطة . فطالما نحن كتلة ضعيفة لن يمكننا إنجاز هذه المهمة . وليس بمقدورنا إنتاج مَيل باتجاه الوحدة داخل الحزب الرسمي . إلا عندما نصبح قوة هامة .

يرد خصوم « الكتلة الواسعة » على هذا : ولكن إذا جمعنا العمال حولنا ، فإننا نحول أنفسنا آلياً إلى حزب ثان . ولا بد أن أعترف أن هذه الحجة تدهشني . فإذا كان علينا أن نحاكم بهذه الطريقة ، يجب أن يختفي البلاشفة اللينينيون إجمالاً عن وجه الدنيا ، لكي نتجنب خطر حزب ثان ، وهذا بالضبط ما يريده الستالينيون . إن المالتوسية السياسية هي أكثر أنواع المالتوسية لا طبيعية . فلا يمكن لأي تيار سياسي يثق بقواه إلا أن يتطلع إلى توحيد أكبر قسم ممكن من الجماهير حوله . . من الممكن التوصل إلى الحزب عبر طرق مختلفة . إذا أصبحت المعارضة اليسارية أقوى من الحزب الرسمي الحالي ، فسيزودنا بإمكانية النضال من أجل وحدة الصفوف الشيوعية ، بفعالية أكبر بمئة مرة من الوقت الحالي حيث لا تزال المعارضة ضعيفة أليس هذا واضحاً ؟

لكن أنصار « الكتلة الضيقة » سيجيبون ، إن المعارضة اليسارية لا تستطيع أن تضم إلى صفوفها سوى الأتباع الواعين . أحقاً ! لكن ألا يصح الشيء نفسه بالنسبة للحزب ؟ الأمر كله يختصر إلى التالي : لا يجب أن تجذب المعارضة اليسارية عمالاً جدداً . كلا ، عليها أن تشير إليهم إلى صفوف الحزب ، حيث يتعلمون أن التروتسكيين « أعداء للثورة » عندئذ ، وعندئذ فقط ، يكون للمعارضة الحق في تبديد وهم هؤلاء العمال وإعادة تربيتهم وتخليصهم من الافتراءات الستالينية المعدية . حقاً ، لا أستطيع فهم هكذا آلية معقدة .

نمو ومنظور المعارضة .

يبدو لي أنه ليس من حق المعارضة بل ومن واجبها أن تجمع حولها كل من يجيء إليها ويستجيب لدعواتها وكل من تستطيع أن تصل إليه . وسيكونون في البداية ، طبعاً ، بعيدين عن كونهم بلاشفة لينينيين مقتنعين وجادين . ولكن من شأن هذا فقط أن يفرض علينا ضرورة الانشغال جدياً بتثقيف أتباعنا . وسيكون في إطار هذا التثقيف أيضاً مسألة لماذا نحن مع حزب واحد ولماذا الستالينيون مع حزبين . وإذا تبين أن التدفق تجاهنا عاصف) (الشيء الذي لا نخاف) يمكننا عندئذ تشكيل حلقة من

المتعاطفين . وسيكون من الضروري أن نوضح ، في هذه الحلقة من المتعاطفين ، الاختلاف بين اللينينية والوسطية ، ولدى وصول الحلقة إلى مستوى معين تحت توجيهنا ، يمكنها أن تدعوا ممثلين من الحزب الرسمي لعرض آرائهم أمامها . وسينشأ على هذه الأسس نقاش بين أتباعنا والستالينيين . إن هذا وحده سيؤدي إلى تصالح جدي بين المعارضة اليسارية والحزب وسيخلق ممراً باتجاه الحزب الموحد ، أكثر ضماناً من الاجراءات المالتوسية ضد التوالد .

ستصبح المعارضة اليسارية فئة مغلقة إذا توصلت إلى أن مهمتها هي فقط **نقد** أفعال الحزب الرسمي والمنظمات الجماهيرية للبروليتاريا . إن الثورة الإسبانية واقع ، وقد ضاع الكثير الكثير من الوقت دون كل هذا ، بما فيه الوقت الذي ضيعته المعارضة اليسارية . ولن يكون في مقدورنا السنة القادمة ، بمجرد اللعب باصابعنا ، إنتاج الوضع الثوري الذي تمر به اليوم . إن بمقدور المعارضة أن تنمو في إسبانيا تحديداً في غضون فترة قصيرة إلى قوة كبيرة لكن الشرط الأول لذلك هو أن لا نخاف من أن نصبح قوة بل أن نناضل من أجل ذلك .

هذا كل ما استطيع قوله الآن في المسألة الخلافية على أساس معلومات ناقصة ، وسأكون سعيداً أن أتلقى معلومات إضافية .

32 ـ تحية لـ السوفييت **El Soviet**

92 أيلول 1931

الأصدقاء الأعزاء :

إنكم تستعدون لإصدار مجلة أسبوعية ، وهذه خطوة جادة إلى الأمام . آمل أن خطوات أخرى ستلي بسرعة خطوتكم هذه .

تنقسم الشيوعية في إسبانيا ، كما في كل مكان ، إلى ثلاثه أقسام ، الجناح اليميني ، الوسط ، الجناح اليساري ، ويمثل الجناح اليميني تركيباً من الشيوعية والاشتراكية الديموقراطية والتريديونيوية والسنديكالية وفقاً للظروف القومية . وفي

إسبانيا ، كما في غيرها من البلدان ، يقع التمثيل الرسمي للكومنترن في أيدي الوسطيين ، أي في أيدي أناس يتذبذبون بين الماركسية الثورية ومختلف تعابير الانتهازية(الشيوعية)

وتكمن قوة الوسطية في الكومنترن في واقع أنها تدعم نفسها بسلطة الدولة في الاتحاد السوفياتي . فالوسطية ، في ظل الظروف الحاضرة ، ليست فقط تياراً أيديولوجياً ، ليست فقط كتلة ، بل جهاز دولة بيروقراطي قوي أيضاً .

لقد أحدثت الوسطية بممارستها سياسة متناقضة ومشوشة ولا مبالية ، وبامتلاكها ليس فقط السلطة بل والمصادر المادية للكومنترن ، تخريباً فظيعاً في الطليعة العالمية للبروليتاريا ، وقادت ، حتى الآن ، العديد من الثورات إلى الكارثة .

وقد تبين في إسبانيا ، وبفعل خطيئة البيروقراطية الوسطية ، أن الحزب الشيوعي قوة بالغة الضعف في بداية الثورة . فالبيروقراطية الستالينية ، في نفس الوقت الذي تفرض على الفروع القومية سياسة خاطئة ، لا تسمح بأي نقد ، معيقة بذلك تثقيف طليعةالبروليتاريا ومانعة من تشكل حزب شيوعي قوي وواثق بنفسه . ذلك هو الخطر الأساسي الذي يتهدد الثورة الإسبانية التي تتطور بقوة أمام أعيننا .

لقد تأكد الموقف المبدئي للبلاشفة اللينينيين (المعارضة اليسارية) بفعل التطورات العالمية الكبيرة ، وبشكل خاص بفعل تقدم الثورة الإسبانية . ويعمل الحزب الشيوعي الرسمي ، المأخوذ على حين غرة لدى كل خطوة من تقدم الثورة ، على تصحيح أخطائه بأجزاء صغيرة ومتكئاً على نقدناومستفيداً من خطنا المبدئي ، لأن الوسطية بذاتها فارغة وعقيمة . لكن الموقف المبدئي الصحيح ليس كافياً بالنسبة للبلاشفة اللينينيين ، فمن الضروري تطبيقه على الأحداث اليومية بشكل محدد . فالاستراتيجية الثورية تتطلب تكتيكاً موافقاً .

إن أهمية المجلة الأسبوعية تكمن في أنها تضع المعارضة اليسارية وجهاً لوجه مع كل الأحداث الجارية وترغمها على إعطاء ردها النضالي المباشر عليها ، إن المعارضة اليسارية ترتفع إلى مرحلة أعلى بإنشائها المجلة الأسبوعية .

ولا يمكن للبروليتاريا ، خصوصاً في مرحلة الإضطرابات العنيفة ، أن تتجمع إلا

على أساس موقف ثوري متماسك . وتلك هي مهمتكم التاريخية أيها البلاشفة اللينينيون الإسبان . يجب أن يتردد صوتكم في كل أقسام البلاد وكل اللقاءات الجماهيرية . إن مهماتكم تدعو للفخر . الثورة لا تنتظر . والويل لمن يتخلف ! آمل من كل قلبي أن لا تتخلفوا !

33 ـ أزمة القيادة في إسبانيا .

26 تشرين الثاني 1931

1 ـ لقد خلقت الثورة الإسبانية المقدمات السياسية العامة من أجل صراع البروليتاريا المباشرة على السلطة . وقد تبين أن التقاليد السنديكالية للبروليتاريا الإسبانية أحد أهم العوائق في سبيل تطور الثورة .

لقد تفاجأ الكومنترن بالأحداث ، وشغل الحزب الشيوعي ، الذي كان عاجزاً كلياً في بداية الثورة ، موقفاً خاطئاً في كل المسائل الأساسية . وأثبتت التجربة الإسبانية ـ لنذكر ذلك مرة أخرى ـ أي أداة رهيبة لخلخلة الوعي الثوري للعمال التقدميين يمثل الكومنترن ! إن التأخر غير الطبيعي لطليعة البروليتاريا المتجرجرة وراء الأحداث ، والطابع المبعثر سياسياً للنضالات البطولية للجماهير العاملة ، والضمانات الفعلية للمنفعة المتبادلة بين الفوضوية السنديكالية والاشتراكية الديموقراطية ، هي الشروط الأساسية التي مكنت البورجوازية الجمهورية بالتحالف مع الاشتراكية الديموقراطية من تأسيس جهاز قمع ، وبتوجيهها الضربة تلو الأخرى للجماهير المتمردة ، من مركزة مقدار كبير من السلطة في يدي الحكومة .

بهذا المثال نرى أن الفاشية ليست ، على الإطلاق ، الطريق الوحيد للبورجوازية في صراعها ضدّ الجماهير الثورية . إن النظام القائم في إسبانيا اليوم يتّفق أكثر ما يتفق مع مفهوم حكومة كيرنسكية ، أي الحكومة (اليسارية) الأخيرة أو (بعد الأخيرة) ، التي يمكن للبورجوازية أن تشكلها في صراعها ضد الثورة . لكن هذا النوع من الحكومة لا يعني ، بالضرورة ، ضعفاً أو إنهاكاً . ففي غياب الحزب الثوري القوي

للبروليتاريا ، يمكن لتركيب من أنصاف الإصلاحيين ومن تعابير يسارية وإيماءات أكثر يسارية وانتقامات ، أن تبرهن على خدمة للبورجوازية أكثر فاعلية بكثير من الفاشية .

ولا حاجة للقول أن الثورة الإسبانية لم تنته بعد . إنها لم تحلّ بعد أكثر مهامها بدائية (المسألة الزراعية والقومية ومسألة الكنسية) ولا تزال بعيدة عن أن تكون استنفذت المصادر الثورية للجماهير الشعبية . وليس بمقدور البورجوازية أن تعطي أكثر مما أعطته حتى الآن . إن الوضع الداخلي الحالي في إسبانيا يمكن تشخيصه بأنه قبيل ثوري وليس أكثر من ذلك . ومن المحتمل أن يتخذ التطور الهجومي للثورة الإسبانية طابعاً أقلّ أو أكثر تطاولاً . وبذلك كما لو أن العملية التاريخية تفتح حساباً جديداً للشيوعية الإسبانية .

34 ـ موازنة الفرع الإسباني .

22 كانون الأول 1931

7 ـ لقد أحرز الفرع الإسباني بعض التقدُّم وأسس إتصالات تسمح له بالأمل بنجاحات جديدة ولكن من الواضح أن نجاحات المعارضة الإسبانية ، قياساً بالحركة الثورية العظيمة للجماهير الإسبانية ، صغيرة جداً . وهذا ، على كلٍّ حال ، عائد أولاً إلى عدم وجود المعارضة الإسبانية قبل الثورة ، لقد صاغت نفسها في نار الأحداث ، وفي هذه العملية ضاع وهدر الوقت في تجارب كانت لا جدواها واضحة مسبقاً (في كاتالونيا مثلاً) .

وقد تجلّى الضعف الحاد للمعارضة الإسبانية في بداية الثورة ، في أن رفاقنا الإسبان ، بغضِّ النظر عن الوضع الملائم بشكل إستثنائي في البلاد ، لم يستطيعوا ، إلا مؤخراً ، إصدار صحيفة أسبوعية ، فإما أن المساعدات الخارجية لم تكف أو أنها لم تصل في الوقت المناسب . وتم تعليق أسبوعية (السوفييت) في برشلونة . ولا بد من القول أن الأسباب التي تقدمها المعارضة الإسبانية لتعليقها ليست مقبولة نهائياً . فبدلاً من أن يقولوا : « ليست لدينا السبل ، نحن ضعفاء ، ساعدونا ! » يعلن الرفاق الإسبان بأنهم

لا يريدون الخضوع للرقابة . عندما لا يكون الثوريون في موقع يمكنهم من خلع الرقيب عليهم ،عندئذٍ أن يتأقلموا معه شرعيا ، من جهة ن وأن يقولوا كل ما هو ضروري قوله في الصحافة غير الشرعية من جهة أخرى . لكن لا يجب أن يختفوا عن الساحة بدعوى الرقابة وكرامتهم الثورية ،لأن ذلك يعني تنفيذ سياسة تزييفية وليس بلشفية .

لقد دخلت الثورة الآن فترة من التراخي تفصل المرحلة البورجوازية عن المرحلة البروليتارية . ولا يمكن التنبؤ بطول هذه الفترة ، وعلى كلٍّ حال ،فإن للمعارضة اليسارية الآن فرصة أن تعمل عملاً إستعدادياً أكثر تنظيماً وتخطيطاً . ولا بدَّ من تطوير الكوادر ، فلا مجال لتضييع الوقت . إن أحد أهم الأسلحة في هذا المجال هو المجلة النظرية الشهرية كومونيزموCommunismo يجب إنشاء نشرة جدية للنقاش الداخلي . ولا يمكن التفكير بتثقيف الكوادر على أساس قضايا البلاد وحدها ، وإذا كان الرفاق الإسبان قد كرَّسوا القليل من الوقت للقضايا العالمية في مجرى السنة الماضية ، فإن ذلك يعود ، ببساطة إلى يفاعة المعارضة والخطوة العنيفة للأحداث الثورية . وهو ما يفسِّر ، بلا شك ، لماذا كان تدخل المعارضة الإسبانية في القضايا العالمية متقطِّعاً جداً وذا طابع عرضي لم يكن ملائماً على الدوام .

35 ـ رسالة إلى كونفرس المعارضة اليسارية الإسبانية .

7 آذار 1932 .

الرفاق الأعزّاء :

إن حقيقة إنعقاد كونفرس للمعارضة اليسارية الإسبانية تمثِّل بذاتها إنجازاً لا ينكر ، أهنئّكم به بإخلاص .

إنني آسف بعمق للظروف التي منعتكم من نشر مشاريع المقررات في الوقت المناسب ،وبالتالي من إعطاء الرفاق الأجانب فرصة المشاركة في هذه التطويرات قبل الكونفرس ، ولهذا السبب ، وبغياب فرصة أن أعلن رأيي بشكل أكثر تحديداً في المسائل المدرجة على جدول أعمالكم ، أقصر نفسي على بضع ملاحظات ، ومن الممكن

أن تكون هذه الملاحظات نافلة نظراً لطابعها الأولي . وإذا كان الأمر كذلك فلا بدَّ أن أكون أول المسرورين .

1 ـ يبدو لي ، قبل كل شيء ، أنه من الضروري أن نوضِّح في التقارير الإقليمية إية مشاركة كانت للبلاشفة اللينينيين في الأفعال والنضالات الحقيقية للطبقة العاملة الإسبانية . تلك هي المسألة المركزية . فالمجموعة السياسية التي تبقى خارج الحركة الفعلية وتنشغل بالانتقادات بعد مضي الأحداث ، سترفضها الطبقة العاملة ،بشكل خاص ، في شروط ثورية . إنني لا أشك للحظة في أن غالبية البلاشفة اللينينيين في الأقاليم قد شاركوا في كل الحركات الجماهيرية ، حتى عندما اعتبروها لا تنسجم مع أهدافهم فالثوري لا ينتقد من الخارج بل من صلب الحركة نفسها . لقد سار البلاشفة في التاسع من كانون الثاني عام 1905 سوية مع العمال إلى القيصر لقيادة دعاية جمهورية ، وبنجاح عظيم .

ولا أشك في أننا لن نختلف أدنى إختلاف في هذه المسألة الأساسية . وإذا كنت ، بذلك ، أطرح هذه المسألة ، فلأن تجربة بعض البلدان أظهرت أن بعض العناصر المعزولة تتهيّأ لربط نفسها مع المعارضة اليسارية ، عناصر تتفادى في الواقع النضال الثوري ، تحت ذريعة « النقد الماركسي »فالحركة الثورية بالنسبة لهؤلاء السادة لن تكون قطعاً « واعية » و « ناضجة » و « نبيلة » بما يكفيهم للانغماس بها والخروج إلى الشوارع مع العمال . علينا أن نطهِّر التنظيم في اللحظة المناسبة ، من الناس الذين يميلون ، في اللحظة العصيبة من الصراع ، إلى تأمل سراتهم بعمق .

لذلك أنصح ، بخصوص العمل النقدي للمعارضة ، بتوضيح المشاركة المباشرة في الصراع عبر التقارير الإقليمية . وسيكون من المفيد جداً نشر تقرير عياني عن هذا الموضوع في كل الصحافة العالمية .

قضية أخرى أود لفت إنتباهكم إليها ، تمس الطابع الأممي لعملنا . يبني الانتهازيون من أمثال مورين ومقلّديه في مدريد كل سياستهم على خصائصهم القومية . سيكون بالطبع أعظم حماقة أن لا نعرف هذه الخصائص ، لكن علينا أن نعرف كيف نكشف تحتها عن القوى المحفِّزة للتطور العالمي وأن نعي إعتماد الخصائص القومية على

التركيب العالمي للقوى . إن الميِّزة الهائلة للماركسية وبالتالي للمعارضة اليسارية تكمن في هذا الأسلوب العالمي لحلٍّ المشاكل القومية والخصائص القومية .

وتقع على عاتقكم تنظيمكم الفتي مهمة خاصة هي متابعة عمل الفروع الأخرى للمعارضة اليسارية العالمية لكي يعمل ، دائماً ، بالانسجام مع مصالح الكل . فبدون معايير عالمية ، وبدون إرتباطات عالمية منتظمة ، يستحيل تشكيل تنظيم بروليتاري ثوري حقيقي في حقبتنا .

3 ـ الآن تحتل ألمانيا المركز من اللوحة العالمية[41] . ولا ريب أن كونفرنسكم سيولي الإهتمام الضروري للمسائل الحارقة للثورةالألمانية . لهذه المسألة أهمية فائقة بالإضافة إلى أنها ملحَّة بالنسبة للمعارضة الإسبانية . فكلما طرح البلاشفة اللينينيون وحلّوا مسائل الثورة الألمانية بوضوح أكبر أما أعين الحزب الرسمي والبروليتاريا الإسبانية ، كلما كانت الضربة التي يوجهها للوسطية البيروقراطية أكثر تحطيماً ، وكلما مركزوا حولهم ، بسرعة أكبر ،المتعاطفين ودعم العمال المتقدمين في إسبانيا .

قاصراًنفسي على هذه الملاحظات القصيرة ، أتمنى لكم بحرارة النجاح في عمل الكونفرس . إلى الأمام ثمَّة مهام جسام وصراعات حاسمة ، لعل كونفرنسكم يصوغ الأسلحة الضرورية لهذه الصراعات .

مع تحياتي الشيوعية .

ل . تروتسكي .

العلاقات الأممية للمعارضة الإسبانية *

7 آذار 1931 .

الرفاق الأعزّاء :

تلقيت من إسبانيا ،مؤخراً ، العديد من الرسائل والوثائق التي تبين وجود بعض إساءات الفهم بين الرفاق الإسبان وغالبية المعارضة اليسارية الأممية . إن أفضل ما يمكن عمله في حالة كهذه ، هو محاولة توضيح إساءات الفهم هذه بالوقت المناسب وبطريقة

---

* رسالة إلى اللجنة المركزية للمعارضة اليسارية .

تفصل فيها ما هو صغير ومؤقت عمّا هو هام ومبدئي .

1 ـ هناك نزاع بين الرفيقين لاكروكس ونن من جهة والرفيق مولينير من جهة أخرى حول مسألة محض عملية . وكنت ولا أزال أعتقد أن الرفيقين لاكروكس ونن ، اللذين غير مطّلعين كلياً على الوضع ، يوجهان تهمة خاطئة للرفيق مولينير في هذه المسائل العملية . وقد سارعت ، من جهتي ، لتوضيح سوء الفهم هذا ، واعتبرت بعد ذلك ، أن هذه المسألة العرضية قد سوّيت ، طالما أنها لا ترتبط بمسائل سياسية ومبدئية .

إن آراء الرفيقين لاكروكس ونن حول الرفيق مولينير هي شأنهم الشخصي ولا داعي للإشارة إلى هذه المسألة .

2 ـ لذلك يخطيء الرفيق لاكروكس عندما يعتقد بأننا نختلف معه بخصوص الرفيق مولينير . كلا ، إن الإختلاف (إن لم يكن سوء فهم) يتعلّق بعلاقة المعارضة الإسبانية بكل القضايا التي يدور حولها النقاش في المعارضة اليسارية الأممية ، أي يتعلّق بالقضايا الأساسية والمبدئية للمعارضة اليسارية . وهذه هي المسألة الوحيدة التي تهمني .

3 ـ أثبتت التجربة أن هناك عناصر في صفوف المعارضة اليسارية في مختلف البلدان تختلف معنا كلياً . ويظهر مثال غوركنGorkinوحده ، أن مجرد الاعتراف بالمبادىء الأساسية للمعارضة اليسارية لا يكفي((42)) . فالتنظيات والثوريون يظهرون بعملهم ، أي بتطبيق مبادئهم . ولذلك يمكن لأحداث صغيرة جداً أن تضيء هذا الشخص أو ذاك أو هذه المجموعة أو تلك ، بمعنى أن العَرَض الصغير غالباً ما يكشف عيباً كبيراً .

وأود أن أعطي مثالاً في هذا المجال . برز في ألمانيا ، كما تعلمون ، حزباً إشتراكياً يسارياً [SAPحزب العمال الاشتراكي((43))] . يقرُّ زعماؤه بديكتاتورية البروليتاريا والنظام السوفياتي ، اعتبر أوربانز Urbhans الذي كان مرة معنا ،خاطئاً ، أن هذا الاعتراف برهان على شيوعية هذا الحزب الجديد((44)) . وقد كانت صحف هذا الحزب تسمي « رفاقاً » « كل من أوتو باور وليون بلوم ،المرتزقين » سيئي الذكر ، للإمبريالية

الفرنسية . قد يخالفني أحد قائلاً : إن الكلمة « رفيق » أمر صغير جداً قياساً بديكتاتورية البروليتاريا والنظام السوفياتي . حسناً ،أنا أرى أن الاعتراف بديكتاتورية البروليتاريا والنظام السوفياتي عبارة عن جمل على ألسنة قادة الـ SPAهؤلاء ، وأن تعبير « الرفيقليون بلوم » يفضح مشاعرهم الحقيقية . من الضروري في السياسة أن تفهم كيف توجه نفسك مسترشداً بعلامات صغيرة كهذه ، وخصوصاً عندما لا تقود إلى أحداث أكبر.تصبح البرهان الفعلي .

4 ـ لقد كان كل من روسمرRosmerونافيلNavilleوجيراردGerardوغيرهم في فرنسا ، ولاندوLandauفي ألمانيا وأوفر سترايتنOver Straeten في بلجيكا ، يتفقون في كل (المبادىء) مع المعارضة اليسارية[45] . ولكنهم ، في الممارسة ،لم يكونوا يتفقون بشيء . فقد عارض روسمر ونافيل وغيرهم بانتظام أفكار المعارضة اليسارية وكل محاولة للاقتراب من الحزب والنقابة والتنظيم العالمي وبذلك أعاقوا نجاح المعارضة اليسارية . وقد امتدَّ النضال ضدهم لأكثر من سنة ونصف . فقد دعموا العناصر التي تختلف معنا في مختلف البلدان . وكانوا في نفس الوقت يبنون كتلتهم ويشلُّون عملنا . . . وتبين أن القطع مع هذه المجموعة . التي كانت على خلاف معنا ، أمر لا محيد عنه ولم أتردَّد لحظة في اتخاذ هذه الخطوة بالرغم من حقيقة ارتباطي بصداقة شخصيةحميمةمع روسمر منذ أكثر من خمس عشر سنة .

5 ـ هل المعارضة اليسارية الإسبانية مطّلعة على مجرى الصراع مع أوفر سترايتن ،اوربانز ، لاندو ، روسمر، نافيل ، وغيرهم ؟ وأعني بذلك ليس فقط قادة المعارضة الإسبانية بل التنظيم ككل . إذا ظلَّ أعضاء المعارضة اليسارية غير مطّلعين على هذا الصراع فيجب إعتبار ذلك تقصيراً كبيراً . لا نستطيع تطوير ثوريين حقيقيين ما لم نعط الشيوعيين الشباب فرصة متابعة تطوير السياسات البلشفية يوماً بعد يوم ، ليس فقط في إسبانيا بل وفي كل فروع المعارضة اليسارية الأخرى أيضاً . وبهذه الطريقة فقط يمكننا كسب التجربة وبناء وتقوية الوعي الثوري . وهذا هو بالضبط أهم جزء من نظام الحزب الديموقراطي الذي نناضل لتأسيسه .

6 ـ لدى توسعي في مسألة ما إذا كان أعضاء المعارضة اليسارية يعلمون بمجرى

الصراعات الأيديولوجية العالمية ، أجدني مضطراً للإشارة ثانية إلى دلائل صغيرة ، تبدو لي ذات أهمية دلالية كبيرة . ففي حين ترك لاندو صفوفنا وهجر روسمر تنظيمنا ، تم ذكرهم ، مع ذلك ، في مجلتكم كومونيزمو كمساهمين . لقد أزعجني ذلك جداً . ماذا ستقولون إذا حملت صحف المعارضة الألمانية والفرنسية أسم غوركين كأحد مساهميها ؟ سيكون ذلك عملاً غير محبب للأصدقاء الأسبان . لقد طرحت هذه المسألة مع الرفيق لاكروكس وتلقيت في الرد أن كل المسألة لا تعدو كونها سوء فهم تقني . أرجو أن تتأكَّدوا من أنني لا أميل إلى المبالغة في أهمية هذا الخطأ . لكنني إضطررت إلى الوصول إلى نتيجة مفادها أن اصدقاءنا الأسبان لا يعيرون ، حتى الآن ، الإهتمام الكافي لحياة المعارضة العالمية . إنكم توافقون ، لا ريب ، على أنه ، بالضبط ،مثلي يستحيل بناء الاشتراكية في بلد واحد ، يستحيل ممارسة سياسة ماركسية في بلد واحد فقط .

7 ـ في هذا الخصوص برز دليل جديد ليسوِّغ الخوف من أن هذه المسألة أكثر جدية مما بدت عليه في الأصل . وقد برز ذلك واضحاً بشكل خاص في مسألة تأسيس السكرتاريا العالمية . ولم تظهر هذه المسألة في الأمس فقط ، فلها قصة طويلة . وهناك عدد لا يحصى من الوثائق في هذه المسألة ، وخصوصاً تلك الوثائق التي كتبتها بنفسي . وأجدني مضطراً مرة أخرى على السؤال فيما إذا كانت هذه الوثائق معروفة للرفاق الإسبان ؟ هل تمت ترجمتها إلى الإسبانية ؟

لقد التقيت ، حقاً ، ببعض الرفاق من صفوف المعارضة اليسارية يتكلَّمون عن الصراعات الأيديولوجية الداخلية باستخفاف مُسمينها « مشاحنات ، دسائس » و إن رفاقاً كهؤلاء لم يتعلَّموا في مدرسة ماركس ولينين . فلكي نستعد للمعارك الكبيرة يجب أن نتعلم أن نكون ثابتين ولا مساومين في كل المسائل المبدئية الجارية ، حتى عندما يكون لها طابع قليل الأهمية ، وغالباً يكون هؤلاء الناس الذين يسمون الصراعات المبدئية « دسائس » هم تحديداً من يبدون الإستعداد للدسائس الحقيقية عندما يتعرَّض لهم أحد بأذى . إن نقص الإهتمام بالقضايا المبدئية والحساسية المفرطة في القضايا الشخصية يميزان العديد ممن هبط صدفة في صفوف المعارضة اليسارية .

8 ـ والرفيق ميل هو أحد هؤلاء الأشخاص الطارئين بلا شك . فقد اضطرت

المعارضة الروسية لغياب الرفاق الذين يتكلمون الروسية في البدان الأخرى ، للجوء إلى الرفيق ميل ، الذي كان معروفاً لها بشكل طفيف ، كممثل غير رسمي لها في السكرتاريا العالمية . وقد قبل الرفيق ميل هذا التمثيل ،وكنت أتراسل معه بشكل مستمر . ويمكن جمع مجلد ضخم من رسائلي إليه . وقد أظهرت ردوده أنه لا يفتقد لأبسط خبرة وفهم ثوريين لمعنى وأهمية التنظيم فقط ، بل ولا يريد أن يتعلم ولا يستطيع أن يتعلم ألفباء السياسة الشيوعية أيضاً . إنه يكرر بطلاقة العبارات العامة عن الاشتراكية في بلد واحد ،لكن عندما يقتضي الأمر الدفاع عن خط سياسي محدَّد ،تراه يغير نهجه تحت تأثير نوع غير مفهوم من المزاج .

لقد شارك الرفيق ميل ، على مدى بضعة أشهر ، في الصراع ضد لاندو ، ونافيل وقائدهم روسمر . كان يجب أن يفترض المرء أنه فهم معنى هذا الصراع الذي قاد إلى القطع مع سلسلة كاملة من المجموعات والأشخاص . لكن ذلك لم يمنعه من إرسال رسالة إلى روسمر يقترح عليه فيها تشكيل حلف ضد قيادة العصبة الفرنسية وضد المعارضة الروسية . إن هذا النمط من التصرُّف ، إذا تناولنا الأمور بجدية ،هو خيانة ، والرجل القادر على هكذا (شَقْلَبة) سياسية لا يستحق أن يقال عنه ثوري ، أتوافقون على هذا أيها الرفاق أم لا ؟

9 ـ وقد أجريت مراسلات مع السكرتاريا العالمية من خلال الرفيق ميل باللغة الروسية لكسب الوقت . وكان يخفي عن السكرتاريا من رسائلي تلك التي تحمل اقتراحات وملاحظات وانتقادات لا تروق له ، ويقتبس ، خلاف ذلك ، أقساماً معزولة من رسائلي بشكل يمكنه من استخدامها ضد السكرتاريا . عاملاً بذلك على تضليل السكرتاريا بانتظام .

10 ـ وقطعت المعارضة اليسارية علاقتها مع ميل ، كما وأدانته المعارضة الفرنسية بقوة ، واعتبرت المعارضة الألمانية سلوكه غير مقبول ، وأدانته المعارضة البلجيكية والمعارضة الإيطالية استنكرت تحالفه مع روسمر ،عبر شخص الرفيق سوفو Souvo عضو السكرتاريا العالمية .هل هذه الوقائع معروفة لأعضاء المعارضة الإسبانية أم غير معروفة ؟ آمل أن تكون معروفة . كيف نفهم إذن حقيقة أن اللجنة المركزية للمعارضة

الإسبانية رشحت ميل كممثل لها في السكرتاريا العالمية ؟

إن خطوة من هذا النوع لها طابع ظاهرة سياسية معادية للمعارضة الروسية والفرنسية والبلجيكية وغير ها من الفروع القومية التي لن تتأخر قراراتها على الأغلب . ومن الواضح أنه إذا كان لكم خلافات جدية معنا فليس فقط من حقكم بل من واجبكم أن تعبروا عنها بالكلمات بالإضافة إلى الأفعال . وفي هذه الحالة يجب أن تعبروا عن أنفسكم بصراحة ووضوح .

11 ـ إن دعمكم للرفيق ميل يبدو محيراً أيضاً للأسباب التالية : كتب الرفيق ميل رسالتين من إسبانيا يضع فيهما المعارضة اليمينية واليسارية في سلة واحدة ويضلل بهذا الأسلوب كل المعارضة اليسارية . يصعب تصور اضطراب أكثر تشويشاً ، خصوصاً من جانب السكرتير الدائم . وعندما احتججت على رسائله ردّ بأن الرفيق نن قد ضلله . أليس واضحاً أنه يؤكد فقط على عجزه التام عن محاكمة أبسط المسائل السياسية بنفسه ؟

وكنت قد اقترحت صياغة بيان عالمي بشكل مشترك بصدد الثورة الإسبانية . وبالرغم من طلباتي المتكررة لم يعمل الرفيق ميل حتى على رفع إصبعه في هذه المسألة الهامة ، لأن كل اهتمامه كان مستهلكاً بالصراع العصبوي والتركيبات المخفية ضد أهم أقسام المعارضة . هذه هي الوقائع .

كيف يمكننا إذن ، أيها الرفاق ، أن نفسر نقص الثقة الذي عبرتم عنه بكل وضوح تجاه الفرع الفرنسي والروسي والألماني والبلجيكي وغيرها من فروع المعارضة اليسارية ؟ لا بد أن لديكم أسس مبدئية عميقة لذلك . لقد شرحت آراءنا آنفاً ، وليس لأول مرة ، وأنا الآن أنتظر بأقصى الانتباه آراءكم المبدئية .

12 ـ سأذكر حدثاً آخر فقط ، لقد صوتم ضد دخول ممثل المعارضة الروسية ، الرفيق ماركين ، إلى السكرتاريا العالمية على أساس أنه ينتمي إلى كتلة فرانك ـ مولينير ، إنه ينتمي إلى نفس الكتلة التي أنتمي إليها أنا . لكننا نعمل بتضامن تام معكم[47] . على أي أساس إذن تحاولون حرمان المعارضة الروسية من التمثيل في السكرتاريا العالمية ؟ لا بد أن يكون عندكم أسباب وجيهة لذلك ، اشرحوها من فضلكم ، وسنوليها كل اهتمام .

لقد سألني الرفيق لاكروكس ، في رسالته الأخيرة ، أن لا أعود إلى مسألة الرفيق الفرنسي مولينير الذي له معه النزاع المذكور في النقطة الأولى . إنني موافق تماماً ، وأعتقد أن باستطاعتنا أن نستبعد كلياً الأحداث الشخصية الصغيرة التي لا تحمل مغزى سياسياً أو مبدئياً .

ويقول الرفيق لاكروكس ، في رسالته ، أن على الكونفرنس العالمي حل المسائل الخلافية وهذا صحيح تماماً . لكن يجب الإعداد للكونفرنس العالمي بنقاش أهم الاختلافات السياسية والتنظيمية في كل الفروع . لذلك ، أتوجه إليكم أيها الرفاق الأعزاء ، بهذه الرسالة التي أرسل منها نسخاً لقيادات كل الفروع القومية . ولا أشك في أننا سنتمكن ، بجهودنا الموحدة ، من تجنب إساءات الفهم وإيجاد لغة مشتركة معكم .

مع تحياتي الشيوعية .

ل . تروتسكي .

37 ـ إلى الشبيبة الإسبانية .

13 حزيران 1932

عدمت بسرور بإصدار صحيفتكم الخاصة . إن التيار الثوري الذي لا يربي الشباب يولد ميتاً . إن الشيوعية في عالمنا الحاضر ، هي المهمة الوحيدة ذات الوزن العظيم والتي تتطلب سلسلة كاملة من الأجيال لاكتمال تحقيقها . فالثورة البروليتارية تحتاج إلى مواصلة . ومهمة الشباب هي ضمان هذه المواصلة ، أعني أنها مهمتكم ، والماركسية تبين كيف يتم ذلك .

إن قوة الماركسية هي في وحدة النظرية العلمية مع الصراع الثوري . وعلى هذين المسارين يجب أن تتقدم تربية الشباب الشيوعي . إذ يمكن لدراسة الماركسية خارج الصراع الثوري أن تخلق ديدان كتب لكن ليس ثوريين . كما وأن المشاركة في الصراع الثوري دون دراسة الماركسية مليء حتماً ، بالخطر وعدم الثبات ونصف العمى . . فأن

تدرس الماركسية كماركسي لا يمكن إلا عبر المشاركة في حياة وصراع الطبقة ، إن الممارسة هي اختبار النظرية الثورية ، والنظرية تضيء الممارسة . فحقائق الماركسية التي تكتسب في مجرى الصراع هي وحدها التي تدخل العقل والدم .

تقول رسالة من الاتحاد السوفياتي ، تلقيتها منذ بضعة أيام ، أنه بالرغم من الاضطهادات الفظيعة والاعتقالات وعمليات الترحيل ، فقد تشكلت تنظيمات جديدة للمعارضة اليسارية(البلاشفة اللينينيين)في كل مركز صناعي وخصوصاً بين الشباب . ما من قمع يمكنه كسر استمرار الثورة طالما أنها تستند إلى نظرية ثورية .

آمل ، من كل قلبي ، أن تنجز صحيفتكم بنجاح المهمة المنوطة بها : توحيد النظرية والممارسة . ولن يكون ذلك سهلاً . سوف تخطئون ، ولكننا ، نحن الكبار ،الذين نملك بعض الخبرة الثورية غالباً ما نخطىء أيضاً ، ونخطىء أكثر مما ينبغي . وسوف تتعلمون من أخطائكم . فالخطوة الثانية والثالثة ستكون أكثر ثباتاً من الخطوة الأولى .

باسم الآلاف والآلاف من رفاقنا في الفكر ، البلاشفة اللينينيون الروس ، الذين يخوضون النضال في المصانع والمناجم والمشتتون في سجون ومعسكرات نفي البيروقراطية الستالينية ، باسمهم أحيي بحرارة الشيوعيين البروليتاريين الشباب في إسبانيا .

لكم ل . تروتسكي .

38 ـ الكورنيلوفيون الإسبان والستالينيون الإسبان .

20 أيلول 1932 .

كما في الماضي تلتزم البرافدا الصمت حيال ألمانيا . لكنها ، لتعوض عن ذلك تحمل في عددها الصادر في 9 أيلول مقالة عن إسبانيا ، والمقالة هذه ذات قيمة تعليمية فائقة . صحيح أنها لا تضيء الثورة الإسبانية إلا بشكل غير مباشر ، إلا أنها توضح بجلاء الاضطرابات السياسية للبيروقراطية الستالينية .

تقول المقالة : « بعد هزيمة الإضراب العام في كانون الثاني[48] ، أكد

التروتسكيون (يلي ذلك بعض الشتائم الطقوسية ل . ت) أن الثورة قد هزمت وأن مرحلة الهزائم قد حلت » هل هذا صحيح ؟ إذا كان ثمة ثوريون في إسبانيا على استعداد لدفن الثورة في كانون الثاني من هذه السنة ، فليس لهم ولا يمكن أن يكون لهم أي جامع مع المعارضة اليسارية . ذلك أن الثوري لا يستطيع اعتبار الثورة منتهية حتى لا تترك المؤشرات الموضوعية مجالاً للشك . وحدهم الانطباعيون البائسون وليس البلاشفة اللينينيون يمكنهم أن يقدموا تنبؤات متشائمة على أساس من المعنويات المحبطة .

لقد تفحصنا في مقالنا « الثورة الإسبانية والمخاطر المحدقة التي تحيق بها » قضية الخط العام لتطور الثورة الإسبانية ووتيرتها المحتملة . لقد استغرقت الثورة الروسية ثمانية أشهر إلى أن وصلت ذروتها . لكن هذه المدة ليست مفروضة بأي حال على الثورة الإسبانية . فلم تعط الثورة الفرنسية العظمى السلطة لليعاقبة إلا بعد أربع سنوات تقريباً . وأحد أسباب بطء تطور الثورة الفرنسية يكمن في حقيقة أن الحزب اليعقوبي نفسه لم يتشكل إلا في لهيب الأحداث . إن هذه الشروط توجد في إسبانيا . كان الحزب الشيوعي ، في لحظة الثورة الجمهورية ، لا يزال في طفولته . لهذا السبب ، بالإضافة إلى غيره من الأسباب ، نعتقد أنه من المحتمل أن تتطور الثورة الإسبانية ببطء عبر سلسلة من المراحل بما فيها المرحلة البرلمانية .

وقد ذكرنا في ذلك الوقت أن اندفاع الثورة يشمل المد والجزر . وبالمناسبة ، يكمن فن القيادة في عدم الهجوم لحظة الجزر وعدم التراجع لحظة المد . لهذا من الضروري ، قبل كل شيء ، أن لا نخلط التذبذبات « الظرفية » الخاصة مع الإيقاع الأساسي للثورة .

كان واضحاً بعد هزيمة الإضراب العام في كانون الثاني ، أن الثورة في إسبانيا كانت تعاني جزراً جزئياً . الثرثارون والمغامرون وحدهم يمكن أن يتجاهلوا الجزر . لكن تجار الخوف والفارين هم من يتكلمون عن تصفية الثورة إثر تراجع جزئي . إن الثوريين هم آخر من يترك الميدان . وأي ثوري يدفن الثورة الحية يستحق هو نفسه فرقة الإعدام .

إن التراجع الجزئي وتراخي الثورة الإسبانية أعطى دفعاً للثورة المضادة ، فبعد هزيمة في معركة كبيرة تنكفىء الجماهير وتهدأ . وغالباً ما تميل القيادة غير الحازمة بما يكفي إلى المبالغة في مدى الهزيمة . الشيء الذي يشجع الجناح المتطرف في الثورة المضادة تلك هي الآلية السياسية للمحاولة الملكية التي قام بها الجنرال سانجورجوSanjurjo[49] لكن ما يوقظ الجماهير بشكل خاص كلسعة السوط ، هو ظهور العدو اللدود للشعب على الساحة . وليس نادراً أن تتفاجأ القيادة الثورية بحالات كهذه .

تكتب البرافدا : « إن سرعة وسهولة سحق تمرد الجنرالات يظهران أن قوى الثورة ليست محطمة ، فقد تلقى النهوض الثوري دفعاً جديداً من أحداث العاشر من آب » . وهدا صحيح تماماً . ويمكنني القول أيضاً أن هذا هو المقطع الوحيد الصحيح في كل المقالة .

هل تفاجأ الحزب الشيوعي بالأحداث ؟ إذا اعتمدنا شهادة البرافدا فقط ، سيكون الجواب بالإيجاب . عنوان المقالة هو « العمال يهزمون الجنرال » . ومن الواضح أنه لولا التدخل الثوري للعمال ضد الانقلاب الملكي لأجبر زامورا وليس سانجورجو على الذهاب إلى المنفى . بكلام آخر ، لقد ساعد العمال على حساب بطولتهم ودمهم ، البورجوازية الجمهورية على التمسك بالسلطة . وتكتب البرافدا ، وهي تتظاهر بعدم رؤيتها لذلك ، « لقد قاتل الحزب الشيوعي ضد انقلاب الجناح اليميني بطريقة لا يعطى بها ولو ظل من دعم للحكومة الحالية المضادة للثورة » .

أن ما ينويه الحزب الشيوعي شيء ، ولكن ما يدخل الآن في الحسبان هو نتيجة أعماله.لقد حاول الجناح الملكي للطبقات المالكة أن يزيح الجناح الجمهوري بالرغم من أن الجمهوريين تجسموا الصعاب لئلا يستفزوا الملكيين . لكن البروليتاريا دخلت اللوحة « العمال يهزمون الجنرال » . الملكيون يذهبون إلى المنفى وتبقى البورجوازية الجمهورية في السلطة . كيف يمكن ، في وجه هذه الحقائق ، أن نفهم أن الحزب الشيوعي لم يعط « ظلاً من دعم للحكومة الحالية المضادة للثورة » ؟

هل ينتج ، مما قيل آنفاً ، أن على الحزب الشيوعي أن يغسل يديه من الصراع

بين الملكيين والبورجواظية الجمهورية ؟ لو تم ذلك لكان انتحاراً ، كما أظهرت تجربة الشوعيين البلغار عام 1923[50] . كان يمكن لتدخل العمال في الصراع الحاسم ضد الملكيين أن لا يكون دعماً مؤقتاً لعدوهم ، البورجوازية الجمهورية ، فقط لو كانوا أقوياء بما يكفي لاستلام السلطة بأنفسهم . لقد كان البلاشفة عام 1917 أكثر قوة بكثير من الشيوعيين الإسبان عام 1932 . لكن حتى البلاشفة لم يكن بمقدورهم استلام السلطة بأنفسهم في الصراع ضد كورنيلوف . وقد استمر كيرنسكي شهرين آخرين في السلطة بفضل انتصار العمال على الكورنيلوفيين . دعونا نذكر مرة أخرى ، أن فصائل البحارة البلاشفة حمت قصر الشتاء التابع لكيرنسكي في وجه كورنيلوف .

لقد أظهرت البروليتاريا الإسبانية أنها قوية بما يكفي للتغلب على تمرد الجنرالات ، لكنها ضعيفة جداً على استلام السلطة . في ظل هذه الشروط ، ما كان يمكن للنضال البطولي للعمال إلا أن يقوي ، ولو إلى حين ، الحكومة الجكهورية . والرعناء الذين يستعيضون عن التحليل بالصفات الممهورة بالختم ، هم وحدهم القادرون على إنكار ذلك .

إن مصيبة البيروقراطية الستالينية هي أنها لا ترى في إسبانيا ولا في ألمانيا التناقضات الحقيقية في معسكر الأعداء ، أي الطبقات الحية وصراعها . (فالفاشي) زامورا المتحالف مع الاشتراكيين (الفاشيين) يحل محل (الفاشي) بريمودي ريفيرا . ولا غرو أن يتفاجأ الستالينيون ، باتباعهم هكذا سياسة ، بتدخل الجماهير في الصراع بين الملكيين والجمهوريين . لقد رمت الجماهير بنفسها في الصراع ، بغريزتها السليمة ، جارّة الشيوعيين معها . وبعد انتصار العمال على الجنرالات ابتدأت البرافدا بتجميع حطام نظريتها لكي تلصق أجزاءها مع بعض ثانية وكأن شيئاً لم يحدث . هذا هو المعنى الأساسي للتبجح الغبي الذي مارسته بأن الحزب الشيوعي لم يعط « ظلاً من دعم » للحكومة البورجوازية .

إن الحزب الشيوعي ، في الواقع ،لم يعط دعماً موضوعياً للحكومة فقط ، بل لم يعرف أيضاً ، كما يمكن أن يستشف من المقالة نفسها ، كيف يميز نفسه ذاتياً عنها . بهذا الصدد نقرأ : « إننا لم ننجح في كل الخلايا أو في كل المنظمات الإقليمية في إظهار الوجه

الحقيقي للحزب الشيوعي كما ينبغي وفي إبرازه في وجه مناورات الاشتراكيين الفاشيين الجمهوريين . الشيء الذي لو تم لأظهر أن الحزب لا يناضل فقط ضد الملكيين بل وضد الحكومة (الجمهورية(التي تمثل غطاء للملكيين » . من المعروف جيداً ما المقصود بكلمات « ليس في كل الخلايا » ، « ليس في كل المنظمات » . . الخ . في الكتابات الستالينية . إنها مصممة لإخفاء جبن الفكر . عندما اعترف ستالين في 15 شباط 1928 لأول مرة أن الكولاك لم يكونوا بدعة للمعارضة اليسارية ، كتب في البرافدا : « في بعض المقاطعات وفي بعض الأقاليم . . . » ظهر الكولاك فلأنه لا يمكن الاعتراف بالأخطاء إلا أنها متأتية ممن يطبقون التعاليم ، فهي لا يمكن أن تظهر إلا في « بعض المناطق » وبهذا فإن الحزب يساوي المجموع الحسابي لأقسامه الإقليمية .

إن المقطع الذي أوردناه للتو ، يعني في الحقيقة ، إذا تم تجريده من مراوغة البيروقراطية : لم يعرف الحزب ،في صراعه ضد الملكيين ، كيف « يظهر وجهه » ولم يعرف كيف يبرز في وجه « الاشتراكيين الفاشيين« والجمهوريين . بكلام آخر : إنه لم يعط للحكومة البورجوازية والاشتراكية الديموقراطية دعماً عسكرياً مؤقتاً فقط ، بل لم يعرف أيضاً كيف يقوي نفسه على حساب الحكومة في عملية الصراع .

إن ضعف الحزب الشيوعي ـالناتج عن سياسة المنحرفين في الأممية الشيوعية ـ لم يسمح للبروليتاريا في الوصول إلى السلطة في العاشر من آب 1932 . وقد اضطر ،في الوقت نفسه ، إلى المشاركة في الصراع فيه كالجناح اليساري للجبهة العامة المؤقتة ،حيث كانت البورجوازية الجمهورية على يمينه . ولم تنس قيادة الائتلاف للحظة واحدة أن تظهر(وجهها)الخاص في لجم وكبح الجماهير ، منتقلة ، بعد الانتصار على الجنرالات إلى القتال ضد الشيوعيين . إن الستالينيين الإسبان ، بقدر ما كان الأمر يتعلق بهم ، لم يستطيعوا وفق شهادة الستالينيين الروس ، أن يظهروا أن« الحزب يقاتل ليس فقط ضد الملكية بل وضد الحكومة« الجمهورية » أيضاً » .

تلك هي عقدة المسألة .يعمل الحزب عشية الأحداث على صبغ أعدائه بلون واحد . وفي حمأة المعركة تلون هو نفسه بلون العدو وضاع مؤقتاً في جبهة الجمهوريين والاشتراكيين الديموقراطيين . ولا يمكن أن يندهش لهذا سوى من لم يفهم أصل

الوسطية البيروقراطية . إن الوسطية البيروقراطية تعمل في النظرية(إذا أمكن استخدام هذه الكلمة هنا) على حماية نفسها ضد الانحرافات الانتهازية بأن ترفض أي تفريق طبقي وسياسي : فهوفر Hoover وفون بابن Von Papen وفاندير فيلد Vandervelde وغاندي Gandhi وراكوفسكي Rakovsky كلهم (خصوم للثورة)و (فاشيون)و (عملاء للامبريالية)[51] ولكن لدى كل تغير مفاجىء في الأحداث ، لدى كل خطر جديد ، يضطر الستالينيون (في الممارسة) إلى دخول الصراع ضد عدو والركوع أمام « خصوم ثورة » و « فاشيين » آخرين .

فقد صوت الستالينيون في أمستردام في وجه الحرب لصالح قرار دبلوماسي وقح لا طعم له ، اقترحه الجنرال شوينايش Von Schoenaich والماسينيون الفرنسيون والبورجوازي الهندي باتل Patel[25] الذي مثله الأعلى غاندي . وفي الرايختساغ الألماني أعلن الشيوعيون فجأة أنهم على استعداد للتصويت لصالح رئيس ، اشتراكي فاشي ، لكي يمنعوا انتخاب رئيس ، اشتراكي قومي ، أي أنهم وضعوا أنفسهم بالكامل على أرضية (أهون الشرين) . وفي إسبانيا ،تبين أنهم عاجزون ،في لحظة الخطر ، عن معارضة البورجوازية الجمهورية . أليس من الواضح أن أمامنا ليس أخطاء عارضة وليس في (بعض) الخلايا ، إنما عيب متأصل في الوسطية البيروقراطية ؟

لقد أعطى تدخل جماهير العمال في الصراع بين معسكري المستغلين ، دفعاً جدياً إلى الأمام للثورة الإسبانية . وقد وجدت حكومة آزانا نفسها مضطرة على إعطاء الأمر بمصادرة الملكيات الإقطاعية Monorial لأ الإجراء الذي كان ، قبل بضعة أسابيع ، أبعد من مجرة التبان[53] . ولو لاحظ الحزب الشيوعي الفروقات بين الطبقات الحقيقية وتنظيماتها السياسية ، لو أنه فهم المسار الواقعي للأحداث ، لو أنه انتقد وكشف أعداءه على قاعدة أخطائهم الواقعية ، إذن لرأت الجماهير أن الإصلاح الزراعي الجديد الذي قامت به حكومة آزانا كان بتأثير سياسة الحزب الشيوعي ولقالت : يجب أن نمضي إلى الأمام وبعزيمة أكبر تحت قيادته .

ولو باشر الحزب الشيوعي الألماني في العمل على خط الجبهة الموحدة ، بإصرار وثقة ، تلك السياسة التي تتطلبها مجمل الوضع ، لو انتقد الاشتراكيين الديموقراطيين

ليس بسبب « فاشيتهم » بل بسبب ضعفهم وترددهم وجبنهم في الصراع ضد البونابرتية ثم الفاشية ، إذن لتعلمت الجماهير شيئاً ما عبر الصراع العام والانتقادات ، ولالتفوا حول الحزب الشيوعي بحزم .

تقتنع الجماهير ، بفعل السياسة الحالية للأممية الشيوعية ، لدى كل انعطاف جديد في الأحداث ، أن أعداءها الطبقيين ليس فقط لا يعلمون ما كان قد توقعه الشيوعيين بل وإن الحزب الشيوعي نفسه يتخلى في اللحظة الحرجة عن كل ما كان قد لقنه لها . ولهذا السبب لا تنمو الثقة بالحزب الشيوعي ، ولهذا يبرز الخطر ، جزئياً ، في أن الإصلاح الزراعي الضعيف الذي قام به آزانا سيصب في خدمة البورجوازية وليس البروليتاريا .

يمكن للطبقة العاملة في ظروف مناسبة واستثنائية أن تنتصر حتى بقيادة سيئة . ولكن الظروف الملائمة إلى حد استثنائي نادرة ويجب أن تتعلم البروليتاريا أن تنتصر في ظل ظروف أقل ملائمة فضلاً عن ذلك ، تمنع البيروقراطية الستالينية ـ كما تظهر التجربة في كل بلد وكما تؤكد أحداث كل شهر جديد ـ الشيوعيين من الاستفادة من الشروط الملائمة لتقوية صفوفهم ومن المناورة بفعالية والتمييز في مجموعات بين الأعداء وأنصاف الأعداء والقوى الحليفة ، بكلام آخر ، باتت البيروقراطية الستالينية العقبة الداخلية الأهم على طريق انتصار الثورة البروليتارية .

39 ـ وضع المعارضة اليسارية(*) 4

16 كانون الثاني 1932

إن أهم نتيجة للرحلة إلى كوبنهاغن كانت ، بلا شك ، اجتماع أعضاء المعارضة اليسارية من العديد من البلدان . وقد كانت النية الأصلية دعوة عدد من الرفاق من المناطق المجاورة للدانمارك للاجتماع بغية اتخاذ إجراءات الأمن الضرورية . وفي الحقيقة ، وصل أربعة وعشرون رفيقاً (تأخر منهم إثنان) من بينهم موظفون بمسؤوليات عالية في بعض الفروع فكان هناك ثلاثون مشاركاً بمن فيهم المتعاطفون .

لو أخبر ستالين البوليس الراسمالي عبر الردايو أن هناك) كونفرنسا تروتسكيا(يعقد في كوبنهاغن لكان ذلك كذبة . ذلك أن الاجتماع حصل بالمصادفة ، وأن رحلتي إلى كوبنهاغن فاجأت المعارضة اليسارية . وكانت الأعمال التمهيدية للكونفرنس في مراحلها الأولى . فلم يكن أي مجال لقبول مشروع نقاط برنامجية في كوبنهاغن . حتى الفروع الأوروبية لم تشارك بشكل كامل . ولم يكن لكل الرفاق المشاركين سلطة كاملة . فالكونفرنس ، للأسف ، ولم يكن له أن ينعقد في مجرى الأحداث .

من نافل القول ، على كل حال ، أن الرفاق الذين جاؤوا استفادوا من هذه الفرصة للتعرف على بعضهم البعض ولمناقشة المسائل الملحة والحارقة عبر تبادل الآراء غير الرسمي . ولا شك أن هذا الاجتماع المرتجل والسريع وغير المتوقع لأربعة وعشرين من البلاشفة اللينينيين من سبعة دول أوروبية ، سيسجل كإنجاز هام في تاريخ كتلتنا العالمية .

لقد نمت المعارضة اليسارية إلى حد لا باس به فالكوادر يعرفون تاريخ المعارضة اليسارية في مختلف البلدان ويتوجهون باستقلالية في المسائل النظرية والسياسية ، الشيء الذي يجسد تجربة سياسية لا بأس بها . لقد قاربت المشاورات التي دامت بضعة أيام بين رفاقنا بقوة ،وسيكون لهذا الأمر نتائج مثمرة في كل عملنا المستقبلي . نستطيع أن نقول بالتأكيد ، ودون الوقوع ضحايا التفاؤلية الرسمية ، أن كل من شارك في المشاورات غادرها بزاد جديد من الثقة .

المعارضة الإسبانية

قضية واحدة ألقت بظلها على جلسة تبادل الآراء : إنها وضع المعارضة اليسارية الإسبانية . إذا كان يمكن ملاحظة بعض التباينات في المعارضة اليسارية العالمية بخصوص أمراض وأخطاء المعارضة الإسبانية ،فقد تم في مجرى الجلسة إلقاء هذه التباينات جانباً بشكل تام أمام الشعور بالاهتمام المشترك . جميع المشاركين كانوا كلياً مع

الرأي بوجوب أن يكون لنا نقاش شامل ومفتوح مع الرفاق الإسبان وبوجوب أن يكون هذا النقاش غير مقتصر ، هذه المرة ، على قادة المعارضة ، ذلك أن إطلاع أعضاء الفروع بالمسائل المتجادل حولها وحده يمكن أن يضع المعارضة الإسبانية على الطريق الصحيح .

سيكون من الإجرام أن نغمض أعيننا أكثر من ذلك عن الوضع الحقيقي أو أن نخفف من مخاطره ، فإذا لم ننجح في توضيح كل المسائل المتجادل حولها بشكل تام وفي الوقت المناسب عبر نقاش مفتوح ـ وقد تراكم الكثير من المسائل ـ فعندئذ قد يقسمنا ضغط الأحداث إلى فرق مختلفة .

للأسف لم يتمثل الفرع الإسباني في جلسة تبادل الآراء . وتبين في اللحظة الأخيرة أن العقبة كانت ظرفاً طارئاً ، لكنني أمتلك حرية التعبير عن ثقتي بأن الرفاق القياديين الإسبان ، لو خففوا من انغلاقهم في إقليمهم وأبدوا اهتماماً أكثر في تنظيمهم العالمي ، لوجدوا طريقهم إلى جلسة كوبنهاغن دونما صعوبة .

ولكن هذا بالتحديد هو عيب المعارضة الإسبانية ، ذلك أن قادتها عزلوا التنظيم عن الحياة الداخلية والصراعات للفروع الأخرى ، حارمينه بالتالي من الإطلاع على التجربة العالمية التي لا بديل لها . لكن عندما كان يضطر الفرع الإسباني عبر موقعه الرسمي ، بعد كل شيء ، إلى الانخراط في المسائل الدولية ، فإن قادته لا يتأثرون بتجربة الفروع الأخرى ولا بالرأي العام لتنظيمهم الخاص ، تاركين أنفسهم ينقادون وراء علاقات شخصية وميول وضغائن . فغالباً ما استعاضوا عن التحليل الماركسي للوضع ولاختلاف الآراء ـ لنقل ذلك بصراحة ـ بتحليل عاطفي ونفسي بورجوازي صغير . هكذا كان الوضع في حالة الاتحاد الكاتالوني) مورين(و حيث حلت ثقة عدد من الرفاق البرشلونيين» بالعلاقات الشخصية الودية« و لمدة طويلة ، محل الصراع المبدئي ضد النزعة القومية البورجوازية الصغيرة كابحين بذلك تطور المعارضة اليسارية في فترة حاسمة الأهمية . وهكذا كان الوضع في حالة لاندو الذي أدرجته مجلة الكومونيزمو بشكل يدعو للمفاجأة كأحد المتعاونين بعد أن أبدى لاندو فقدانه للكفاءة ، وبقي في صفوف الأقلية وأخيراً ترك المعارضة اليسارية . وهكذا كان الوضع في

اختلافات الرأي داخل الفرع الفرنسي ، حيث وافق الرفاق الإسبان بالسر على أن أفكار وطرائق روسمر ليست جديدة ، لكنهم دعموا روسمر على الملآ ، بشكل غير مباشر إن لم يكن بشكل مباشر ، على اعتبار أن روسمر« محبب لهم» أكثر من خصومه وكذا كان الحال في قضية ميل الذي اعتقد الرفاق الإسبان أنه من الممكن اختياره كممثل عنهم في السكرتاريا العالمية بعد أن انفضحت بالكامل لا جدارته السياسية . كل هذه المسائل ، لم نسمع من مدريد أو برشلونة ولو تلميحاً واحداً عن أسس مبدئية أو تفسير سياسي .

وهذه الملامح نفسها ظهرت بشكل لا يقل حدة وألماً في الحياة الداخلية للتنظيم الإسباني . فالأزمة التي اندلعت في القيادة لم تفاجيء فقط المعارضة العالمية بل والفرع الإسباني أيضاً . حيث استقال أعضاء اللحنة المركزية الواحد بعد الآخر وتركزت القيادة كلها ، في حقيقة الأمر ، في يدي لاكروكس وحده . ثم ، وبشكل مدهش أيضاً ، تبين أن الرفيق لاكروكس كان خارج اللجنة المركزية ، وفي الواقع خارج المعارضة لبعض الوقت ، في حين انتقلت القيادة إلى برشلونة ، لماذا ؟ على أي أساس تقوم اختلافات الرأي ؟ ما أساس الأزمة ؟ لا أحد يعلم ، على الأقل لا أحد يعلم خارج دائرة ضيقة من المدبرين . . إن هكذا نظام مرفوض بالمطلق في تنظيم ثوري ، ولا يمكن أن يجلب للتنظيم سوى الهزائم . إن الرفاق الإسبان بامتناعهم عن المشاركة في الصراع في القضايا المبدئية وإحلالهم التقييات الشخصية محل الاختلافات السياسية في الآراء ، يقعون ضحية الصراعات الشخصية التي لا بد منها وضحية« ثورات القصور »

إن هكذا تعسفاً إرادياً في السياسية كان مستحيلاً لو أن اللجنة المركزية للفرع الإسباني عملت تحت إشراف تنظيمها . لكن الأمر ليس كذلك ، ففي دفاعهم ، أشار عدد من قادة المعارضة الإسبانية أكثر من مرة إلى المستوى السياسي والنظري غير العالمي لأعضاء المعارضة الإسبانية . ومن الواضح أن هذا الاعتراض باطل ! ذلك أن مستوى التنظيم الثوري يرتفع بشكل اسرع بقدر ما يعمل أكثر على مناقشة كل المسائل ، وبقدر ما يقلل قادته من محاولة التفكير والعمل والسلوك كأوصياء عليه .

إن الشرط الأول لديموقراطية الحزب هو في تقديم معلومات شاملة . وأولها يجب

أن يكوّن الوثائق العالمية حول المعارضة الإسبانية ، يجب أن تتعهد اللجنة المركزية الإسبانية بإيصال هذه الوثائق إلى كل أعضاء المعارضة ، وعلى كل بلشفي لينيني إسباني أن يدرس ويفكر ويحاكم ليس فقط التجربة مع ميل بل وجوهر أزمة اللجنة المركزية الإسبانية نفسها فعبر هذا سيتعلم أعضاء المعارضة الإسبانية أكثر بكثير مما سيتعلمونه من مقالات مجردة عن المركزية الديموقراطية وعن العلاقات الصحيحة مع« الكائنات البشرية . . . » .

40 ـ مشاكل المعارضة اليسارية الإسبانية(*)[5]

كانون الثاني 1932

لقد خلقت الثورة الإسبانية شروطاً موضوعية ملائمة بصورة استثنائية لتطور سريع للشيوعية . لكن نقص الكوادر ، مهما يكن تدريبهم جعل من الصعوبة بمكان على المعارضة اليسارية وعلى الحزب الرسمي أيضاً ، الاستفادة من ظرف تاريخي حقيقي . وبالرغم من أن الفرع الإسباني يفوق عدداً من الفروع الأخرى من حيث العدد ـ الشيء الذي يجب أن يعزى للنهوض الثوري ـ فإن تماسكه الأيديولوجي وطابع قيادته يمثلان صورة غير مرضية إطلاقاً .

ولكي نفهم أسباب هذا ، يجب أن نحدد أهم أخطاء الكوادر القائدة في المعارضة الإسبانية . في كاتالونيا ، حيث البروليتاريا تقدم وسطاً طبيعياً لنمو سريع لتأثير البلاشفة اللينينيين ، أضاع الرفاق القياديون الوقت بأسلوب غير مبرر ، فبدلاً من الخروج علناً تحت رايتهم الخاصة حتى ولو كنوى صغيرة ، مغمغوا المبادىء خلال أحرج شهور الثورة ، منخرطين أولاً في دبلوماسية مع منمّق الكلام الريفي ذي النزعة القومية البورجوازي الصغير مورين ، ثم متعلّقين في أذياله .

ولم يكن الوضع أحسن حالاً في بقية أسبانيا ، حيث فشلت المعارضة اليسارية ، وهي تتجاهل الحزب الرسمي وتستبدل العاطفة الثورية بالتعليم الماركسي للكوادر ، فشلت لوقت طويل في توضيح التمييز الضروري بينها وبين مجموعات المعارضة

اليمينية .

وليس أقل ضرراً واقع أن الرفاق القياديين وقعوا تحت تأثير أسوأ مظاهر التقليد الثوري الإسباني وأداروا ظهورهم للتجربة العالمية ، وفي حين أنهم أعلنوا لفظياً تضامنهم مع المعارضة اليسارية ، دعموا ، في الواقع ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، كل المشوشين والتاركين (لاندو ، روسمر ، ميل . . إلخ) .

وفي مسألةتكتل أم حزب مستقل ، اتخذ الفرع الإسباني في كونفرنسه الأخير موقفاً ، أقل ما يقال عنه أنه مراوغ ، عندما أيدوا وضع قائمة مرشحين خاصة بهم في الانتخابات البرلمانية وغيرها . وقد ظلَّ هذا القرار المعاكس لسياسة المعارضة اليسارية والذي لم يكن معداً له في الممارسة بأي حال ، مظهراً أفلاطونياً ، ولكن ،مع ذلك ، مؤذياً .

لقد مضى قادة المعارضة اليسارية الإسبانية بعيداً على طريق الاغتراب عن البلاشفة اللينينيين ، إلى حد أنهم وجدوا من الممكن تغيير إسم تنظيمهم . لقد وضع الرفاق الإسبان أنفسهم ، بإتخاذهم إسم « الشيوعيين اليساريين » ـ وهو اسم خاطىء بوضوح من الناحية النظرية ـفي تناقض مع المعارضة اليسارية العالمية مقتربين في الوقت نفسه من الاسم الذي إتخذته (رابطة لينين) ومجموعة روسمر . . . إلخ[54] . لن يصدق أي ثوري حقيقي بأنه تم اتخاذ هذه الخطوة الهامة بالمصادفة دونما سبب سياسي . وفي نفس الوقت ، ما من ماركسي سيوافق على السياسة التي لا تعلن بوضوح عن أهدافها في المسائل المبدئية ، بل تحتمي في الدبلوماسية والمناورة .

إن مطالبة المعارضة الإسبانية بأن ينفتح الكونفرس العالمي أمام كل المجموعات التي تعلن التزامها بالمعارضة اليسارية ، بمن فيهم المنشقون والمطرودون ، تظهم كم إبتعدت وما تزال عن التطور الحقيقي لليسار العالمي ، وكم هو ضئيل مقدار استيعابها للمنطق الداخلي لهذا اليسار .

في حين يتهم الرفاق الإسبان الفروع الأخرى بالسياسات التنظيمية الخاطئة ، دون محاولة تفسير هذه الإتهامات ،فقد أثبتوا ، في نفس الوقت ، الخطأ الكلي لطرائقهم الخاصة . فقد قاد الصراع الذي إندلع فجأة بين مجموعتين في اللجنة المركزية ، الفرع

الإسباني إلى حافة الانقسام . حيث أن التنظيم ككل تفاجأ تماماً . إذ لم تكن قادرة أي من المجموعتين المتنافستين ،حتى الآن ، على صياغة الأسس المبدئية لصراعهم الحاد«[55]» .

إن الفرع الإسباني عاجز عن التطور أكثر على أساسه الايديولوجي الحالي. آخذين بعين الإعتبار حقيقة أن تصحيح الأخطاء التي ارتكبت وخلق تنظيم راسخ المبدأ ومنظم باسلوب ثوري في إسبانيا لا يمكن إلا بعد عمل طويل ومنتظم ، فإن الكونفرنس التمهيدي يفترض الإجراءات الضرورية التالية :

أ ـ يجب ترجمة كل الوثائق العالمية الهامة في قضايا الخلاف وإطلاع كل أعضاء الفرع عليها . كما يجب وقف عملية إخفاء الحقائق ، أعني هنا بالتحديد موضوع ميل ، حيث لم يكتف قادة الفرع الإسباني بدعم شخص غير مبدئي في مواجهة المعارضة العالمية ، بل يدافعون ، حتى الآن ، عن الأخطاء التي إرتكبوها سامحين لأنفسهم التلميح غير المناسب إطلاقاً ضد المعارضة العالمية .

بـ ـ يجب أن تتخلى كلا المجموعتين المتنافستين داخل اللجنة المركزية عن فكرة لانقسام اللامبدئي والاجراءات التنظيمية ،وأن يتم إتخاذ التدابير الضرورية بحيث يجري النقاش حول مسائل الخلاف عبر القنوات الطبيعية ويشارك فيها كل أعضاء التنظيم بلا استثناء .

ج ـ يجب أن يجري النقاش الداخلي على صفحات نشرة تضمن هيئة تحريرها الحياد تجاه كلا المجموعتين المتنافستين (عبر لجنة تحرير مشتركة) .

د ـ يجب وضع كل القضايا المبدئية لليسار العالمي على جدول الأعمال وعدم السماح للميول والكراهية والتملقات الشخصية بالحلول محل المواقف السياسية الواضحة .

هـ ـ يجب أن يفتح النقاش الشامل الباب لكونفرنس جديد على مستوى الأمة .

إن الكونفرنس التمهيدي يفرض على السكرتارية متابعة التطور الداخلي للفرع الإسباني باهتمام خاص ، ومساعدته على تنفيذ الاجراءات آنفة الذكر واجراءات مناسبة أخرى بالانسجام مع مهام وطرائق المعارضة اليسارية«[56]» .

٤١ ـ رسالة للرفيق لاكروكس

25 آذار 1933

الرفيق العزيز لاكروكس (*)[6].

لقد كان لمراسلاتي مع الرفيق نن طابعاً سياسياً وليس شخصياً . وبما أن نقاط الإختلاف كانت تتكرر في كل مرحلة جديدة ، رأيت من الضروري جعل أهم مقتطفات رسائلي معه في متناول كل أعضاء الفرع الإسباني ، فبدون صياغة رأي جماعي متنوّر على أساس المنهج الماركسي ، ما من تقدم ممكن للفرع الإسباني .

ولم أنشر هذه المراسلات بغرض مساعدة إحدى المجموعتين ضد الأخرى ، كما لم يكن ذلك عندما استخدمت نفس الأفكار والطرائق التي انتقدت بها الرفيق نن . لقد إتخذ صراع مجموعتيكما طابعاً حاقداً شخصياً حاقداً وحاداً . إن ذلك غير مبرر ، ولا يمكن نقاشه بشكل طبيعي إلا بربط إختلافات الأمس على أساس المنهج الماركسي Methodology فعلى هذه الأساس ، وعليه فقط ، يسرني أن أتعاون معك كما مع الرفيق نن .

تحياتي الشيوعية الخالصة .

42 ـ رسالة إلى كلّ أعضاء المعارضة اليسارية الإسبانية :

24 نيسان 1933

الرفاق الأعزاء :

تلقيت مؤخراً نسخة من الرد المكتوب للجنة المركزية البرشلونية الموجه إلى اللجنة التنظيمية من أجل عقد كونفرنس مضاد للفاشية على مستوى الأمة . وهذه الرسالة ، المؤرخة 5 نيسان 1933 ، وثيقة تجب دراستها من جانب كل عضو من المعارضة

الإسبانية يكرس نفسه لقضية الشيوعية .

ما هو الهدف من عقد مؤتمر عالمي مضاد للفاشية أو كونفرنس مضاد للفاشية على مستوى الأمة ؟ لقد طرحت المعارضة اليسارية (البلاشفة اللينينيون) هذه المسألة بالتفصيل في وثائق ومواد مؤتمر أمستردام المعادي للحرب وفي عدد من التصريحات التالية : لقد عزلت البيروقراطية الستالينية الطليعة البروليتارية الشيوعية بسياسة خاطئة جعلت الجبهة الموحدة للعمال أمراً مستحيلاً ، وبشكل خاص جبهة موحدة معادية للفاشية والحرب . وبغية التغطية على إفلاسه ، ينظم الكومنترن ، من حين لآخر ، حفلاً تنكرياً تقليداً للجبهة الموحدة . فيعمل على جمع مجموعات من العمال الشيوعيين مع أشخاص عاجزين وسلميين وديموقراطيين يساريين وغيرهم ، مصوراً أن هذه اللجان والكونفرنسات والمؤتمرات المسرحية المحضة على أنها « جبهة موحدة للجماهير » . لقد شاركنا نحن أنفسنا مرة في مؤتمر أمستردام ، لكن فقط لكي نفضح هذه الخديعة لافتين بذلك إنتباه العمال الشيوعيين إلى النهج الصحيح . ولا حاجة للقول إن موقفنا إزاء المؤتمر المعادي للفاشية القادم هو الشيء نفسه .

وقد اتخذت اللجنة المركزية في برشلونة موقفاً من هذه المسألة ، معاكساً تماماً للبلاشفة اللينينيين ، فرسالة الخامس من نيسان تُعلم اللجنة التنظيمية ، بشكل إحتفالي ، أن المعارضة اليسارية إنضمت إلى « الجبهة المرحدة » كما لو أن هناك فعلاً جبهة موحدة وليس مسخرة سياسة جبهة موحدة .

وتكرر رسالة اللجنة المركزية في برشلونة العبارات العامة في كيف يمكن تحقيق الجبهة الوحدة ضد الفاشية بالرغم من وجود الاختلافات ، مساعدة بذلك الستالينيين على تعمية الحقيقة . مهما يكن من أمر ، فإن الفكرة الأولية الواردة في الرسالة صحيحة فيما يخص التنظيمات البروليتارية الجماهيرية ، لكنها تفقد معناها بما يخص الأفراد البوجوازيين والسلميين والكتّاب الديموقراطيين وغيرهم . أكثر من ذلك ، فإن رسالة اللجنة المركزية في برشلونة تصرِّح بأنه : « يمكن أن يكون السلمي معادياً للحرب كما يمكن للشيوعي الثوري أن يكون وحتى أكثر . فمن المنطقي أن ينوجد هؤلاء الناس في جبهة موحدة ضد أولئك المعادين لهم » .

من الصعب أن يصدق المرء أن هذه الكلمات كتبت بيد أناس يعتبرون أنفسهم ماركسيين أو لديهم أدنى تصور عن سياسة لينين وعن قرارات المؤتمرات الأربع الأولى للكومنترن ، دون أن نذكر عقداً من عمل المعارضة اليسارية الأممية ، وبشكل خاص بيانها في مؤتمر أمستردام«[57]» .

كيف يمكن لسلمي أن يكون أكثر معاداة للحرب من الشيوعي الثوري ؟ فالنظرية الماركسية والتجربة السياسية تعلمنا أن السلمية هي أداة في يد الإمبريالية . فالسلميون يشتمون الحرب إبان السلم ، ولكن ما أن تندلع الحرب حتى يستسلمون لها دونما ضجيج ، تحت ضغط عجزهم وعزلتهم ، وليس قليلاً يتحولون إلى تابعين لها . الشيء نفسه ينطبق على النضال ضد الفاشية .

إن هدف سياسة الجبهة الموحدة هو تقريب العمال السنديكاليين والاشتراكيين الديمقراطيين من العمال الشيوعيين (ومن الشيوعية) عبر عملية من الصراع المشترك ضد العدو الطبقي . أما وجود أفراد معزولين من المعسكر البورجوازي فهي مسألة ذات أهمية من الدرجة العاشرة . إذ أن غالبيتهم سيدعمون العمال بثقة أكبر كلما اتبعت سياسة الجبهة الموحدة البروليتارية بشكل صحيح وكلما توحدت الجماهير بقوة أكبر . ولكن التخلّي عن السياسة الجماهيرية لصالح السعي وراء أفراد لهم أسماء كبيرة ، هو أسوأ نوع من المغامرية والشعوذة السياسية .

وعوضاً عن أن تفضح اللجنة المركزية في برشلونة فكرة التحالف بين الديمقراطية الستالينية والأفراد البورجوازيين ، فإنها تعبر عن ثقتها بأن اللجنة التنظيمية ترى مهام المؤتمر بالضبط كما تراها اللجنة المركزية نفسها ، ولذلك فإن اللجنة المركزية تعرض (بسرور) « تعاونها المخلص » . هل هذا دبلوماسية ؟ وإذا كان كذلك ، فإنه من النوع الذي يخدع فقط أصدقاءنا وشركاءنا في الفكر . ثم لماذا ينغمس الماركسيون في الدبلوماسية في مسألة من هذا النوع تحتاج إلى الحد الأقصى من الوضوح ؟ كلا . إن المرء مجبر على التوصل إلى أن اللجنة المركزية في برشلونة تحتل موقعاً معاكساً تماماً للماركسية في هذه المسألة ا لكبيرة في السياسة البروليتارية. إن صراع الرفاق القياديين الإسبان ضد التصورات الأساسية ومبادىء المعارضة اليسارية الأممية (البلاشفة

اللينينيين) لم يبدأ البارحة ، ويمكن القول دون مبالغة بأنه نادراً ما إتخذ الرفاق القياديون الإسبان موقفاً صحيحاً من قضية إسبانية أو عالمية هامة طوال الثلاث سنوات الماضية . الأخطاء ممكنة بالطبع ، وهي في تنظيم يافع أمر لا بدَّ منه . ولكن المهم أن يتعلم التنظيم ، والأهم قيادته ، من الأخطاء . عندئذٍ يمكن للتنظبم أن يتقدَّم . والشيء المؤسف هنا أن الرفاق في اللجنة المركزية للمعارضة الإسبانية لا يسمحون للتنظيم بمناقشة المسائل ، وبدلاً من ذلك يستبدلون ، في كل مناسبة ، التهجمات الشخصية والإتهامات الصغيرة والتافهة بالنقاش المبدئي للاختلافات . إن للصراع بين مجموعة نن ومجموعة لاكروكس مغزاه بالطبع ، لكن الصراع الذي تخوضه مجموعة نن وفيرسنFersenوغيرهم ، ضد المعارضة اليسارية الأممية ككل«[58]» . والذي ينتهك أهم مبادىء الماركسية لدى كل خطوة ،هو أكثر أهمية بمئة مرة .

يحدث في أي صراع تكتيكي منازعات شخصية وإتهامات متبادلة : وهذا شيء لا بدَّ منه . وعلى كل حال ، فإن الثوري الذي يحدد موقفه السياسي على أساس النزاعات الشخصية والإتهامات ومشاعر التعاطف والكراهية ،لا خير فيه البتة ، فهكذا أسلوب جدير براديكاليين بورجوايزيين صغار عاجزين عن الإرتقاء إلى مستوى المبادىء الماركسية . لقد سمَّمت الشجارات البورجوازية الصغيرة ، حتى الآن ، قيادة المعارضة الإسبانية مانعة إياها من توجيه نفسها الوجهة الصحيحة وعاملة على شلٍّ تطور التنظيم ككل ، بالرغم من الظرف الموضوعي الملائم بصورة استثنائية . وإذا كانت قواعد المعارضة الإسبانية ، البلاشفة اللينينيون الحقيقيون ، تريد الخروج من هذا المأزق ، فعليهم أن يكنسو ركام الشجارات الشخصية ويتفحصوا الخلافات السياسية كخلافات سياسية . ومن الضروري دراسة التاريخ الكامل لهذه الخلافات لكن من الضروري قبل كل شيء ، وضع وثيقة الخامس من نيسان 1933 اللامبدئية الصادرة عن اللجنة المركزية في صلبِ النقاش . ومن الضروري أن يفهم كل عضو في المعارضة الإسبانية أن القضية الأساسية في الصراعات لا تنتهي بين برشلونة من جهة وباريس وبروكسل وبرلين وفيينا ونيويورك . . .إلخ من جهة أخرى ، هي واقع أن اللجنة المركزية في برشلونة تتخذ موقفاً معادياً للماركسية وترفض بثبات التخلّي عنه .

إنني أتوجه بهذه الرسالة إلى كل أعضاء الفرع الإسباني ،لأن محاولاتي ، طوال الثلاث سنوات المنصرمة ،للوصول إلى تفاهم مشترك مع الرفاق القياديين الإسبان لم يأت منها ،حتى الآن ، شيء .

مع تحياتي الشيوعية .

43 ـ السلوك غير المقبول للرفيق نن

10 آبـ 1933

تستثير الرسائل والوثائق الجديدة الصادرة عن اللجنة المركزية للفرع الإسباني بقيادة الرفيق نن ، شعوراً بالسخط . والأكثر إدهاشاً هو نبرة هذه الرسائل . إنها مليئة بأشنع التهم والتهجمات دونما ظل من منطق . وفي حالات كثيرة لا تتعدى كونها شتائم . إن هذه النبرة وحدها تشهد إلى أي مدى يبتعد نن وأصدقاؤه المقربين عن روح الرفاقية الثورية والشعور بأدنى مسؤولية شخصية وحدهم الناس الذين يفتقدون أي إنضباط داخلي يمكن أن يكتبوا بهذه الطريقة ، خصوصاً بما يتعلق بالتنظيم الذي يعتبرونه في أعمق قناعاتهم أجنبياً ومعادياً .

وقد تبين بُطلان « التهم » التي وجهتها مجموعة نن كثيراً من المرات . لقد كان أحد ممثلي هذه المجموعة في المؤتمر التمهيدي حيث تسنى له عرض كل إدعاءاته وتهمه . وماذا كانت النتيجة ؟ لقدأدينت سياسة نن وأصدقائه من قبل كل فروع المعارضة اليسارية الأممية دون إستثناء . كان يمكن أن يعتقد المرء أن هذه الواقعة وحدها ستجعل نن وأصدقاءه متعقلين قليلاً ، أضعف الإيمان . لكنهم بدلاً من ذلك ضاعفوا مرتين وثلاثاً الشتائم التي وجهوها من مركزهم ضد المعارضة اليسارية الأممية ككل .

أود الآن أن أتطرق لنقطة واحدة فقط : تتجرأ مجموعة نن على إتهام المعارضة الأممية بأنها ـ بشكل غير مبر كما يبدو ـ طردت روسمر ولاندو وغيرهما من صفوفها . على كل حال ، تشهد الوثائق والوقائع على عكس ذلك بالضبط : أراد أن يطرد بعض الرفاق الذين لا يروقون له من العصبة ، ويبقي في العصبة كأقلية صغيرة وبعد ذلك ترك

العصبة . وكنت ،شخصياً ، في تراسل دائم مع نن بما يتعلق بهذا الحدث . وقد أطلعته على كل الإجراءات التي كنت قد إتخذتها لمنع روسمر من الإقدام على خطوة من الواضح أنها خاطئة ، ونابعة ليس من إعتبارات ثورية بل من نزوة شخصية . وبالرغم من صداقته مع روسمر ، كتب نن إليّ : « إن المنطق ليس إلى جانب روسمر » . ولم يتقدم نن بأي شيء على الإطلاق ، رداً على أسئلتي المتكررة التي وجهتها لأعلم إذا كان من غير الممكن أن يقوم نن بخطوات إضافية لكبح روسمر عن النهج ا لخاطىء ، معترفاً بذلك أن كل الإجراءات الممكنة قد استنفذت .

وكذا كان بخصوص لاندو . إذ لم يقترح أحد طرده ، كما هو معروف ، وكل ما في الأمر أنه طلب منه الإشتراك في كونفرنس الفرع الألماني المدعو إليه ديموقراطياً . . . وقدمت حلاً كان في لهجته ومحتواه تصالحياً إلى حد بعيد ، والتزم نن به « كلياً وبدون تحفظ »في كتابته . ونعلم بعد ذلك أن لاندو« طرد »غالبية اللجنة المركزية في الفرع الألماني ورفض المشاركة في الكونفرنس ،حيث كان سيبقى في أقلية لا أمل فيها .

وقد شارك نن ، كعضو في المكتب الأممي ، في ذلك الوقت ، في كل سياستنا ويتحمل مسؤولية كاملة عنها . والآن ، ودون تقديم حقائق أو وثائق ، يلقي بالمسؤولية فيما يخص لاندو وروسمر على المعارضة اليسارية الأممية ، ناسياً أو متناسياً مسؤوليته هو . كيف يمكن وصف هكذا سلوك ؟

دعونا نقبل للحظة ، أن نن توصل فيما بعد إلى أن سلوكنا إزاء روسمر ولاندو وغيرهم كان خاطئاً . كان عليه إذن أن يقول : « نحن إرتكبنا كذا وكذا ،وعلينا تصحيحه بالطريقة كذا وكذا » ولكان ذلك سلوكاً مشروعاً تماماً . من المهم في الأمر أن تقول بوضوح كيف يجب تصحيح (الأخطاء) . إن لمجموعتي روسمر ولاندو منشوراتهما وتطوران وجهات نظر تختلف أكثر فأكثر عن موقفنا في بعض المسائل الأساسية . إذا انطرحت قضية روسمر ولاندو ليس كمناورة غير نظيفة بل كقضية بهدف عملي ،هو عودة روسمر ولاندو إلى المعارضة اليسارية الأممية ،فما كان يتوجب على الرفيق نن هو تطوير وجهات نظرهما واستخلاص النتيجة المناسبة . هل تنسجم هذه المواقف مع

مواقف البلاشفة اللينينيين ؟ هل المطلوب منا تقديم تنازلات معينة . وما هي بالضبط ؟ أم ، على العكس ، يجب أن يتخلى روسمر ولاندو عن مواقف وطرائق معينة للإنضمام إلى ا لمعارضة اليسارية ؟ إن طرح المسألة بهذا الشكل الجاد والمبدئي وفي نفس الوقت ، العملي ، كان يمكن أن يتيح الفرصة للنقاش وربما لإتخاذ هذه الخطوة العملية أو تلك . إن طريقة نن في متابعة هذه المسألة تظهر أنه غير مهتم بأية نتيجة عملية مهما تكن : كل ما يريده هو ذريعة مصطنعة من أجل دسائس على المعارضة اليسارية الأممية .

والأسوأ في الأمر ، هو أن الرفيق نن يحتاج لسلوك هذه الطريقة غير الصادقة لكي يغطي على تذبذباته السياسية وعلى سلسلة كاملة من أخطائه التي منعت المعارضة اليسارية من إحتلال الموقع الذي أتاحته لها شروط الثورة الإسبانية . والآن ، وكنتيجة لسياسة نن الخاطئة من الأساس ، فإن الفرع الإسباني لا يقوى بل يضعف . وللأسف ، لا يقود نقاش الوسائل السياسية مع الرفيق نن إلى شيء . إنه يراوغ ويغرق في الدبلوماسية والمواربة أو ، والأسوأ ، يردّ على الحجج السياسية التي يقدمها الرفاق بدسائس شخصية .

أسألكم أن تلفتوا انتباه كل الفروع إلى هذه الرسالة ، بدءاً بالفرع الإسباني . وأرجو لفت انتباه كل رفاقنا في أمريكا الجنوبية إلى هذه الرسالة . إنهم يقتربون من التنظيم الأممي أكثر ، وسيعملون في ساحاتهم القومية بنجاح أكبر كلما اقتنعوا بسرعة أكبر بخطأ وخطر سياسة الرفيق نن .

تحيات شيوعية .

ل . تروتسكي .

ملحق

كنت قد فرغت من كتابة هذه الرسالة عندما أطلعني أصدقائي على وثائق الرفيق نن وغيره يردون فيها على رسالة الرفيقين شاختمان Shachtman وفرانك Frank[95] وعلى

اعتبار أن تلك الرسالة قد كتبت في برينكبو فإن الرفيق نن يكتشف خديعة ، « كوميديا » الخ . وهو يقصد أنني أختبىء خلف موقّعي الرسالة . ولماذا أختبىء خلفهما ؟ ليس خوفاً من نن وشركائه ، لأنني عبرت عن نفسي أكثر من مرة ، ودون مواربة كما آمل ، بخصوص« سياسة »نن . والآن بمقدور الرفاق الاطّلاع على مراسلاتي معه . وليس لدي أدنى مصلحة في إخفاء رأيي بأن نشاط الرفيق نن ضار . ولماذا أختبىء خلف ظهريّ شاختمان وفرانك ؟ وحتى لو كانت الرسالة بمبادرة مني ، فلن يغير ذلك من مضمونها شيئاً . المهم في الأمر هو الوقائع والحجج التي في الرسالة ، وهي ساحقة بالنسبة لنن . والحقيقة الآن ، أن مسؤولية المبادرة وكتابة الرسالة تقع كلياً وحصراً على عاتق الرفيقين الموقعين عليها . ولم أعلم بنص الرسالة إلا عندما قرأته . ثم بأي حق يعمل نن وشركاؤه على إظهار شاختمان وفرانك كعاجزين عن الحكم بهذه الخدع والتعبير عنه بمبادرتهم الخاصة ؟ وإذا كان لدى نن شك ما في الأهمية الدقيقة لهذه الرسالة ، فليسأل الفرعين الأمريكي والفرنسي وهيئاتهما المحلية والمركزية . وأنا واثق أنه سيتلقى رداً واضحاً وإن كان غير مريح بعض الشيء .

بأساليبه في الخداع البالي ، يدافع نن عن دسائسه الشخصية مقتطفاً تعليقاً لي ـ وهو تعليق بالكاد يكون شخصياً ـ إن التعبير عن السياسة يجري عبر الناس ،لكي ينسى ، فقط أن الناس يمكن أن يضعوا كلا السياسة الجيدة والرديئة ، وأن كل سياسة تختار الناس الملائمين لها وتدربهم بما يوافقها .

44 ـ بصدد الدخول إلى الحزب الاشتراكي الإسباني .

1 تشرين الثاني 1934

لم أتلق بعد أية وثائق حوّل الأحداث الأخيرة في إسبانيا بشكل عام ، وحول الدور الذي لعبه فرعنا . ولكن الخط العام للتطور يكفي للاستنتاج بأنه كان يجب على رفاقنا الإسبان الانضمام إلى الحزب الاشتراكي هناك في مستهل التمايز الداخلي الذي ابتدأ يجهز ذلك الحزب للصراع المسلح[60] . لو تم ذلك لكان موقعنا في الوضع الإسباني ،اليوم ، أفضل بكثير .

45 ـ عواقب الإصلاحية البرلمانية(*)7

إن عجز البرلمانية في ظل ظروف أزمة النظام الرأسمالي بالكامل ، واضح إلى حد أن الديموقراطيين المبتذلين في معسكر العمال (رينودل Renaudel، فروساردFrossard ومقلديهم)(16) لا يجدون حجة واحدة يدافعون بها عن معتقداتهم المتحجرة . وهم يتمسكون برضى بكل هزيمة وكل إخفاق على طول الطريق الثوري . إن مسار فكرهم هو التالي : إذا كانت البرلمانية المحضة لا تقدم مخرجاً فإن الطريق الثوري ليس بأفضل حالاً . إن هزائم العصيانات المسلحة في النمسا وإسبانيا هي الآن ، بالطبع ، حجتهم المفضلة . في الحقيقة يتجلى الإفلاس النظري والسياسي للديموقراطيين المبتذلين بوضوح أكبر في انتقادهم الطريق الثوري مما في دفاعهم عن طرائق الديموقراطية البورجوازية المتفسخة .

ما من أحد قال أن الطريق الثوري يضمن النصر بشكل أوتوماتيكي ، فليس الطريق بذاته هو الحاسم بل الحاسم هو تطبيقه الصحيح ، والتوجه الماركسي في مجرى الأحداث ، والتنظيم الثوري ، وثقة الجماهير المكتسبة عبر تجربة طويلة ، وقيادة جريئة وحاذقة . إن قضية كل صراع تعتمد على لحظة وظروف الصراع وعلى علاقة القوى . إن الماركسية أبعد ما تكون عن فكرة أن الصراع المسلح هو الطريق الثوري الوحيد ، أو أنه وصفة عامة تصلح في كل الظروف . إن الماركسية ، بشكل عام ، لا تعرف الأصنام سواء كانت برلمانية أو عصيانية . فلكل شيء زمانه ومكانه . هناك شيء واحد يمكن قوله في البداية :

إن البروليتاريا الاشتراكية لم تستول على السلطة عبر الطريق البرلماني في أي مكان على الإطلاق حتى أنها لم تقترب منها عبر هذا الطريق بعد .

ليس لحكومات شيدمان وهيرمان ميلر وماكدونالد ، أي جامع مع الاشتراكية(62) . فالبورجوازية سمحت للاشتراكيين الديموقراطيين وللعماليينLabourites باستلام السلطة فقط شرط أن يدافعوا عن الرأسمالية ضد

أعدائها . وقد نفذوا هذا الشرط على أتم وجه . إن الاشتراكية محض البرلمانية وضد الثورية لم تعط إطلاقاً في أي مكان وزارة اشتراكية . إنها نجحت في إبراز خونة كريهين استغلوا حزب العمال لإعداد مهنٍ وزراية : ميلبران برايانBriandفيفيانيVivianiلافالLavalباولبونكورPaulboncourماركيهMarquet(36)

من جهة أخرى ، تظهر التجربة التاريخية أن الطريق الثوري يمكن أن يقود إلى استيلاء البروليتاريا على السلطة في روسيا 1917 ، في ألمانيا والنمسا 1918 وفي إسبانيا 1930 . في روسيا توفر الحزب البلشفي الثوري الذي كان يستعد للثورة على مدى سنوات وعرف ، بحكمة ، كيف يستولي على السلطة . أما الأحزاب الإصلاحية في ألمانيا والنمسا وإسبانيا فلم تستعد للثورة ولم تقدها بل قاست منها .

لقد ارتعبت هذه الأحزاب من السلطة التي صارت بين يديها ضد رغبتها ، فسلمتها برضى خاطر للبورجوازية ، مزعزعة ،بهذه الطريقة ، ثقة البروليتاريا بنفسها ومن ثم ثقة البورجوازية الصغيرة بالبروليتاريا . لقد هيأت الأحزاب شروط نمو الرجعية الفاشية وسقطت ضحايا لها .

قلنا ، إثر كلاوزفيتز ، أن الحرب الأهلية هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى . الأمر الذي يعني أن نتيجة الحرب الأهلية تعتمد بمقدار الربع ، إن لم نقل العشر ، على تطور الحرب الأهلية نفسها ووسائلها التقنية وقيادتها محض العسكرية ، وبمقدار ثلاثة أرباع ، إن لم نقل تسعة أعشار ، على الإعداد السياسي .

ممّ يتألف هذا الإعداد السياسي ؟ يتألف من التماسك السياسي للجماهير ، ومن تخلص الجماهير من الآمال الذليلة في رحمة وكرم وإخلاص« مالكي العبيد الديمقراطيين » ومن تثقيف الكوادر الثورية الذين يعرفون كيف يتحدون الرأي العام الرسمي وكيف يواجهون البورجوازية بعُشر الحقد الذي تواجه به البورجوازية الكادحين . دون هذا المزاج ، ستجري الحرب الأهلية ، عندما تفرضها الشروط ـ ودائماً ينتهي الأمر بأن تفرضها ـ في ظل شروط غير ملائمة للبروليتاريا ، وستعتمد على الكثير من الصدف ، وحتى عندئذ ، في حالة الانتصار العسكري ، يمكن للسلطة أن تفلت من يدي البروليتاريا . إنه أعمى كل من لا يرى أن الصراع الطبقي يقود حتماً إلى

الصراع المسلح . ولا يقل عمى من لا يرى خلف هذا الصراع المسلح ونتيجته ، كل السياسة السابقة للطبقات المتصارعة .

إن الذي انهزم في النمسا لم تكن طريقة العصيان بل الماركسية النمساوية وفي إسبانيا الإصلاحية البرلمانية اللامبدئية .

لقد جرت الأحداث في إسبانيا مجرى مغايراً ولكن أسباب الهزيمة كانت هي نفسها من حيث الأساس . لقد شارك الحزب الاشتراكي ، كالمناشفة ، والاشتراكيين الثوريين الروس ، في السلطة البورجوازية الجمهورية لمنع العمال والفلاحين من الوصول بالثورة إلى نهايتها . فعلى مدى سنتين في السلطة ساعد الاشتراكيون البورجوازيين في التملص من الجماهير عبر فتات من الإصلاحات الزراعية والاجتماعية والقومية . وضد أكثر شرائح الشعب ثورية ، استخدم الاشتراكيون القمع .

والنتيجة كانت مضاعفة ، : ازدادت الفوضوية السنديكالية ، التي كان يمكن أن تذوب كالشمع في حرارة الثورة لو أن حزب العمال اتبع نهجاً صائباً ، قوة لفّت حولها الشرائح المناضلة من البروليتاريا . ومن القطب الآخر ، ، نجحت الديماغوجيا الكاثوليكية الاجتماعية من الاستفادة ، بمهارة ، من سخط الجماهير من الحكومة الاشتراكية البورجوازية .

وعندما فقد الحزب الاشتراكي سطوته أزاحته البورجوازية عن السلطة وشنّت هجوماً على كل الجبهة وكان على الحزب الاشتراكي أن يدافع عن نفسه في ظل شروط غير ملائمة نهائياً ، شروط تشكلت بفعل سياسته السابقة نفسها . فللبورجوازية ، كالعادة ، دعم جماهيري من اليمين . كما رفض القادة الفوضويين السنديكاليون ، الذين ارتكبوا ، في مجرى الثورة ، كل الأخطاء الجديرة بهؤلاء المشوشين المحترفين ، دعم العصيان الذي يقوده « السياسيون » الخونة . فلم تأخذ الحركة طابعاً عاماً وبقيت متقطعة . ووجهت الحكومة ضرباتها إلى أقسام مبعثرة من العمال . وانتهت الحرب الأهلية التي فرضتها الظروف بهزيمة البروليتاريا .

ليس من الصعب أن نستخلص من التجربة الإسبانية استنتاجات مضادة لمشاركة الاشتراكيين في حكومة بورجوازية . هذا الاستنتاج بنفسه لا جدال فيه ولكنه غير كاف

على الإطلاق . إن« الراديكالية» المزعومة للماركسية النمساوية ليست ، بأي معنى ، أفضل من الوزراية الإسبانيةMinisterialism . فالخلاف بينهما تقني وليس سياسي . كلاهما ينتظر البورجوازية أن تبادله « الولاء » بـ «الولاء» وكلاهما قاد البروللتياريا إلى الكارثة .

لم تكن الطرائق الثورية هي التي هزمت في النمسا أو إسبانيا ، بل الطرائق الانتهازية في الوضع الثوري . وشتان بين الإثنتين !

لن نتوقف هنا عند سياسة الأممية الشيوعية في فرنسا وإسبانيا . ونعيد القارىء إلى مصنفات (الحقيقة La Verite') وإلى سلسلة من كراريس السنوات الأخيرة . ففي وضع ملائم بصورة استثنائية وجد الحزبان الشيوعيان النمساوي والإسباني أنفسهما ، هما المقيدان بنظرية « المرحلة الثالثة » و « الاشتراكية الفاشية » . . . الخ ، محكومين بعزلة تامة : فبتهميشهما طرائق الثورة لصالح سلطة« موسكو » أغلقا الطريق على سياسة ماركسية حقيقية ، سياسة بلشفية حقيقية . إن قوة الثورة الأساسية هي في كونها تخضع كل الطرائق والمذاهب إلى امتحان سريع لا يرحم . والعقوبة تلي الجريمة بشكل مباشر تقريباً .

إن مسؤولية الأممية الشيوعية في هزائم البروليتاريا في ألمانيا والنمسا وإسبانيا لا مثيل لها . ليس كافياً اتباع سياسة« ثورية » بالكلمات ، فلابد من سياسةصحيحة . ما من أحد وجد ، حتى الآن ، سراً آخر للنصر .

46 ـ السلبية إزاء الأحداث الكبيرة .

16 كانون الثاني 1934

. . . المُقلق أكثر هو سلبية رفاقنا الإسبان (ما خلا استثناءات مشرفة) خلال الأحداث الثورية الكبيرة . ولطالما انتقدنا قادة الفرع الإسباني لكونهم تشربوا روحاً جبانة ومحض دعائية . بمقدور كل رفيق ، ويجب عليه ، أن يعيد قراءة النقاشات العالمية مع القيادة الإسبانية . وإليكم ما يجعل ذلك ذا أهمية : لقد عبّر الرفاق الإسبان بصراحة

عن معاداتهم للانعطاف الفرنسي . وهو تأكيد جديد على أن « صلابتهم » في هذه المسالة ليست إلا واجهة لسلبية صحفية ودعائية محضة . ومن جهتنا ، سنكرر دائماً : إن أعظم الأخطاء المرتكبة في كل الفروع ارتكبها الفرع الإسباني ، الذي لم يدرك ضرورة الانضمام إلى الحزب الاشتراكي في الوقت المناسب في بداية الإعداد للنضال المسلح . . .

47 ـ رسالة إلى رفيق(*) 8

18 تشرين الأول 1935

أيها الرفيق .

يتضمن العدد الأخير من لاباتالا La Batalla(46) بيان المؤتمر التوحيدي لحلف العمال والفلاحين مع الشيوعيين اليساريين . ألفت انتباهكم إلى أحد المقاطع التي يتكلم عن الانتساب العالمي .

يدعي الحزب الجديد التزامه بـ (مكتب لندن) للوحدة الاشتراكية الثورية (LAG)(56) إن ذلك طبيعي بالنسبة لإسبانيا كما كان طبيعياً بالنسبة لهولندا . ففي هاتين الحالتين كانت الغالبية تنتمي للـ (LAG) «يعمل موضوعياً لإعادة بناء وحدة القوى الثورية على أساس جديد » ماذا تعني هذه الـ « موضوعياً » ؟ يمكن للمرء أن يقول أن البروليتاريا مرغمة موضوعياً على المضي في طريق الثورة . ويكون ، بذلك ، يشير الى قوانين التطور الرأسمالي . لكن كيف يمكن التكلم عن نفس الضرورة « الموضوعية » بالنسبة لتنظيمات دعاوية صغيرة ؟ إن كل معنى وجود هذه التنظيمات هو في سعيها الذاتي : ما هي برامجها ؟ ما هو هدفها ؟ إن هذه المقاييس الذاتية هي التي تحدد كليا الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه التنظيمات في الحركة العمالية .

لكن هذه المسائل الحاسمة بالتحديد تبقى بلا جواب . فهم يتكلمون فقط عن « وحدة ثورية على أساس جديد » لكن ما يهمنا هو معرفة ما هو هذا « الأساس الجديد » . هل هو أساس الـSAP أم أساس الماركسية الثورية والأممية الرابعة ؟ إن صراعاً مراً يأخذ مجراه في الحزب الهولندي حول هذه المسألة وكلما تأخر الحزب الإسباني الجديد في

تعيين صيغهِ في هذا النقاش ، كلما كان الصراع الذي سيشمل حتماً التيارات المتناقضة ، أكثر مرارة وتدميراً . ليس لنا إلا أن نؤكد بطريقة ودّية على الحاجة الى الدقة السياسية والنظرية بخصوص مستقبل الحزب الإسباني الجديد .

48 ـ حزب العمال للتوحيد الماركسي POUM

كانون الثاني 1936

بعد نوسانات لا تعد ولا تحصى إلى اليمين واليسار ، اندمج التنظيم الإسباني للشيوعيين اليساريين الذي كان دائماً تنظيماً مشوشاً ، مع الاتحاد الكاتالوني التابع لمورين في حزب « التوحيد الماركسي[؟] على برنامج وسطي . وقد تضللت بعض دورياتنا بهذا الاسم فكتبت عنه كما لو أنه يقترب من الأممية الرابعة . ما من شيء أكثر خطورة من أن يبالغ المرء في تقدير قواه معتمداً على . . خيال ساذج . إن الواقع لن يمتنع بذلك من أن يعيد المرء إلى صوابه بخشونة !

تنقل الصحف في إسبانيا ، أن جميع الأحزاب « اليسارية » سواء البرجوازية منها أو العمالية صاغت حلفاً انتخابياً على أساس برنامج مشترك ، لا يختلف بطبيعة الأشياء عن برنامج الجبهة الشعبية الفرنسية وكل البرامج الزائفة من نفس النمط . فهنا نجد « إصلاح منبر الضمانات الدستورية » بالإضافة الى دعم ثابت « لمبدأ التخويل » (!) وكذلك « تحرير العدالة من جميع تأثيرات النظام الاقتصادي والسياسي » (تحرير العدالة الرأسمالية من تأثير رأس المال !) والكثير من هذا النوع . وينص البرنامج على رفض تأميم الأرض من قبل الأعضاء الجمهوريين البورجوازيين في الحلف ولكن « بالمقابل » وبالتوازي مع الوعود الرخيصة المعتادة لصالح الفلاحين (قروض ، أسعار عالية للمنتجات الزراعية . . الخ) يطالب (بمعافاة (!) الصناعة) وحماية الصناعة الصغيرة والتجار الصغار . ثم يلي ذلك « السيطرة على البنوك » التي لا بد منها ، الشيء الذي ينتهي ـ نظراً لأن الجمهوريين البورجوازيين يرفضون سيطرة العمال ، حسب نص البرنامج ـ إلى السيطرة على البنوك . . من قبل أصحاب البنوك أنفسهم ، بوساطة

وكلائهم البرلمانيين أمثال آزانا وأشباهه من الأسياد . وأخيراً سيتم إرساء السياسة الخارجية لإسبانيا بالتوافق مع (مبادىء وطرائق عصبة الأمم) هل نسينا شيئا ؟ وقّع على هذه الوثيقة المشينة ممثلا حزبين بورجوازيين يساريين ، الحزب الاشتراكي والاتحاد العام للعمل (U.O.T) والحزب الشيوعي (بالطبع !) والشبيبة الاشتراكية (شيء مهم جداً) والحزب السنديكالي (بستانا) وأخيراً (حزب العمال للتوحيد الماركسي) (خوان أندريد) (66) .

لقد كان معظم هذه الأحزاب على رأس الثورة الإسبانية خلال سنوات نهوضها ، وعملت كل ما بوسعها لخيانتها ودوسها بالأقدام . الجديد هو توقيع حزب مورين ـ نن ـ أندريد . لقد تحول (الشيوعيون اليساريون) الإسبان الى مجرد ذيل للبرجوازية (اليسارية) . من الصعب تصور انحطاط أكثر خزياً !

نشر منذ بضعة أشهر في مدريد كتاب أندريد البيروقراطية الإصلاحية والحركة العمالية الذي يتضمن إلى جانب مقتطفات من ماركس وأنجلز ولينين وغيرهم ، تحليلاً لأسباب انحطاط البيروقراطية العمالية . وقد أرسل خوان أندريد كتابه لي مرتين وكل مرة بإهداء حار ، حيث يدعوني (قائده ومعلمه) . إن هذه الواقعة ، التي لم تكن لتثير بي سوى السعادة في ظروف أخرى ، تضطرني الآن إلى الإعلان بشكل حازم وعلى الملأ ، بأنني لم أعلّم أحداً إطلاقاً الخيانة السياسية . وليس سلوك أندريد شيئاً أخر سوى خيانة للبروليتاريا لصالح التحالف مع البورجوازية .

من المناسب في هذا السياق أن نذكر أن (الشيوعيين اليساريين) الإسبان كما يشير اسمهم بالضبط ، ظهروا لدى كل فرصة مناسبة كثوريين أصلاء ، لقد أدانوا بعنف ، خصوصاً ، البلاشفة اللينينيين الفرنسيين لدخولهم الحزب الاشتراكي . إطلاقاً ! ولا في أي ظرف ! الدخول المؤقت إلى تنظيم سياسي جماهيري لخوض صراع لا يساوم في صفوفه ضد القادة الإصلاحيين لصالح راية الثورة البروليتارية يكون انتهازية . ولكن أن تصل إلى تحالف سياسي مع قادة الحزب الإصلاحي على أساس برنامج خادع بوعي ويعمل على تضليل الجماهير والتغطية على البرجوازية ، فهذا شجاعة ! هل يمكن أن يكون هناك تتفيه أكثر أو تعهير أكثر للماركسية ؟

إن حزب العمال للتوحيد الماركسي عضو في مكتب لندن « للأحزاب الأشتراكية الثورية » المعروف (I A G سابقاً) وتقع قيادة المكتب في يدي فينر بروكوي Fenner Brockway سكرتير حزب العمال المستقل ILP (76) . وسبق أن كتبنا أنه ، بالرغم من الميول السلمية عتيقة الزيّ والتي لا شفاء منها كما يبدو ، لدى ماكستون «(68)» وغيره ، فإن حزب العمال للتوحيد الماركسي اتخذ موقفاً ثورياً مشرفاً في مسألة عصبة الأمم ومقرراتها . وكل منا قرأ بمتعة عدداً من المقالات الممتازة في القائد الجديد New Leder وقد رفض حزب العمال المستقل ، أثناء الأنتخابات البرلمانية الأخيرة ، أن يقدم دعماً انتخابياً للعماليين ، بالتحديد لأن الأخيرين دعموا عصبة الأمم . لقد كان هذا الرفض بذاته خطأً تكتيكياً . فحيثما كان حزب العمال المستقل عاجزاً عن تقديم مرشحيه الخاصين ، كان عليه أن يدعم المرشح العمالي ضد مرشح التوري . لكن هذا شيء عارض . على كل حال ، حتى الكلام عن أي (برامج مشتركة) مع العماليين كان مستبعداً ، كان يجب أن يربط الأمميون الدعم في الأنتخابات مع فضح زحف الأشتراكيين الوطنيين البريطانيين أمام عصبة الأمم و« مقرراتها » .

إننا نسمح لأنفسنا بطرح السؤال التالي على فينر بروكوي : فقط ما هو هدف هذه الأممية التي هو سكرتيرها ؟ فالفرع البريطاني من هذه الأممية يرفض إعطاء حتى مجرد دعم انتخابي للمرشحين العماليين إذا هم دعموا عصبة الأمم . والفرع الإسباني يتوصل إلى تحالف مع الأحزاب البورجوازية على برنامج دعم عصبة الأمم . أليس هذا هو الحد الأقصى في حقل التناقضات والتشوش والإفلاس ؟ ليس ثمة حرب بعد ، ولكن فروع أممية لندن تشد من الآن في اتجاهات متعاكسة تماماً . ما الذي سيحدث لها عندما تندلع الأحداث المشؤومة ؟

لكن دعونا نعود إلى الحزب الإسباني (للتوحيد الماركسي) مع البورجوازية . لقد حاول الشيوعيون اليساريون الإسبان أندريه نن وخوان أنديد أكثر من مرة تفادي نقدنا لسياستهم التصالحية باستشهادهم بنقص فهمنا(للشروط الخاصة)في إسبانيا . هذه هي الحجة المعهودة التي يلجأ إليها كل الانتهازيين . في حين أن الواجب الأول للثوري البروليتاري الأصيل يكمن في ترجمة الشروط الخاصة لبلده إلى اللغة العالمية

للماركسية المفهومة حتى خارج نطاق بلده الخاص(*)؟

لكن لا داعي اليوم لهذه الحجج النظرية . إن حلف قادة الطبقة العاملة الإسبانية مع البورجوازية اليسارية لا ينطوي على أي شيء(قومي)`و لأنه لا يختلف بقليل أو كثير عن« الجبهة الشعبية« في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والبرازيل والصين . إن حزب العمال للتوحيد الماركسي يتبع بخنوع نفس السياسة التي فرضها المؤتمر السابع للكومنترن على كل الفروع باستقلال تام عن(خصوصياتها القومية)[96] والفرق الحقيقي الوحيد في السياسة الإسبانية يكمن هذه المرة فقط في حقيقة أن أحد فروع أممية لندن قد التزم أيضاً بشكل رسمي بحلف البورجوازية . الشيء الذي يسيئها كثيراً . من جهتنا ، نحن نفضل الوضوح . وسينوجد في إسبانيا ، بلا شك ، الثوريون الأصلاء الذين سيفضحون بلا رحمة خيانة مورين ونن وأندريد وشركائهم ، ويضعون الأساس للفرع الإسباني للأممية الرابعة !

49 ـ مهام الأممية الرابعة في اسبانيا .

12 نيسان 1936

لقد أصبح الوضع في إسبانيا ثورياً مرة ثانية .

إن تطور الثورة الإسبانية يجري بوتيرة بطيئة ، ولهذا كان للعناصر الثورية فترة طويلة بما يكفي من الزمن لكي تتشكل وتحشد الطليعة حولها ولكي تتأهل لمهمتها في اللحظة الحاسمة . ويجب أن نقول الآن بصراحة ، ان الشيوعيين اليساريين الإسبان فوتوا هذه الفترة الملائمة جداً ، وظهروا على أنهم ليسوا ، بأي حال ، أفضل من الخونة الاشتراكيين و (الشيوعيين) ولم يكن السبب نقصاً في التحذير ، بقدر ما كان خطيئة أندريه نن وخوان أندريد وغيرهما . فلو اتبع(الشيوعيون اليساريون) ، كفرع للأممية الرابعة ، سياسة صائبة لكانوا اليوم على رأس البروليتاريا الإسبانية . لكنهم بدلاً من ذلك تبالدواVegetateفي التنظيم المشوش التابع لمورين ، دونما برنامج ودونما آفاق ودونما أي مغزى سياسي . إن العمل الماركسي في إسبانيا لا يمكن أن يبدأ إلا عبر إدانة شديدة

لكامل سياسة أندريه نن وخوان أندريد التي كانت ولا تزال ليس فقط خاطئة بل وإجرامية .

ماذا تعني إزاحة الرئيس زامورا ؟ إنها تعني أن التطورات السياسية قد دخلت ، مرة أخرى ، مرحلة حادة . لقد كان زامورا ،لنقل ، قطب توازن الأنساق الحاكمة . ولعب ، في ظروف مغايرة ، نفس الدور الذي لعبه هندنبرغ في ألمانيا لفترة من الزمن . أي حين وضعت الرجعية(حتى النازية) من جهة ، والاشتراكيين الديموقراطيين من جهة أخرى آمالها فيه .

إن البونابرتية الحديثة هي التعبير عن أحدّ التناقضات الطبقية في فترة لم تصل بعد هذه التناقضات إلى الصراع المكشوف . وقد تجد البونابرتية نقطة ارتكازها في حكومة شبه برلمانية ، ولكن قد تجدها أيضاً في رئيس (فوق الأحزاب) الشيء الذي يعتمد حصراً على الظروف . لقد كان زامورا يمثل التوازن البونابرتي . وقد قاد احتدام التناقضات إلى حالة ، سعى فيها كلا المعسكرين الأساسيين أولاً للاستفادة من زامورا ثم للتخلص منه . ولم ينجح الجناح اليميني في ذلك ، في حين نجحت(الجبهة الشعبية) الأمر الذي يعني ، على كل حال ،بداية فترة ثورية حادة .

كلا الاختمار العميق لدى الجماهير والانفجارات العنيفة المتواصلة ، يظهران أن عمال المدن والريف بالإضافة إلى الفلاحين الفقراء الذين خدعوا مرات ومرات ، يوجهون كل قواهم ، بشكل متواصل ، نحو حل ثوري . وما الدور الذي ستلعبه الجبهة الشعبية في وجه هذه الحركة القوية ؟ إنه دور كابح هائل ، بناه وحركه خونة وحثالة خانعة . وفي الأمس فقط ، وقّع خوان أندريد على البرنامج الوضيع للجبهة الشعبية(*) .

بعد إزاحة زامورا ، لآبد أن يتخذ آزانا ، يداً بيد مع رئيس الجمهورية الجديد ، دور قطب التوازن البونابرتي ،يعني أنه لا بد أن يحاول رفع نفسه فوق المعسكرين ليكون قادراً بشكل أفضل على توجيه أسلحة الدولة ضد تلك الجماهير الثورية التي رفعته إلى السلطة . وتبقى منظمات العمال ،على أية حال ، واقعة كلياً في شرك الجبهة الشعبية . وبذلك فإن اضطرابات الجماهير الثورية (دونما برنامج ودونما

قيادة جديرة بالثقة) تهدد بترك الباب مفتوحاً على مصراعيه لديكتاتورية مضادة للثورة !

إن العمال يتقدمون باتجاه ثوري ، وذلك ظاهر من تطور تنظيماتهم وبشكل خاص تطور الحزب الاشتراكي والشبيبة الاشتراكية . ومنذ سنتين انطرحت قضية دخول البلاشفة اللينينيين الإسبان الى الحزب الاشتراكي ، وقد رفضها كل من أندريه نن وأندريد بازدراء متخلفين ومحافظين : أرادا « الاستقلال » مهما كان الثمن ، لأن ذلك يجعلهم في سلام ولا يفرض عليهم أي التزام ، بالرغم من أن الانتساب الى الحزب الاشتراكي في إسبانيا كان يمكن أن يعطي نتائج أفضل بما لا يقاس ، في ظل الظروف المحددة ، مما كان عليه الوضع في فرنسا ، مثلاً ، (بالطبع بشرط أن يتم في إسبانيا تفادي الأخطاء التي ارتكبها الرفاق القياديون الفرنسيون) . في هذه الأثناء ، على كل حال ، توحّد نن وأندريد مع التشويشي مورين لكي يسارعوا سوية للحاق بالجبهة الشعبية(*)[10].

على كل حال ، سقط العمال الاشتراكيون ، في سعيهم من أجل الوضوح الثوري ، ضحايا الخادعين الستالينيين . إن اندماج منظمتي الشباب (الاشتراكية والستالينية) يعني أن أفضل الطاقات الثورية سيتم تبديدها وإساءة التعامل معها من قبل مرتزقة الكومنترن . ويبقى الثوريان (العظيمان) أنريه نن وأندريد ، متفرجين لكي يقوموا سوية مع مورين بدعاية عاجزة بالكامل من أجل ثورة (اشتراكية ديموقراطية) يعني من أجل خيانة اشتراكية ديموقراطية(*)[11].

لا أحد يعلم ما الشكل الذي ستتخذه الفترة التالية في إسبانيا . وعلى كل حال ، إن النهوض الذي حمل زمرة الجبهة الشعبية الى السلطة أقوى من أن يتراجع في فترة زمنية قصيرة تاركا الساحة فارغة للرجعية . فيما يزال للعناصر الثورية حقا ، فترة من الزمن ، ليست طويلة جدا بالتأكيد ، لكي يعاينوا حالهم ويجمعوا قواهم ويستعدوا للمستقبل القريب . وهذا يعني بالدرجة الأولى المؤيدين الإسبان للأممية الرابعة . إن مهامهم واضحة كالشمس :

1 ـ إدانة وشجب سياسة كل القادة المشاركين في الجبهة الشعبية ، بلا رحمة وأمام الجماهير .

2 ـ الفهم الكامل لضعف قيادة (حزب العمال للتوحيد الماركسي) وبشكل خاص (الشيوعيين اليساريين) السابقين أندريد . . . الخ . وتصويرهم بوضوح أمام أعين العمال التقدميين .

3 ـ الالتفاف حول راية الأممية الرابعة على أساس (الرسالة المفتوحة)[70] .

4 ـ الانضمام الى الحزب الاشتراكي والشبيبة الموحدة بغية العمل هناك كتكتل بروح بلشفية .

5 ـ تأسيس أقسام ونُوى أخرى في النقابات وغيرها من المنظمات الجماهيرية .

6ـ توجيه الاهتمام الأساسي للحركات الجماهيرية العفوية ونصف العفوية ، لدراسة ملامحها العامة ، يعني لدراسة حرارة الجماهير وليس حرارة الزمر البرلمانية .

7ـ الحضور في أي صراع لإكسابه تعبيراً واضحاً .

8ـ الإلحاح الدائم على أن تنتظم الجماهير المكافحة في شكل ، وأن توسع باستمرار لجان عملها (جنتات أو سوفييتات) وأن تنتجها لخدمة أغراض محددة ADHOC

9ـ طرح برنامج الاستيلاء على السلطة وديكتاتورية البروليتاريا والثورة الاجتماعية بمعارضة كل البرامج الهجينة (برامج كاباليرو وموررين) .

هذا هو الطريق الحقيقي للثورة البروليتارية ، وليس ثمة طريق آخر .

50 ـ هل من الممكن التقارب من نن(*) ؟[12]

3 حزيران 1936

. . . إذا فهمت رسالتك من باريس ، فأنت غير راضٍ عن سلوكنا مع أندريه نن ، وتعتبره سلوكاً(عصبوياً) . إنك لا تعرف ولا يمكنك أن تعرف تاريخ علاقتنا الشخصية والسياسية .

يمكنك ببساطة أن تتصور كم كنت سعيداً عندما وصل نن إلى الخارج . لقد تراسلت معه لعدة سنوات بشكل منتظم تماماً . وكانت بعض رسائلي (دراسات) حقيقية في موضوع الثورة الحية التي كان يمكن له ويجب عليه أن يلعب دوراً فاعلاً فيها .

وأعتقد أنه يمكن صنع مجلَّد من بضع مئات من الصفحات من رسائلي إلى نن على مدى سنتين أو ثلاث سنوات : وهذا يشير إلى مدى الأهمية التي أوليتها له ولعلاقاتي الودية معه . وقد أكَّد نن في ردوده ، مرة أخرى ، موافقته في مجال النظرية ،لكنه تجنب دائماً مناقشة المشاكل العملية . وكان يسألني عن قضايا مجردة حول السوفييتات والديموقراطية . . . إلخ ، لكنه لم يقل كلمة واحدة حول الإضرابات العامة التي كانت تجري في كاتالونيا .

لا أحد بالطبع ملزم بأن يكون ثورياً . لكن نن كان على رأس البلاشفة اللينينيين الإسبان ، وبهذه الحقيقة وحدها كان على عاتقه مسؤولية جسيمة فشل في حملها في الممارسة ،عاملاً طوال الوقت على ذرِّ الرماد في عيني . صدقني ياصديقي العزيز ، لدي موهبة ما بالنسبة لهكذا أمور : إذا كنت مخطئاً بشيء بخصوص نن ، فذلك لأنني خلقت أوهاماً بشأنه لفترة طويلة جداً ، معطياً إياه ، بذلك ، فرص الإبقاء على السلبية والتشويش تحت راية البلشفية اللينينية ،الشيء الذي يُتخم الحركة العمالية الإسبانية من قبل ـأقصد يُتخم أعلى الأنساق فيها ـولو كان في إسبانيا ، بدلاً من نن ، عامل ثوري جاد مثل ليسويل Lesoil أو فيريكن(71) ،لكان ممكناً ، خلال تلك السنوات من الثورة ، إنجاز عمل هام هناك .

لقد دعم نن بانتظام ، مدفوعاً بغموض موقفه ، في كل البلدان أولئك الذي لسبب أو لآخر شنّوا صراعاً ضدنا وصاروا في نهاية المطاف ، بصورة عامة ،مجرد خونة تافهين . كيف حدثت القطيعة ؟ أعلن نن معارضته المطلقة لتكتيك دخول رفاقنا إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي . ثم ، بعد تردد طويل صرَّح بأن ذلك تكتيكاً صائباً في فرنسا وأنه يجب التصرف بنفس الطريقة في إسبانيا . لكنه ، بدلاً من ذلك ، إنضم إلى التنظيم الإقليمي التابع لمورين الذي لم يكن له أفق على الإطلاق ،لكنه سمح لنن بأن يعيش بسلام . وقد وجهت للسكرتاريا العالمية رسالة نقدية . وكان ردُّه بأن قطع علاقته معها ونشر شيئاً ما في هذا الموضوع في نشرة خاصة .

ولولا خشيتي من أن أضيع وقتك لأرسلت لك ملف مراسلاتي مع نن ، فقد احتفظت بنسخ عن كل رسائلي معه ،وأنا واثق من أنك ، كبقية الرفاق الذين تعرَّفوا

على هذه المراسلات ، ستتهمني بالصبر المفرط ، و « بالروح » التصالحية وليس بـ (العصبوية) .

51 ـ هل من الممكن التقارب مع نن ؟II

5 حزيران 1936

. . . لقد أغفلت بعض النقاط في رسالتي الأخيرة . لنبدأ من نن . إذا كنت تعتقد أن هناك إمكانية لعودته إلينا ، فلماذا لا تحاول إعادته شخصياً ، لا أحمل أي أمل برؤيته ثورياً ، لكن قد أكون مخطئاً . تحقق بنفسك ، إذا كنت تجد ذلك ضرورياً . ولا يسعني إلا إستحسان ذلك .

بالطبع لا يمكن أن نكتفي بالتأكيدات اللفظية منه (وهي وافرة جداً عنده) بل بالأعمال الفعلية . فهو ، في الوقت الحاضر ، يتحالف مع الأعداء اللدودين للأممية الرابعة ، الذي يخفون بغضهم البورجوازي الصغير للماركسية خلف عبارات فارغة في موضوع الإختلافات « التنظيمية » . كما لو أن الناس الجادين يقطعون علاقتهم مع الثوريين ويتحالفون مع الانتهازيين بسبب إختلافات ثانوية .

إذا كان نن يريد العودة إلينا ، فعليه أن يرفع بوضوح راية الأممية الرابعة في إسبانيا . إن الذرائع التي يتوسلها لرفض ذلك هي من نفس نمط الذرائع التي يتوسلها بلوم بخصوص الصراع الطبقي الذي ، كما يرى ، بينما هو شيء جيد بالعموم ، إلا أنه ليس مناسباً لحقبتنا . فسياسة بلوم تقوم على أساس التصالح الطبقي بالرغم من أنه يعترف بالصراع الطبقي « نظرياً » . إن نن يعترف بالأممية الرابعة بالكلام لا بالأفعال ، يساعد مورين وفالشر Walcher وماكستون Maxton وحلفاءهم على شنّ صراع عنيف ضد الأممية الرابعة تماماً كالصراع الذي شنّه السلميون أمثال لونغييه Longuet وليدبور Ledebour ضد الأنصار الأمميين الثوريين للأممية الثالثة خلال الحرب الأخيرة . . . »[72] .

52 ـ حزب العمال للتوحيد الماركسي والجبهة الشعبية(*)[13]

16 تموز 1936

7 ـ أصل الآن إلى إسبانيا ، دافع الرفيق سينفلت Sneevliet في واحدة من رسائله الأخيرة ، باسم اللجنة المركزية للحزب ، عن حزب مورين ـ نن ضد هجوماتي التي يزعم أنها مضخّمة وحادة جداً»(73) . إن ذلك يبدو لي غير مبرر ، بل غير قابل للفهم . ذلك أن الصراع مع مورين لم يبدأ في الأمس . ففي كل سياسته ، خلال الثورة ، كانت إقليمية ذات نزعة قومية وبورجوازية صغيرة ورجعية في جوهرها . وقد أشرت إلى هذه الحقيقة على الملأ ، أكثر من مرة ، منذ بداية الثورة . واعترف نن ، بالتذبذبات الجديرة به ، أيضاً بذلك . إن برنامج الثورة (الاشتراكية الديموقراطية) هو الولد الشرعي للروح المورينية . إنه يتفق مع برنامج بلوم وليس مع برنامج لينين .

أما بخصوص نن ، فقد أثبت خلال كل الثورات أنه هاوٍ مسالم بالكامل لا يريد بأدنى درجة ، أن يفكّر في المشاركة الفعلية في الصراع الجماهيري وفي كسب الجماهير وقيادتها إلى الثورة . . إلخ . فقد اكتفى بمقالات قصيرة مفرطة في نقدها للستالينية والاشتراكية . . إلخ الشيء الذي هو الآن سلعة رخيصة جداً ! وخلال سلسلة من الإضرابات العامة في برشلونة ، كتب لي رسائل حول كل القضايا التي تخطر في البال لكنه لم يذكر ، حتى مجرد ذكر ، الإضرابات العامة ودوره فيها . وقد تبادلت معه في مجرى تلك السنوات مئات الرسائل . وكنت أحاول دائماً أن أستنبط منه ، ليس ملاحظات أدبية فارغة عن كل شيء ولا شيء ، بل اقتراحات عملية للنضال الثوري ، فقد كان يرد على أسئلتي المحددة بشكل دائم « بالنسبة لذلك ، سأكتب لك في رسالتي التالية » وهذه « الرسالة التالية » لم تصل ، على كل حال ، لسنوات .

لقد كانت أكبر مصيبة بالنسبة للفرع الإسباني ، حقيقة أنه وقف على قيادته رجل له اسم وماضٍ ما وهالة كونه شهيد الستالينية . قاده ، طوال الوقت ، بشكل خاطىء

وشلّه .

توصلت الشبيبة الاشتراكية الرائعة ، بشكل عفوي ،إلى فكرة الأممية الرابعة . ولم نتلق ،لقاء كل إلحاحنا على تكريس الإهتمام بالشبيبة الاشتراكية ، سوى إعذار فارغة . فقدِ كان نن مهتماً (باستقلالية) الفرع الإسباني ،يعني ،بسلبيته الخاصة ورفاهته السياسية التافهة . إنه لا يريد أن تقلق الأحداث الكبيرة هوايته النيّقة . وهكذا تحولت الشبيبة الاشتراكية بالكامل تقريباً إلى المعسكر الستاليني . إن الرجال الذين يدعون أنفسهم بلاشفة لينينيين ، وسمحوا لذلك ، بالأحرى سبّبوه ، يجب أن يوصموا للأبد كمجرمين ضد الثورة .

وفي اللحظة التي صار إفلاس نن واضحاً حتى لمؤيديه ،إتحد مع الرجعي الكتالوني ذي النزعة القومية مورين ، قاطعاً علاقاته معنا ، بدعوى أن السكرتاريا العالمية لا تفهم شيئاً في شؤون إسبانيا . وفي الواقع إن نن لا يفهم شيئاًفي السياسة الثورية ولا في الماركسية .

وسرعان ما وجد الحزب الجديد نفسه في عربة آزانا . لكن . من غير المقبول إطلاقاً ، كما يبدو لي ، القول ، بصدد هذه الحقيقة « أنها مجرد إتفاق إنتخابي تقني مؤقت وصغير» . لقد وقّع الحزب لآزانا على أكثر برامج الجبهة الشعبية خزياً ، وفي الوقت نفسه ، وقّع على حكم موته لسنوات قادمة . ذلك أنهم سيتلقون لدى كل محاولة لانتقاد الجبهة الشعبية (إن مورين ونن يحاولان الآن محاولات يائسة) دائماً الرد على نفسه من البورجوازي الراديكالي ومن الاشتراكيين والديموقراطيين ومن الشيوعيين : لكن ألم تشاركوا أنفسكم في إنشاء الجبهة الشعبية وألم توقّعوا على برنامجها؟ وإذا حاول هؤلاء السادة ، عندئذٍ ، الإستفادة من الذريعة النتنة (كان ذلك مجرد مناورة تقنية لحزبنا) فسيجعلون من أنفسهم مسخرة .

لقد شلّ هؤلاء الناس أنفسهم بالكامل . ولو أظهروا الآن ، بشكل غير متوقّع ، إرادة ثورية ، والحال ليست كذلك ، على كل فللجرائم والخيانات الصغيرة ، التي تبقى غير ملحوظة تقريباً في الأزمنة العادية ،صدى قوي في زمن الثورة . يجب أن لا ننسى قطعاً أن الثورة تخلق شروط ترجيع خاصة . على العموم ، لا أستطيع أن أفهم كيف

يكون السعي وراء شروط مخففة للخونة الإسبان ، في نفس الوقت الذي يتعرّض فيه رفاقنا البلجيك ، الذين يناضلون بشجاعة فائقة ضد الـ POB الهائلة والستالينيين ، والذين بدأوا نجاحات هامة بالفعل ،لتهجّهات في الـ Nieu vue Falekel [74]

8 ـ تحمل لاباتالا في عددها الأخير دعوة من حزب نن ـ مورين إلى فروعنا في أمريكا الجنوبية ، الشيء الذي يمثّل محاولة لتجميع هذه الفروع حول ما يسمى حزب التوحيد الماركسي على أساس قومي محض . يحاول حزب التشويش (الماركسي) الإسباني ،كأي فرع من مكتب لندن ، أن يخترق صفوف الأممية الرابعة لشقها . . . إلخ ، ها أمامكم الكلب الصغير الذي يعضعض أعقابنا . ألا يجب أن نقول بصراحة لتنظيماتنا الأمريكية الجنوبية ،التي لا تزال تحوي في صفوفها أنصار للـ SAP وبرلمانيين . . . إلخ ، أيّ خلاف بيننا وبين مكتب لندن ، لماذا يقطع نن علاقته معنا في أوروبا ويريد أن يظهر في أمريكا الجنوبية على أنه موحّد وورع للقوى الثورية ؟ إن هذا النفاق الجدير بالازدراء ، الذي يميّز الوسطية دائماً ، يجب فضحه بلا رحمة . الأمر الذي سيكفي ، وحده ، لإثبات الضرورة المطلقة لأطروحاتنا حول مكتب لندن .

9 ـ تبقى الجبهة الشعبية قضية القضايا . يحاول الوسطيون طرح هذه المسألة على أنهامناورة تكتيكية ، وحتى تقنية ،للتمكن من نشر بضاعتهم في ظل الجبهة الشعبية ، في الواقع ، إنها **القضية الأساسية للإستراتيجية الطبقية للبروليتاريا في هذه** الحقبة . وهي تقدم ،أيضاً ، المعيار الأفضل للإختلاف بين البلشفية والمنشفية . فغالباً ما يُنسى أن المثال التاريخي الأهم للجبهة الشعبية هو ثورة شباط 1917 . فمنذ شباط حتى أوكتوبر كان المناشفة والاشتراكيون الثوريون ، الذين يمثلون معادلاً جيداً (للشيوعيين) والاشتراكيين الديموقراطيين ،في تحالف وثيق جداً وائتلاف دائم مع الحزب البورجوازي الكاديت «[75]» . وشكلوا معه سلسلة من الحكومة الائتلافية . وقد وقف الشعب بكامله ،بما فيه مجالس الجنود والفلاحين والعمال ، تحت يافطة الجبهة الشعبية ، يقيناً ، شارك البلاشفة في المجالس ، لكنهم لم يقدموا أدنى تنازل للجبهة الشعبية وكان مطلبهم هو تحطيم الجبهة الشعبية ، وتدمير التحالف مع الكاديت وخلق

حكومة فلاحين وعمال حقيقية .

إن كل الجبهات الشعبية في أوروبا ، ليست إلا نسخة باهته وغالباً كاريكاتورية للجبهة الشعبية الروسية لعام 1917 ، التي كان لها أن تدّعي مبرر الوجود أكثر بكثير ، لأن الأمر كان لا يزال قضية صراع ضد القيصرية وبقايا الإقطاع .

ملاحظات القسم الأول :

1 ـ قبل الثورة الصينية 1925 — 1927 وبناء على أوامر ستالين دخل الشيوعيون الصينيون إلى الكومنتانغ البورجوازي القومي (حزب الشعب) الذي كان يقوده تشان كاي تشيك . وبدل أن ينتهجوا سياسة مستقلة قاموا بالإشادة بتشان كثوري عظيم ، ولم يغيّروا هذه السياسة إلا بعدما قام تشان بذبح الشيوعيين والنقابيين في شنغهاي .

2 ـ إن سياسة تشكيل جبهات موحدة مع التيارات الأخرى داخل الطبقة العاملة صاغها لينين وتروتسكي وأقرتها المؤتمرات الأولى للكومنترن . لكن الأممية الشيوعية في ظلّ ستالين أغلقت الطريق أمام هذه الجبهات مع الاشتراكيين الديموقراطيين وباقي التنظيمات غير الواقعة تحت السيطرة الستالينية رغم استمرار تأكيدها بأنها مع هذه الجبهات شريطة لا تكون « جبهات موحدة من فوق » أي أن يجري النقاش بشأنها مع قواعد التنظيمات غير الستالينية وليس مع قادتها .

3 ـ قامت أقلية من الاشتراكيين الديموقراطيين الوسطيين داخل الحزب الاشتراكي بالانفصال عنه عام 1916 وشكلت الحزب الاشتراكي المستقل في ألمانيا لكنها عادت إلى حزبها الأول عام 1922 .

4 ـ إن نظرية « الاشتراكية الفاشية » من بنات أفكار ستالين ومفادها أن الاشتراكية الديموقراطية والفاشية ليستا نقيضتين بل توأمان . وطالما أن الاشتراكيين الديموقراطيين عبارة عن أحد تنويعات الفاشية ، وطالما أن الجميع ، إلا الستالينيين ، هذا أو ذاك من تنويعات الفاشية (ليبرالي فاشي ، أو عمالي فاشي ، أو تروتسكي فاشي) فلم يكن مسموحاً للستالينيين الانخراط مع أي تيار في جبهات موحدة ضد الفاشيين العاديين الصريحين . ما كان يمكن لأي نظرية أن تساعد هتلر أثناء السنوات التي وصل بها إلى السلطة أفضل من هذه النظرية . وأخيراً تخلى

الستالينيون عنها عام 1934 وسرعان ما بدأوا بمغازلة ليس الاشتراكيين الديموقراطيين فحسب بل أيضاً السياسيين الرأسماليين أمثال روزفلت ودالادير وآزانا .

5 ـ الاشتراكية الديموقراطية : تم تشكيلها عام 1889 كرابطة رخوة بين الأحزاب القومية الاشتراكية الديموقراطية العمالية ، وكانت تجمع عناصر ثورية وأخرى إصلاحية ،وفرعها الألماني كان الأكثر نفوذاً . انتهى دورها التقدمي بحلول عام 1914 عندما انتهكت فروعها الأساسية أبسط مبادىء الاشتراكية بدعمها لحكوماتها الإمبريالية في الحرب العالمية الأولى . لقد تفتت هذه الأممية أثناء الحرب الأولى ولكن أعيد إحياؤها كمنظمة إصلاحية بالكامل عام 1923 .

6 ـ كارل ليبكنخت 1871 — 1919 : إشتراكي ديموقراطي ألماني ، يساري ومضاد للسكرتارية ، وكان من صوت ضد إعتمادات الحرب في الرايخستاغ عام 1914 . سجن بسبب نشاطه المضاد للحرب من 1916 — 1918 ، وكان أحد قادة انتفاضة برلين 1919 . اغتاله ضباط الحكومة في كانون الثاني من نفس العام .

7 ـ الاشتراكيون الثوريون اليساريون : هم الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الثوري البورجوازي الصغير في روسياً ، والذي تدعمه بقوة أوساط الفلاحين . وكان كيرنسكي يقود جناحه اليميني . إنشق عن الحزب في أوكتوبر 1917 وشكل جناحه اليساري مع البلاشفة حكومة ائتلافية إنفرط عقدها عندما إنقلب الاشتراكيون الثوريون اليساريون على الحكومة السوفياتية بعد توقيعها لصلح بريست ـ لوتوفسك مع ألمانيا .

8 ـ المناشفة الأمميون : مجموعة من المناشفة اليساريين بقيادة مارتوف الذي كانوا قريبين من البلاشفة في العديد من المسائل . كان المناشفة حزباً إشتراكية معتدلاً يعلن ولاءه لكارل ماركس ، لكنه كان يعتقد أن على الطبقة العاملة أن تتوحد مع البورجوازية الليبرالية للإطاحة بالقيصرية وإقامة الجمهورية الديموقراطية . تشكل المناشفة إثر إنشقاق حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي عام 1903

ويقوا داخل الأممية الثانية في حين سار البلاشفة على طريق تشكيل الحزب الشيوعي الروسي .

9 ـ لجنة الوحدة النقابية الأنغلو ـ روسية : شكلها ممثلو النقابات السوفياتية والبريطانية في أيار 1925 حيث استخدمها ممثلو الأخيرة ليظهروا « تقدميتهم » ويقوا أنفسهم شرَّ النقد من اليسار وكانت هذه اللجنة قبل فترة قصيرة من الإضراب العام 1926 في غاية النفع . استمر الروس بدعم اللجنة حتى عندما قام الأعضاء البريطانيين بخيانة الإضراب العام . ولم تنهر اللجنة إلا عام 1927 بعدما إنسحب منها الأعضاء البريطانيون لما لم يعودوا بحاجة إليها .

10 ـ الكومينتانغ الصيني (حزب الشعب) : الحزب القومي للبورجوازية الصينية الذي أسسه صن عام 1911 وقاده بعد عام 1926 تشان كاي تشيك ، جزار الثورة الصينية 1925 — 1927 والذي ظل حاكماً للبلد حتى أطاحت به ثورة 1949 .

11 ـ حدثت انتفاضة كانتون في 11 / 12 / 1927 وسحقت بعد خمسين ساعة وراح ضحيتها 5700 عامل . كانت قمة مرحلة المغامرية التي أعقبت إنهيار الحركة الثورية في آب .

12 ـ انتخابات الأول من آذار هي انتخابات بلدية جرت أخيراً في 12 نيسان .

13 ـ المغامرات الإفريقية لإسبانيا قيدت الجيش الإسباني بالحروب لإخضاع المغرب حتى عاما 1927 .

14 ـ كانت قيمة البيزيتا 11,6 سنت أمريكي عام 1930 أما عام 1972 فكانت قيمتها 1,5 سنت .

15 ـ شارل الخامس 1500 — 1558 : كان الامبراطور الروماني المقدس بين 1519 — 1556 وكان أيضاً ملك إسبانيا بين 1516 — 1556 باعتباره كارلوس الأول .

16 ـ الحرب مع نابليون : استسلمت الملكية الإسبانية لنابليون عام 1808 لكن الجيش البريطاني بقيادة دون ولنغتون ـ Wellington طرد الفرنسيين في حرب الاستقلال

واستقدم فرديناند السابع ليتولى العرش .

17 ـ اليعاقبية هم المجموعة السياسية الأكثر جذرية في الثورة الفرنسية . سيطروا على السياسة الفرنسية منذ إسقاط الجيروند عام 1791 حتى تيرميدور 1974 .

18 ـ انتفاضة برشلونة لعام 1909 : كان نتيجتها مآسي « الأسبوع المأساوي » عندما إندلعت المظاهرات إحتجاجاً على الأمر بإرسال جنود الإحتياط الكاتالونيين إلى المغرب . وتم أثناء الانتفاضة إحراق 48 كنسية لكن الحكومة ا لمركزية قامت بسحق المظاهرات .

19 ـ Tarquin : هو الأسم الحركي لأندريه نن قائد المعارضة اليسارية الإسبانية حتى عام 1935 عندما حدثت القطيعة بينه وبين تروتسكي واندمج مع « حلف العمال والفلاحين » الذي يقوده مورين ليشكلا « حزب العمال للتوحيد الماركسي » .

ـ (الصراع الطبقي) هي المجلة النظرية الشهرية للمعارضة اليسارية الفرنسية .

20 ـ أنتونيو كانوفاس دي كاستيلو : سياسي محافظ قام بصياغة الدستور في ظل الملكية الذي تمت إستعادته بعد الجمهورية الأولى .

ـ الكونت Alvare de Figueron de Romanones 3681 — 0591 : رجل دولة ملكي وملاك عقاري كبير في Gavadalajara وأهم مالك للعزب الحقيقية في مدريد .

21 ـ دوما بوليغين : سميت باسم الوزير القيصري للشؤون الداخلية وكانت عبارة عن هيئة برلمانية مزيفة تأسست عام 1905 وكانت تتمتع بسلطات ضئيلة . تم انتخابها عبر اقتراع عام مقيد إلى حدٍّ كبير وكان القيصر يعتبرها هيئة استشارية لا تشريعية . واحتفظ القيصر بحق دعوتها إلى الاجتماع أو حلها كما يحلو له .

22 ـ ميخائيل باكونين 1814 — 1887 : معاصر لماركس في الأممية الأولى ومؤسس للفوضوية . طرح نظرية عن الاتحاد اللادولتي للتجمعات المحكومة ذاتياً .

23 ـ الكومنترن (الأممية الشيوعية أو الثالثة) تشكلت في ظل قيادة لينين كوريث للأممية الثانية . إعتبر تروتسكي أطروحات المؤتمرات الأربعة الأولى للكومنترن حجر الزاوية البرنامجي للمعارضة اليسارية وفيما بعد للأممية الرابعة .

ـ ديمتري مانويلسكي 1883 — 1952 : كان كتروتسكي عضواً في المجموعة الماركسية المستقلة التي إندمجت مع الحزب البلشفي عام 1917 . دعم مجموعة ستالين في العشرينات وكان سكرتيراً للكومنترن بين 1933 — 1943 ، رغم إشارة تروتسكي له « كقائد للبلدان اللاتينية » فإن القائد الذي عينه الكومنترن لفرعه « اللاتيني »طوال الثلاثينات كان بالميرو تولياتي الذي فرّ من إيطاليا موسوليني عام 1924 .

24 ـ حسب المخطط الذي أعلنه الستالينيون عام 1928 فإن « المرحلة الثالثة » كانت المرحلة الأخيرة للرأسمالية ، مرحلة موتها الوشيك وحلول السوفييتات محلها . وبناء على ذلك فقد تحدَّد تكتيك الكومنترن أثناء السنوات الست التالية بالتطرف اليساري والمغامرية والنقابات « الحمراء » ا لعصبوية ومعارضة الجبهة الموحدة . تم التخلي عن نظرية وممارسة « المرحلة الثالثة » عام 1934 وحل محلها نظرية وممارسة الجبهة الشعبية أو جبهة الشعب (1935 — 1939) . لكن المرحلة اللاحقة لم تعط رقماً . كانت « المرحلة الأولى » 1917 — 1924 (مرحلة الأزمة الرأسمالية والنهوض الثوري) و « المرحلة الثانية » : 1925 — 1928 (الإستقرار الرأسمالي) .

25 ـ حدثت أحداث كانون الأول 1930 في أعقاب التمرد المؤيد للجنرالات الجمهوريين في ذلك الشهر في حامية جاكا الذي سرعان ما سحق لكن السخط العام الناجم عن الانتقام من الثائرين أرغم الملك على الدعوة للانتخابات التي جرت في نيسان 1931 .

26 ـ بنيتيو موسوليني 1883 — 1945 : ديكتاتور إيطاليا الفاشي من 1922 إلى 1945 .

ـ جياكومو ماتيوتي 1885 — 1945 : نائب إشتراكي إصلاحي شجب الدجل البرلماني للفاشين وأدان إرهابهم في البرلمان الإيطالي ولهذا فتك به جلادو موسوليني .

ـ رامزي ماكدونالد 1866 — 1937 : أصبح رئيساً للوزراء في أول حكومة

عمالية بريطانية (1924) لكنه ترك حزب العمال في دورته الثانية (1929 — 31) ليشكل حكومة « وحدة وطنية » مع الثوريين (1931 — 1935) . المترجم .

ـ تشان كاي تشيك 1887 — 1975 : القائد العسكري للكومينتانغ البورجوازي القوي (حزب الشعب) في الصين أثناء ثورة 1925 — 1927 . كان في يمين الكومينتانغ الذي دخل إليه الشيوعيون بناء على أوامر الكومنترن . أشاد الستالينيون به باعتباره ثورياً عظيماً حتى عام 1927 عندما إرتكب مجزرة دموية شيوعيي شنغهاي ونقابييها .

ـ فيودور دان 1871 — 1947 : أحد مؤسسي الاشتراكية الديموقراطية الروسية وأحد قادة المناشفة في رئاسة سوفييت بتروغراد عام 1917 . كان أثناء الحرب الأولى داعية سلام وخصماً لدوداً للثورة البلشفية .

ـ النجاشي الحبشي : هو لقب هيلاسيلاسي إمبراطور إثيوبيا من 1930 — 1936 ومن 1941 — . . .

27 ـ إيطاليا بعد خريف 1920 ، نمت الحركة الثورية في إيطاليا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وفي أيلول 1920 استولى العمال على المصانع . خاف الاشتراكيون الديموقراطيون وارتدوا إلى الخلف وظلت البروليتاريا بلا قيادة . وبحلول تشرين الثاني حدثت أول مظاهرة كبيرة للفاشية . كان قادة الاشتراكية الديموقراطية يأملون بعودة البورجوازية ضد الفاشية وكبحوا العمال عن مقاومة عصابات موسوليني لكن البورجوازية انتقلت إلى جانب الفاشيين . وفي اللحظة الأخيرة دعا الاشتراكيون الديموقراطيون العمال إلى الإضراب العام ، لكن العمال المحبطين والمشوشين لم يستجيبوا وتمكن الفاشيون من تعزيز قبضتهم . مسار الأحداث هذا كلي الوضوح في فصل « دروس التجربة الإيطالية » من كتاب تروتسكي « النضال ضد الفاشية في ألمانيا » .

28 ـ الجمهورية الأولى 1873 — 1874 . إنتهت بتتويج ألفونسو الثاني عشر .

29 ـ إن الـ Epigons هم الأتباع الذين يفسدون مذاهب معلميهم . وقد إستخدم تروتسكي هذا التعبير للستالينيين الذي يدعون بأنهم أتباع لينين

وماركس .

30 ـ المجموعة الوسطية الرسمية : إن الوسطية مصطلح استخدمه تروتسكي ليشير إلى التيارات التي تقف أو تتذبذب داخل الحركة الراديكالية بين الإصلاحية ، موقع البيروقراطية والأرستوقراطية العماليتين ، الماركسية المعبرة عن المصالح التاريخية للطبقة العاملة . طالما أن التيار الوسطي مجرد من القاعدة الاجتماعية المستقلة لذا يجب أن يتم بمصطلحات مَنْشَئِهِ وديناميته الداخلية والإتجاة الذي يختطه أو تدفعه إليه الأحداث . وحتى حوالي 1933 رأى تروتسكي الستالينية تنويعاً خاصاً من تنويعات الوسطية ـ رآها وسطية بيروقراطية ـ وبعد ذلك التاريخ رأى هذا المصطلح غير ملائم لوصف ما كانت البيروقراطية الستالينية تصيره .

ملاحظات القسم الثاني

1 ـ الاشتراكيون اليساريون هم الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الذي كان يقوده فرانسيسكو لارغو كاباليروا .

2 ـ إن « نظام شباط » هو الذي أقامته ثورة شباط 1917 في روسيا التي وضعت كيرنسكي في سدة السلطة وظل فيها حتى قامت ثورةأكتوبر وأعطت السلطة للسوفييتات .

3 ـ كانت كومونة باريس المثال الأول للحكومة العمالية وظلت في السلطة من 18 آذار إلى 28 أيار ، فقط إثني وسبعين يوماً ،قبل أن تسقط من خلال سلسلة معارك دموية .

4 ـ مجلس آذار وكونفرنس نيسان هما مؤتمران للبلاشفة عقدا في بتروغراد مباشرة بعد سقوط القيصرية عندما أصبحت الأحزاب المعارضة شرعية . عاد لينين إلى روسيا في الوقت الذي كان ينتهي فيه كونفرنس آذار وقبل وقت قصير من كونفرنس نيسان ، حيث تولى قيادة عملية كبح التيارات التوفيقية بين قادة البلاشفة القدماء وبداية عملية « إعادة تسليح » الحزب ، أي إعادة توجيهه بإتجاه الصراع من أجل سلطة الدولة . محاضرات اجتماعات مجلس آذار منشور في كتاب تروتسكي « مدرسة ستالين في التزييف » .

5 ـ أندريه نن 1892 — 1937 : أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الإسباني وسكرتير النقابات الحمراء (البوفنترن) ، دعم المعارضة اليسارية وطرد من الحزب الشيوعي عام 1927 . شارك في تشكيل المعارضة اليسارية الأممية وكان قائد الفرع الإسباني حتى قطيعة الأخير مع المعارضة اليسارية الأممية عام 1935 عندما إندمج مع « حلف العمال والفلاحين » بقيادة جواكين مورين ليشكلا « حزب العمال للتوحيد الماركسي » . كان لفترة قصيرة عام 1936 وزيراً للعدل في الحكومة

الكاتالونية لكن الستالينيين إعتقلوه بعدها وأعدموه .

6 ـ اللومانيتيه : صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي .

7 ـ ثورة 1923 الألمانية : لقد تسبب الغزو الفرنسي الرور عام 1923 ـ لعدم دفع ألمانيا لتعويضاتها المالية في وقتها ـ بوضع ثوري سرعان ما أدى إلى توجه غالبية الطبقة العاملة الألمانية إلى دعم الحزب الشيوعي . لكن قيادة الأخير تذبذبت وضيعت فرصة ملائمة جداً لخوض نضال من أجل السلطة وسمحت للرأسماليين الألمان بإستعادة توازنهم قبل نهاية العام . إن مسؤولية الكرملين عن إضاعة هذه الفرصة كانت أحد العوامل التي أدت إلى تشكيل المعارضة اليسارية الروسية في نهاية 1923 .

8 ـ غابريل بيري 1902 — 1941 : هو المحرر الخارجي لصحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي اللومانتيه . أرسل إلى إسبانيا لينقل أحداثها ، لكن مراسلاته أدت إلى الامتعاض الشديد لقراء صحيفة الإسبان بسبب كذبها وإساءة نقلها . أعدمه النازيون أثناء الحرب العالمية الثانية .

9 ـ نيسيتو ألكالا زامورا 1877 — 1949 : ملاك عقاري كبير وقائد الحزب التقدمي وكاثوليكي ليبرالي . كان رئيس وزراء الحكومة الجمهورية الأولى عام 1931 ورئيساً للجمهورية من حزيران 1931 إلى أيار 1936 .

10 ـ إنعقد المؤتمر السادس للكومنترن عام 1928 بعد مرور أربع سنوات على إنعقاد المؤتمر الخامس . كان بداية إنتقال الستالينيين بإتجاه التطرف اليساري وبداية ارتحالهم عن سياسة الجبهة الموحدة التي قامت بتطويرها المؤترات الأولى .

11 ـ ألكسندر مارتينوف 1865 — 1935 : منشفي يميني متطرف قبل عام 1917 وخصماً للثورة البلشفية . إنضم إلى جماعة مارتوف المناشفة الأمميين عام 1917 ولم ينضم للحزب الشيوعي إلا عام 1923 ليصبح خصماً لدوداً للتروتسكية . كان المهندس الرئيسي لنظرية « تحالف الطبقات الأربع » في الصين التي سعت لتبرير تكتيك ستالين بإدخال الحزب الشيوعي الصيني إلى الكومينتانغ القومي لتشان كاي تشيك إستناداً إلى أن الكومينتانغ حزب البورجوازية التقدمية .

وكان هذا التكتيك سلف تكتيك الجبهة الشعبية .

إن نظرية الثورة الدائمة الماركسية التي طورها تروتسكي تقول ، من بين ما تقول ، إن إنجاز وترسيخ حتى المهمات الديموقراطية البورجوازية كالإصلاح الزراعي في البلدان المتخلفة يتطلب من الثورة أن تتجاوز حدود الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية التي تقيم حكومة عمال وفلاحين . إن ثورة كهذه لن تحدث على « مراحل »(المرحلة الأولى تطور رأسمالي تتبعها في مستقبل غير منظور ثورة اشتراكية)) بل يجب أن تكون مستمرة أو « دائمة » بحيث تنتقل مباشرة إلى مرحلة ما بعد الراسمالية من أجل العرض الكامل لهذه النظرية راجع « الثورة الدائمة ، نتائج وتوقعات » لليون تروتسكي .

13 ـ ليون كامينيف : بلشفي قديم ساعد ستالين عام 1923 على شن حرب صليبية ضد التروتسكية لكنه عاد وتحالف مع المعارضة اليسارية منذ 1936 حتى طرده من الحزب عام 1927 . وعندما نفي تروتسكي استسلم لكنه طرد ثانية عام 1932 ثم أعلن توبته ثانية لكنه سقط ضحية لأولى محاكمات موسكو الكبرى وأعدم .

ـ بافل ميليكوف 1859 ـ 1943 : أحد قادة الكاديت (الديموقراطيين الدستوريين) ووزير للشؤون الخارجية في الحكومة الروسية المؤقتة بين آذار وأيار 1917 وعدو بارز للثورة البلشفية .

ـ إراكلي تسيرتلي 1882 ـ 1959 : أحد قادة المناشفة الذين أيدوا الحرب وتولى عدة مناصب وزارية بين آذار وآب 1917 وخصماً للثورة البلشفية .

ـ فيكتور تشيرنوف 1876 ـ 1952 : أحد مؤسسي وقادة الاشتراكيين الثوريين الروس . شارك في مؤتمر زيمرفالد وتولى وزارة الزراعة في حكومة كيرنسكي وعارض الثورة البلشفية .

14 ـ وان تشاي وي 1884 ـ 1944 : قائد حكومي في منطقة ووهان الصناعية في الصين . وكان مثله مثل تشان كاي تشيك في تخييبه لأمل الكومنترن عندما أوكل إليه دوراً ثورياً ، وكان برنامجه كبرنامج تشان من حيث أنه لم يتجاوز الحفاظ على

البورجوازية الصينية بكل الوسائل . وبعد ستة أسابيع فقط من انقلاب تشان في شنغهاي قام وان بمهاجمة العمال في ووهان . وهكذا أغرق حلفاء ستالين الثورة الصينية في بحر من الدماء .

ـ أليجندرو لاروكس غارسيا 1864 ـ 1949 : قائد الحزب الراديكالي الإسباني ورئيساً للوزراء بين 1933 ـ 1936 .

ـ أوتومار كوزينين 1881 ـ 1964 : اشتراكي ديموقراطي فنلندي هرب إلى موسكو بعد انهيار الثورة الفنلندية في نيسان 1918 . أصبح موظفاً ستالينياً في الكومنترن .

15 ـ اندلعت أيام تموز 1917 في بتروغراد بدون أي قيادة وأدت إلى مواجهات دموية . وقد اعتبر البلاشفة مسؤولين عنها واعتقل قادتهم وأغلقت صحفهم .

16 ـ البونابرتية : مصطلح ماركسي لوصف ديكتاتورية أو نظام ذي ملامح محددة من الديكتاتورية في مرحلة لا يعود الحكم الطبقي فيها في أمان . وهي تعتمد على العسكر والبوليس وبيروقراطية الدولة أكثر من اعتمادها على الأحزاب البرلمانية أو الحركة الجماهيرية .

17 ـ قامت ثورة شباط 1848 في فرنسا بإسقاط لويس فيليب . وقد ربحت البورجوازية الليبرالية والعمال النضال ضد الملكية وكبار الممولين والصناعيين وتم الإعلان عن الجمهورية الثانية .

18 ـ الكولونيل فرنسيسكو ماشيا لوسا 1859 ـ 1933 : قائد الايسكويرا (اليسار)الكاتالونية ، حزب الطبقة المتوسطة الدنيا الكاتالونية .

19 ـ مجموعة الحكم الذاتي في مدريد : كانت منظمة قوية عام 1931 عندما طردت من الحزب الشيوعي لمعارضتها الطريقة البيروقراطية للجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الإسباني وخصوصاً لرفضها إتباع التوجيهات بشق الاتحاد القومي للعمل . وفي الوقت الذي لم تدعم برنامج المعارضة اليسارية فإنها لم تسمح للمنتسبين للمعارضة بالمناقشة أو المشاركة في صفوفها .

20 ـ هنري لاكروكس هو الاسم الحركي لفرنسيسكو غارسيا لافيدLavid : أحد

أوائل قادة المعارضة اليسارية الإسبانية عندما قامت في منفاها البلجيكي . اعتقل في إسبانيا في حزيران 1930 وأطلق سراحه بعد سقوط الملكية . أصبح السكرتير العام للمعارضة اليسارية الإسبانية في مؤتمرها الثاني في حزيران 1931 واعتقل عدة مرات في هذه الفترة باعتباره قائدها الرئيسي .

بعد تشرين الثاني 1932 اختلف مع نن وأصدر نشرة تؤكد أن تروتسكي محق في انتقاداته للمعارضة اليسارية الإسبانية . عام 1932 طرد من الفرع الإسباني بسبب « اختلاسه للأموال » وانضم للحزب الاشتراكي وأصبح قائداً لفصيل فيما بعد في الحرب الأهلية . في كانون الثاني 1939 تعرف عليه بعض الضباط الستالينيين كتروتسكي سابق من خلال قائمة أسماء كانت معهم واعتقلوه وشنقوه على بعد عشرات الأمتار من الحدود الفرنسية .

21 ـ تأسس الحزب الاشتراكي الثوري في روسيا عام 1900 وبرز خلال العامين التاليين كتعبير سياسي لكل التيارات الشعبية ، وكان ذا النصيب الأكبر من النفوذ بين الفلاحين قبل ثورة 1917 . كان يقود جناحه اليميني كيرنسكي ، أما الاشتراكيون الثوريون اليساريون فقد دخلوا في ائتلاف حكومي مع البلاشفة بعيد ثورة أوكتوبر ، ولكن سرعان ما انتقلوا إلى المعارضة « من اليسار » ليقوموا بعدئذ بتنظيم أعمال مناهضة للثورة .

ـ ألكسندر كيرنسكي 1882 ـ 1970 : محام وعضو في الحزب الاشتراكي الثوري . انتخب إلى الدوما الرابعة وأصبح نائباً لرئيس سوفييت بتروغراد ، وبعدئذ خرج عن نظامه ليتولى وزارة العدل في الحكومة المؤقتة في آذار 1917 . في أيار تولى منصب وزير الحرب والبحرية واستمر فيه حتى أصبح رئيساً للوزراء ، وبعد عصيان كونيلوف عيّن نفسه قائداً للجيش أيضاً . بعدما هرب من بتروغراد إثر استيلاء البلاشفة على السلطة قام بعمل بطولي في المنفى حيث كتب وأعاد كتابة عدة نسخ مختلفة عما جرى .

ـ الأمير جورج لفوفLvov 1681 ـ 1925 : سياسي روسي وملاك عقاري كبير . بعد سقوط القيصر أصبح رئيس وزراء الحكومة الانتقالية الأولى من آذار إلى أيار 1917 .

22 ـ كورت لاندو : نمساوي وأحد قادة المعارضة اليسارية الألمانية . انشق عن المعارضة عام 1931 وشكل مجموعة خاصة به . ذهب إلى إسبانيا وأيد حزب العمال للتوحيد الماركسي . اختطفه البوليس الستاليني وأعدمه .

23 ـ جواكين مورين جوليا : أحد قاد الحزب الشيوعي الإسباني وتركه ليشكل الاتحاد الشيوعي الباليري ـ الكاتالوني الذي عرف فيما بعد بـ « حلف العمال والفلاحين » الذي كان أمينه العام والذي اندمج مع المعارضين اليساريين السابقين بقيادة أندريه نن ليشكلا حزب العمال للتوحيد الماركسي . وعندما اندلعت الحرب الأهلية اعتقلته وحدات فرانكو لكنه نجا من الإعدام لأن الفاشيين لم يعرفوه . وعندما أطلق سراحه ذهب إلى المنفى وكف عن كل نشاط سياسي .

24 ـ مجموعة « بروميتيو » : كان يقودها أمادو بورديغا 1889 ـ 1970 : أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الايطالي الذي طرد من الكومنترن بتهمة « التروتسكية » عام 1929. حاولت المعارضة اليسارية العمل مع البورديغيين لكنها لم تفلح بسبب عصبويتهم الراسخة . فعلى سبيل المثال كانوا ضد تكتيك الجبهة الموحدة بسبب « مسائل مبدئية » .

25 ـ ألكسندر غوشكوف 1861 ـ 1939 : أحد أعضاء الدوما الأولى في روسيا وقائد الأوكتوبريين في الدوما الثالثة (1907 ـ 1912) . وانتخب رئيساً لها عام 1910 . كان وزيراً للحرب والبحرية من آذار إلى أيار عندما استقال وغادر البلد .

26 ـ الحزب الراديكالي الإسباني : حزب بورجوازي انتقل من اليسار إلى الوسط لينتهي في معسكر الرجعية . استولى على السلطة من أيلول 1933 إلى كانون الثاني 1936 . وقائده هو اليجاندرو لاروكس .

ـ الاشتراكيون الراديكاليون : أيضاً حزب بورجوازي صغير متعاطف جداً مع آزانا .

27 ـ الجنرال لافر كورنيلوف 1870 ـ 1918 : قوزاقي سيبيري عينه كيرنسكي قائداً للجيش في تموز 1917 ، وقام بعصيان مضاد للثورة ضد كيرنسكي في أيلول

1917 . اعتقل لكنه هرب ليقود الثورة المضادة حتى نيسان 1918 عندما قتل .

28 ـ بيير مونات 1881 ـ 1960 : سنديكالي ثوري فرنسي ومؤسس « حياة العمال Vie Ouveriere » عام 1909 . كان من أوائل مناهضي الحرب العالمية الأولى . انضمم إلى الحزب الشيوعي عام 1923 ليتركه بعد عام واحد وفي عام 1926 أسس العصبة السنديكالية .

29 ـ كان آنجل بستانا أحد قادة الحزب السنديكالي ، الجناح اليميني من الاتحاد القومي للعمل .

30 ـ بدأت الخطة الخمسية للتطوير الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي عام 1928 وكان مشروعها تطويراً متواضعاً للنمو الصناعي وسياسة حازمة تجاه الفلاحين وفجأة قلبها المكتب السياسي ودعا لإنجازها بأربع سنوات . والتسريع الحاصل والتجميع الإجباري للفلاحين أديا إلى مرحلة من الفوضى الاقتصادية وشظف عيش السكان .

31 ـ أنداليشو بريتو تويرو 1883 ـ 1962 : قائد الجناح اليميني من الحزب الاشتراكي . كان وزيراً للبحرية والطيران في حكومة لارغو كاباليرو في حكومة نغرين حتى أصر الستالينيين على طرده عام 1938 .

32 ـ فريدريك ايبرت 1871 ـ 1925 : قائد الجناح اليميني من الاشتراكية الديموقراطية الألمانية . ومن موقعه كمستشار ، ترأس مع شيدمان عملية سحق انتفاضة تشرين الثاني 1918 وأعدم روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت وغيرهم من الثوريين الألمان . كان رئيساً للجمهورية من 1919 ـ 1925 .

33 ـ (الحقيقة) : صحيفة المعارضين اليساريين الفرنسيين .

34 ـ فياشيسلاف مولوتوف : بلشفي قديم ومحرر البرافدا قبل ثورة أوكتوبر . انتخب إلى اللجنة المركزية للحزب الروسي عام 1920 واصطف إلى جانب ستالين . تولى منصب رئيس مجلس مفوضي الشعب من 1930 ـ 1941 وأصبح عام 1939 وزيراً للخارجية . أقصي عن القيادة عام 1956 عندما عارض برنامج خرتشوف « نزع الستالينية » .

35 ـ عصبة الشيوعيين في فرنسا : شكلها مؤيدو المعارضة اليسارية في نيسان 1939 حول نشرة (الحقيقة) La Verite»

36 ـ موجة الإضرابات الصاخبه: مباشرة بعد انتخابات حزيران إلى الكورتس التي فازت فيها الأحزاب المؤيدة للجمهورية بأغلبية ساحقة ، دعا الاتحاد القومي للعمل الفوضوي إلى سلسلة إضرابات . واستدعت الحكومة المدفعية لسحق الإضرابات وسقطت مئات الضحايا من جانب العمال .

37 ـ اختارت المعارضة الروسية ميل عضواً لها في السكرتاريا الإدارية للمعارضة اليسارية العالمية . وكان هذا إلى حد كبير لمعرفته بالروسية . وفيما بعد أبعد عن هذا الموقع بسبب مناوراته ومكائده الشخصية ليصير عميلاً للستالينية مع أن إسحق دويتشر يسميه أمريكيا (النبي المنبوذ) إلا أنه كان في الحقيقة أوكرانياً واسمه الحقيقي أوخون .

38 ـ « السيطرة العمالية على الإنتاج » ، عبارة عن رسالة أرسلت إلى مجموعة من المعارضين اليساريين الألمان ونصها الكامل موجود في « النضال ضد الفاشية في ألمانيا » .

39 ـ فرنسيسكو لارغو كاباليرو 1869 ـ 1946 : قائد الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الإسباني ورئيساً للوزراء من أيلول 1936 إلى أيار 1937 .

40 ـ ريمون مولينير : أحد المشاركين في تأسيس (الحقيقة) . وأحد قادة عصبة الشيوعيين الفرنسية الذي تعاون معه تروتسكي حتى عام 1935 .

41 ـ أن « ألمانيا كانت مركز الثورة العالمية» هي أطروحة « ألمانيا : مفتاح الوضع العالمي » في كتاب « النضال ضد الفاشية في ألمانيا » .

42 ـ جوليان غوركين : كان أحد أعضاء المعارضة اليسارية قبل أن ينضم إلى حلف العمال والفلاحين بقيادة مورين . أصبح أحد كبار قادة حزب العمال للتوحيد الماركسي .

43 ، الـSAP(حزب العمال الاشتراكي)في ألمانيا تشكل في أوكتوبر 1931 بعدما طرد الحزب الاشتراكي الديموقراطي عدة يساريين من صفوفه . في ربيع 1932 ، حدث

انشقاق في المعارضة الشيوعية اليمينية (KPOالبراندلريون) ودخلت مجموعة من حوالي 800 شخص يقودها جاكوب فالشر إلى الـSAPوتولت قيادته . وقع هذا الحزب بياناً يدعو إلى الحاجة لتأسيس أممية جديدة لكنه أصبح فيها بعد خصماً لدوداً لتشكيل أممية كهذه .

44 ـ هوغو أوبانز 1890 ـ 1946 : أحد قادة الحزب الشيوعي الألماني الذي طرد عام 1928 وساعد في تشكيل (رابطة لينين) التي ارتبطت بالمعارضة اليسارية حتى عام 1930 .

ـ أوتو باور 1882 ـ 1939 : المنظّر الرئيسي للماركسية النمساوية وأحد قادة الاشتراكية الديموقراطية النمساوية .

ـ ليون بلوم 1872 ـ 1950 : قائد الحزب الاشتراكي الفرنسي في الثلاثينات ، ورئيس وزراء أول حكومة للجبهة الشعبية عام 1936 .

45 ـ منذ الأيام الأولى لعصبة الشيوعيين في فرنسا عام 1930 وجد تروتسكي نفسه في خضمّ نزاعات سياسية وأيديولوجية وتنظيمية مع قادتها . واعتقد أنه يمكن تعلم دروس هامة من هذه النزاعات وحثّ قادة وأعضاء الفروع الأخرى من المعارضة اليسارية الأممية على متابعتها عن كثب وعلى إبداء آرائهم .

ـ ألفرد روسمر 1877 ـ 1964 : أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الفرنسي ، كان في اللجنة التنفيذية للكومنترن . طرد من الحزب عام 1924 وكان عضواً في الحركة التروتسكية منذ بداياتها عام 1930 عندما استقال بسبب خلافات سياسية وتنظيمية مع الغالبية .

وتصالح مع تروتسكي مصالحة شخصية عام 1936 .

ـ بيير نافل : أحد مؤسسي عصبة الشيوعيين في فرنسا وأحد مؤسسي (رابطة لينين) . عارض دخول المعارضة الفرنسية إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي عام 1934 ، علماً بانه انضم إليه مع مجموعته بعد انضمام الغالبية إليه . ترك الحركة التروتسكية أثناء الحرب العالمية الثانية .

ـ فرانسيس جيرار : هو الاسم الحركي لجيرار روزنتال التروتسكي الفرنسي ومحامي تروتسكي في فرنسا لعدة سنوات .

- إدوارد فان أوفر شترايتن : أحد قادة الحزب الشيوعي البلجيكي ، طرد عام 1928 لاحتجاجه على قمع المعارضة اليسارية في روسيا . أحد مؤسسي المعارضة اليسارية البلجيكية ، انفصل عنها بعد عدة سنوات وسرعان ما ترك السياسية .

46 ـ السكرتاريا العالمية : كانت إحدى لجان عصبة الشيوعيين وينتجها الاجتماع العام الكامل .

47 ـ ماركين : الاسم الحركي لليون سيدوف 1906 ـ 1938 : ابن تروتسكي الذي كان يعيش في ألمانيا عام 1932 ، والذي قام أحياناً بدور ممثل المعارضة اليسارية لدى السكرتاريا العالمية . هرب إلى باريس لدى وصول هتلر إلى السلطة عام 1933 ، حيث عاش هناك حتى اغتياله على يد عملاء الـGPUعام 1938 . « نحن » تشير هنا إلى المعارضة اليسارية و « هم » تشير إلى مجموعة مولينير ـ فرانك في قيادة المعارضة الفرنسية الذين تعاون معهم تروتسكي حتى 1935 .

- بير فرانك : أحد أعضاء عصبة الشيوعيين في فرنسا، فيما بعد أحد أعضاء السكرتاريا الموحدة والعالمية للأممية الرابعة . « الأممية الرابعة » (دار ماسبيرو 1969) نشرت على حلقات في الإنتر كونتينانتال برس من 13 آذار الى 5 حزيران 1972 .

48 ـ هزيمة الإضراب العام في كانون الثاني : في كانون الثاني نظّم (FAI) انتفاضة في كاتالونيا شارك فيها البلاشفة اللينينيون وسحقها الجيش واعتقل منظميها .

49 ـ الجنرال خوسين سانجوروجو 1872 ـ 1936 : الشهير بسبب دوره في مراكش 1927 ، قاد انتفاضة عسكرية ضد الجمهورية في آب 1932 ، وقد قام أحد المخبرين بإخبار آزانا وانهزمت الانتفاضة .

50 ـ بقي الحزب الشيوعي البلغاري محايداً في أيلول 1923 عندما قام الرجعي تسانكوف بإسقاط حكومة ستامبولسكي « الفلاحية » وبعد فوات الأوان نظم الحزب الشيوعي انتفاضة مهلكة ضد تسانكوف وانسحقت .

51 ـ هربرت هوفر 1874 ـ 1864 : الرئيس الجمهوري للولايات المتحدة من 1929 ـ 1932 .

- فرانز فون بابن 1879 ـ 1969 : مستشار لألمانيا في حزيران 1932 ومهد الطريق لهتلر

بحّله حكومة الاشتراكية الديموقراطية في بروسيا وأصبح نائبا للمستشار هتلر في كانون الثاني 1933 .

ـ أميل فاندر فيلدة 1866 ـ 1938 : اشتراكي ديموقراطي إصلاحي بلجيكي كان رئيسا للأممية الثانية بين 1929 ـ 1936 . وكان عضواً في حكومة الحرب أثناء الحرب العالمية الأولى ووقّع معاهدة فرساي كممثل لبلجيكا .

ـ موهنداس غاندي 1869 ـ 1948 : قائد الحركة الوطنية التي أصبحت فيما بعد حزب المؤتمر الهندي . نظّم معارضة جماهيرية للحكم الإنكليزي ، لكنه أصرّ على وسائل المقاومة السلمية غير العنيفة والسلبية .

ـ كريتيان راكوفسكي 1873 ـ 1941 : شخصية قيادية في الحركة الثورية البلقانية قبل الثورة الروسية . أصبح عام 1918 رئيس السوفييت الأوكراني وعمل فيما بعد سفيراً في لندن وباريس . كان من أوائل قادة المعارضة اليسارية الروسية ، نفي الى سيبيريا عام 1928 واستسلم عام 1934 . كان واحدا من كبار المتهمين في محاكمة موسكو الثالثة حين حكم بالسجن لمدة عشرين عاما .

52 ـ مؤتمر أمستردام في آب 1932 : مؤتمر اقترحه الستالينيون بديلاً لنشاطات الجبهة الموحدة للطبقة العاملة ضد الحرب .

ـ الجنرال بول فون شونايش 1886 ـ 1954 : ضابط بحرية يونكري تحوّل الى داعية سلام ، كتب مقالات جيدة عن الاتحاد السوفياتي في الصحافة الألمانية .

ـ الماسونيون الفرنسيون والمحافل الماسونية الأوربية الأخرى بتقاليدهم الليبرالية شكلوا حلقة وصل بين الحركة الأشتراكية والجناح اليساري من البورجوازية ، كانوا ، برأي تروتسكي ، أداة لإفساد الحركة الاشتراكية .

ـ فالا بهباوي باتل 1877 ـ 1950 : ممثل البرجوازية الهندية وعضو للحكومة التي تشكلت بعد إعلان إستقلال الهند .

53 ـ مانويل آزانا دياز 1880 ـ 1940 : رئيس وزراء الحكومة الجمهورية الإسبانية بين 1931 ـ 1936 ، وكان رئيس الجمهورية من أيار 1936 حتى استقالته في باريس 1939 .

54 ـ رابطة لينين : منظمة أسستها روث فيشر وآركاري ماسلو وهوغر أوربانز إثر طردهم من الحزب الشيوعي الألماني عام 1927 ، اتخذت هذه المنظمة مواقف قريبة من المعارضة اليسارية حتى عام 1930 وعندما تولى أوربانز قيادتها طرد كل المتعاطفين مع المعارضة .

55 ـ . . . نضالاً مريراً : استقال لاكروكس من السكرتاريا العامة للمعارضة اليسارية الإسبانيةفي آذار 1932 ، وفي تشرين الثاني تفجر صراع بينه وبين نن بخصوص مسائل لم تكن واضحة لكل المراقبين . بدأ لاكروكس بإصدار نشرة تدافع عن انتقادات تروتسكي لقيادة الفرع الإسباني . في نيسان انحلّت مجموعة لاكروكس وهو نفسه طرد من الفرع الإسباني بسبب «اختلاسه للأموال » .

56 ـ قال تقرير ما بعد المؤتمر الذي كتبته السكرتارياالعالمية (ونشر في النشرة الداخلية للـCLA العدد 11 بتاريخ 1933/3/31) إن مندوب مجموعة نن أخبر المؤتمر أنه يوافق « من حيث المبدأ » على قرارات المؤتمر و «يتحفظ بخصوص المسائل التي تعالج تطبيق هذه المبادىء الأساسية » ويتحفظ على طرائق المعارضة اليسارية العالمية ومواقفها من مجموعات روسمر وغيره وعلى وجهات نظرها بخصوص تغيير اسم الفرع الإسباني وعلى تقييمها لسياسة الفرع الإسباني وطرائقه والإجراءات التنظيمية التي تبناها فيما يتعلق بالمسألة الإسبانية . ولفتت السكرتاريا العالمية الأنتباه إلى الكونغرنس التمهيدي قد حذّر من أن « أسلوب الموافقة المبدئية المجردة والتحفظ على تطبيقها العملي يمثل أخطر نوع من الدبلوماسية في التعامل مع المسائل السياسية الجادة » الشيء الذي يمكن أن يؤدي إلى نفي المبادىء نفسها وإلى احتمال الأنشقاق عن المعارضة اليسارية الأممية .

وقام مندوب « استشاري » من تيار لاكروكس بإعلام الكونغرنس أن مجموعته توافق على قرار المؤتمر دون تحفظ . وقد تنبه الكونغرنس التمهيدي إلى هذا التصريح لكنه اعتقد أن الإمكانية الحقيقية لاختبار صحته يمكن أن يتم عبر استمرار النقاش والنشاط لفترة طويلة من الزمن .

57ـ « بيان المؤتمر المضاد للحرب في أمستردام » كان قد كتب في 1932/7/25 ليصار إلى إقراره في المؤتمر في آب ، وقد وقعته عدة فروع ويمكن العودة إليه كاملاً في كتابات

تروتسكي 1932 .

58ـ ل . فيرسن الأسم الحركي لأنريك فرناندز سذون الذي كان عضواً في اللجنة المركزية للمعارضة اليسارية الإسبانية . دعم نن وكان مندوب مجموعته إلى الكونغرنس التمهيدي العالمي الذي انعقد في بداية 1933 .

59ـ ماكس شاختمان 1903 ـ 1972 : أحد قادة الحزب الشيوعي الأمريكي وأحد مؤسسي الحركة التروتسكية . انشق عن حزب العمال الأشتراكي عام 1940 بسبب اختلافات تخص الدفاع عن الأتحاد السوفييتي وانضم عام 1958 إلى الحزب الاشتراكي .

60ـ . . . كان يجب أن ينضم إلى الحزب الاشتراكي ، بعد عام 1933 بدأ التجذر يتجلى ببروز أجنحة يسارية في الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية القديمة . اقترح تروتسكي دخول المعارضة اليسارية الأممية مؤقتاً إلى الأحزاب الاشتراكية لتتصل بالثوريينالشباب الجدد . وهذا ما عرف بالانعطاف الفرنسي لأنه طبّق أول ما طبّق في فرنسا 1934 . رفضت المعارضة اليسارية الإسبانية تنفيذ هذه السياسة وبالنتيجة اندمجت الشبيبة الاشتراكية الإسبانية بالشبيبة الستالينية عام 1935 .

61ـ بيير رينودل 1871 ـ 1935 : أحد قادة الجناح اليميني في الحزب الاشتراكي الفرنسي ومن ا لمجموعة الجديدة التي طردت في نهاية 1933 .

ـ لويس أوليفر فروسارب 1889 ـ 1946 : أحد قادة الحزب الأشتراكي الفرنسي الذين أيدوا انتسابه للكومنترن 1920 وصار عندها الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي . استقال من الحزب الشيوعي عام 1923 وعاد إلى الحزب الاشتراكي ثم استقال منه ليصير وزيراً للعمل . وكان وزيراً في حكومة الجبهة الشعبية ثم في أول حكومة شكلها بيتان .

62ـ فيليب شيدمان 1865 ـ 9391 : أحد قادة الجناح اليميني في الاشتراكية الديمقراطية الألمانية ، دخل حكومة الأمير ماكس في مقاطعة بادن في أوكتوبر 1918 وترأس مع ايبرت عملية سحق ثورة تشرين الثاني الألمانية عام 1918 . قاد شيدمان الاشتراكية الديمقراطية الألمانية داخل الرايخستاغ حتى عام 1933 .

ـ هيرمان مولر 1876 ـ 1931 : أخر مستشار اشتراكي ديمقراطي في ألمانيا 1928 ـ 1930 ، كان الموظف الذي رفض إعطاء تروتسكي تأشيرة دخول إلى ألمانيا .

63ـ ألكسندر ميلران 1859 ـ 1943 : أصبح عام 1899 أول اشتراكي يشارك في وزارة بورجوازية ، طرد من الحزب الاشتراكي الفرنسي على أثر ذلك . تقلد عدة مناصب وزارية وصار رئيساً للجمهورية الفرنسية من 1920 ـ 1924 .

ـ أرستيد برايان 1862 ـ 1932 : طرد من الحزب الاشتراكي الفرنسي لقبوله منصباً في حكومة رأسمالية . كان رئيساً للوزراء عدة مرات وممثلاً لدى عصبة الأمم .

ـ رينية فيفياني 1863 ـ 1925 : سياسي فرنسي واشتراكي الأصل ، انضم إلى حكومة كليمنصو عام 1906 وبالتالي طرد من الحزب الاشتراكي . دخل حكومة برايان عام 1909 وصار رئيساً للوزراء لدى اندلاع الحرب العالمية الاولى وسقطت حكومته عام 1915 ثم أصبح وزيراً للعدل في حكومة كليمنصو .

ـ بيير لافال 1883 ـ 1945 : كان اشتراكياً في شبابه ، وبين ربيع 1934 ـ 1935 وزيراً للخارجية ، تفاوض بخصوص الحلف السوفياتي ـ الفرنسي . كان رئيساً للوزراء من 1935 ـ 1936 ومرة أخرى عام 1942 حيث اتبع سياسة تعاون مع ألمانيا . أعدم بعد الحرب بتهمة الخيانة العظمى .

ـ جوزيف بول بونكور 1873 ـ 1972 : اشتراكي يميني حتى 1931 . كان وزيراً في حكومة ساروت وبلوم وكان مندوب الأخير إلى جنيف عاد إلى الحزب الاشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية .

ـ أدرين ماركيه 1884 ـ 1955 : عمدة بوردو وأحد أعضاء الاشتراكيين الجدد ، أصبح عام 1934 وزيراً للعمل في حكومة الوحدة الوطنية وترك الجدد فيما بعد واتجه إلى اليمين أكثر .

64ـ لاباتالا هي صحيفة حزب العمال للتوحيد الماركسي الصادرة باللغة الإسبانية .

65ـ مكتب لندن للأحزاب الاشتراكية الثورية : كان يسمى سابقاً تجمع العمال العالمي (I A G) وهو رابطة رخوة لأحزاب وسيطة غير منتسبة إلى الأممية الثانية ولا الثالثة وفي الوقت نفسه ضد تشكيل أممية رابعة . ومن بين المنتسبين إليه ال S A P الألماني وحزب العمال المستقل البريطاني وحزب العمال للتوحيد الماركسي الإسباني وحزب العمال والفلاحين الاشتراكي الفرنسي .

66ـ سنديكاليو آنجيل بستانا هم الجناح اليميني من الاتحاد القومي للعمل .

ـ كان خوان أندريد أحد قادة شبيبة الحزب الشيوعي الإسباني قبل طرده منه وانضمامه إلى المعارضة اليسارية . قطع مع المعارضة اليسارية في نفس الوقت الذي قطع معها نن وصار أحد قادة حزب العمال للتوحيد الماركسي .

67ـ فينر بروكوي : خصم للأممية الرابعة وسكرتير مكتب لندن . كان أحد قادة حزب العمال المستقل البريطاني الذي تأسس عام 1893 . لعب هذا الحزب دوراً نافذاً في إنشاء حزب العمال البريطاني حيث انتسب إليه وشغل عموماً موقع الجناح اليساري منه . طرد من حزب العمال عام 1931 واقترب لعدة سنوات من الستالينية . وكان انتسابه في منتصف الثلاثينات إلى تجمع العمال العالمي A G وعاد أخيراً إلى حزب العمال .

68ـ جيمس ماكستون 1885 ـ 1946 : القائد الرئيسي لحزب العمال المستقل في الثلاثينات . قادته نزعته السلمية إلى الإشادة بدور شامبرلين في ميونخ عام 1938 .

69ـ انعقد المؤتمر السابع للكومنترن في آب 1935 ودعا إلى سياسة الجبهة الشعبية التي كان يجري تطبيقها في فرنسا وإسبانيا . وقد سمّى تروتسكي هذا المؤتمر « مؤتمر تصفية » الكومنترن (راجع كتابات تروتسكي 1935 ـ 1936) وكان فعلاً المؤتمر الأخير للكومنترن قبل أن يحلّه ستالين عام 1943 كإشارة حسن نية تجاه حلفائه الأمبرياليين .

70ـ إن صدور « الرسالة المفتوحة لأجل الأممية الرابعة » في صيف 1935 . يحدد تاريخ تصميم التروتسكيين في كل العالم على تشكيل الأممية الرابعة . لقد كانت إعلاناً عن مبادىء وأهداف الحركة وأكدت على الحاجة إلى اممية جديدة ووقعها حزب العمال الأمريكي والحزب الاشتراكي الثوري وحزب العمال الكندي والبلاشفة اللينينيون الفرنسيون وعصبة الشيوعيين العالمية . النص الكامل موجود في كتابات ليون تروتسكي 1935 ـ 1936 .

71ـ ليون ليزول : أحد مؤسسي وقادة الحزب الشيوعي البلجيكي . طرد عام 1928 لمعارضتهقمع المعارضة السوفياتية . عمل على تنظيم الفرع البلجيكي من المعارضة وبقي أحد قادته طيلة حياته . اعتقله الجستابو في حزيران 1941 وتوفي في معسكر الأعتقال السنة التالية .

ـ جورج فيريكن : ممثل التيار العصبوي في الفرع البلجيكي من عصبة الشيوعيين العالمية . عارض دخول الفرع البلجيكي إلى الحزب الاشتراكي .

74ـ جان لونغيه 1876 ـ 1938 : اشتراكي فرنسي يميني . اتخذ موقفاً سلبياً أثناء الحرب العالمية الأولى لكنه صوت مع اعتمادات الحرب

ـ جورج ليديبور 1850 ـ 1947 : اشتراكي ديمقراطي ألماني عارض الحرب العالمية الأوليلكنه عمل ضد انضمام الحزب الأشتراكي الألماني إلى الأممية الثالثة عام 1920 .

ـ جاكوب فالشر : ترك المعارضة الشيوعية اليمينية

وانضم إلى ال S A Pعام 1932 ، وسرعان ما أصبح شخصية مسيطرة داخلة . كان خصماً لدوداً لتشكيل أممية ثورية جديدة وبعد الحرب العالمية الثانية عاد إلى الحزب الشيوعي .

ـ هنريكوس سنيفلت 1883 ـ 1942 : أحد مؤسسي الحزب الشيوعي في هولندا وأندونيسيا . كان سكرتير لجنة المستعمرات داخل الكومنترن في مؤتمره الثاني ، وكان ممثلاً للكومنترن في الصين لبعض الوقت . شكل ، بعد أن ترك الحزب الشيوعي عام 1927 الحزب الاشتراكي الثوري الذي اندمج مع عناصر ثورية أخرى وشكل عام 1935 حزب العمال الاشتراكي الثوري الذي تحالف مع حركة الأممية الرابعة . اختلف هذا الحزب مع الحركة التروتسكية العالمية ، بسبب خلافات حول حزب العمال للتوحيد الماركسي ، وحول السياسة النقابية ، ولم يشارك في المؤتمر التأسيسي للأممية الرابعة عام 1938 . اعتقله النازيون أثناء الحرب العالمية الثانية وأعدموه .

74ـ ال P O Bهو حزب العمال البلجيكي ، الفرع البلجيكي من الأممية الثانية .

ـ (ذي نيوفي فاكل) هي صحيفة حزب العمال الاشتراكي الثوري البلجيكي .

75ـ الديمقراطيون الدستوريون الروس المسمون الكاديت : حزب ليبرالي كان يفضل قيام ملكية دستورية في روسيا أوحتى جمهوريات في المآل الأخير . كان حزباً للملاك العقاريين التقدميين والبرجوازية المتوسطة والإنتلجنسيا البورجوازية ، يرأسه بروفسور في التاريخ ميلوكوف .

الإحالات الخاصة بالنجوم المرقمة

1 *الستالينيون الأمريكيون يبزون الجميع . يصعب تخيل الدعائم المرقلية من السوقية والغباء التي يمكن للموظفين المأجورين ، والذين لا أحد يسيطر عليهم ، أن يثقوا بأنفسهم بها .

2 * ليس للمعارضة اليسارية صحافة يومية ، لذا فنحن مضطرون لتطوير أفكارنا عبر الرسائل الخاصة التي تتضمن محتوى المقالات اليومية . وإكمالاً لهذا العمل نقوم بتقديم مقتطفات من هذه الرسائل- المقالات في تسلسلها الزمني . ل . تروتسكي .

3 * ترفض المجموعة الإيطالية (بروميتو Prometo) البورديجيون Pordigists الشعارات الديموقراطية الثورية عموماً في كل البلدان ولكل الشعوب . هذه المذهبية الفئوية التي تتقاطع في الممارسة مع موقف الستالينيين لا علاقة لها بموقف البلاشفة اللينينيين . وعلى اليسار الأممي أن يرفض تحمل أدنى مسؤولية عن هذه الطفولية اليسارية . والتجارب الحية في إسبانيا تثبت أن شعارات الديموقراطية السياسية ستلعب بلا شك دوراً هاماً في عملية تحطيم نظام الديكتاتورية الفاشية في إيطاليا . إن النزول إلى ميدان الثورة الإسبانية ببرنامج بروميتو يشبه الغطس في الماء بيدين ورجلين مشدودتين إلى الظهر . هكذا سباح معرض دوما لخطر الغرق . ل . تروتسكي .

4 * ذهب تروتسكي إلى كوبنهاغن في تشرين الثاني 1932 لإلقاء محاضرة في الذكرى السنوية للثورة الروسية ، وقد ذهب يأمل بأن يسمح له البقاء في الدانمارك ، لكن أجبر على العودة إلى تركيا .

وقد كان وجود عدد من أعضاء المعارضة اليسارية في كوبنهاغن خلال زيارة تروتسكي ، فرصة لعقد اجتماع غير رسمي ناقشوا فيه شؤون مجموعات المعارضة اليسارية الأوروبية ، حسب وصف تروتسكي ، وقد كتب تروتسكي هذه الرسالة

لدى عودته إلى تركيا وأرسلت إلى كل فروع المعارضة اليسارية .

5 * بدون توقيع ، مقطع من « المعارضة اليسارية العالمية ومهامها وطرائقها » الذي بدأه تروتسكي في كانون الثاني 1932 وتم تبنيه بشكل موسّع في المؤتمر التمهيدي العالمي الـ ILO(المعارضة اليسارية العالمية) في باريس 4 — 8 شباط 1933 .

6 * حاول نن في صراعه مع لاكروكس أن يبرهن أن تروتسكي دعم لاكروكس ، وموقف تروتسكي من الصراع الكتلوي واضح من هذه ا لرسالة .

7 * مقطع من « فرنسا إلى أين ؟ » . الهزيمة التي يشير إليها تروتسكي هنا هي سحق عمال المناجم النمساويين .

8 * ينطلق تروتسكي في كتابته هذه من خطأ في الترجمة . فالعبارة التي وردت في التقرير العالمي لحزب العمال للتوحيد الماركسي ترجمت « يعمل موضوعياً لإعادة بناء وحدة الثوى الثورية » في حين كان يجب أن تترجم « الذي هدفه هو العمل من أجل إعادة بناء وحدة القوى الثورية » .

9 * في بحثها عن تبرير لسياستها ، يشير مورين ونن إلى النظام الانتخابي الإسباني الذي يجعل من الصعب بصورة استثنائية على حزب جديد أن يقدم مرشحيه المستقلين (أنظر تقرير اللجنة المركزية ، لاباتالا عدد 234) . لكن هذه الحجة عديمة الفائدة ، فالتقنية الانتخابية لا يمكن أن تبررسياسة الخيانة التي هي البرنامج المشترك مع البورجوازية . ل . تروتسكي .

10 * إن (إنعطاف) لاباتالا نحو الجبهة الشعبية لا يبعث على الثقة . فلا يمكن أن يقول المرء يوم الإثنين أن عصبة الأمم هي عصابة من قاطعي الطرق ،وأن يحثّ المصوتين يوم الثلاثاء ليصوتوا لصالح برنامج عصبة الأمم ، وأن يفسّروا ذلك يوم الأربعاء بأنه لم يكن سوى قضية عمل انتخابي وأن على المرء اليوم أن يتخذ برنامجه الخاص . فلا بد أن يسأل العامل الجاد ما الذي سيقوله هؤلاء الناس يوم الخميس والجمعة ؟ يبدو أن مورين هو التجسيد الأمثل للثوري البورجوازي ا لصغير : سطحي وبهلوان متقلّب ، إنه لا يدرس شيئاً ولا يفهم إلا القليل وينشر التشوش من حوله . ل . تروتسكي .

11 * كتب ماركس عام 1876 بصدد زيف تعبير (إشتراكي ديموقراطي) . لا يمكن للاشتراكية أن تكون خاضعة للديموقراطية ، إن الاشتراكية (أو الشيوعية) تكفينا . ولا مجال (للديموقراطية) فيها . وقد أظهرت ثورة أوكتوبر ، بعد ذلك ، أنه لا يكمن تحقيق الثورة الاشتراكية في إطار الديموقراطية . إن الثورة الاشتراكية والثورة « الديموقراطية » على طرفي نقيض . وقد أكدت الأممية الثالثة هذه التجربة نظرياً . لقد تحققت الثورة « الديموقراطية » في إسبانيا والجبهة الشعبية تعمل على تجديدها . إن تشخيص الثورة (الديمقراطية) في إسبانيا هو آزانا ، مع أو بدون كاباليرو . ولا يزال يجب تحقيق الثورة الاشتراكية بنضال لا يهادن ضد الثورة (الديموقراطية) والجبهة الشعبية . ماذا يعني هذا « التركيب » ثورة ديموقراطية ؟ إنه لا يعني شيئاً على الإطلاق . إنه مجرد خبيصة انتقائية . ل . تروتسكي .

12 * مقتطف من رسالة إلى فيكتور سيرج 1890 — 1947 : ولد في بلجيكا من أبوين روسيين وأصبح فوضوياً في شبابه ، فحكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات . إنجذب إلى البلشفية بعد ثورة 1917 ، إنتقل إلى الإتحاد السوفييتي ، وعمل لصالح الكومنترن . إعتقل بتهمة المعارضة وأطلق سراحه عام 1928 . ثم اعتقل ثانية عام 1933 . وقد أطلق سراحه بفعل حملة قام بها المثقفون في فرنسا ، وسُمح له مغادرة البلاد عام 1936 ، وسرعان ما أظهر إختلافاً مع حركة الأممية الرابعة ، خصوصاً بعد مسألة الـ POUM وترك الأممية الرابعة ، كتب العديد من الأعمال التاريخية الهامة ، إضافة إلى الروايات ، منها (من ستالين إلى لينين) ، (ولادة سلطتنا) ، (مذكرات عن ثورة) ، (روسيا بعد عشرين سنة) .

13 * مقتطف من رسالة اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي الثوري RSAP الفرع الهولندي لحركة الأممية الرابعة .

دار الحوار للنشر والتوزيع

اللاذقيـة ـ ص.ب 1018 ـ هاتف 22339 ـ سوريـة

